الشريف يوسف السيد شرف الدين

قلب وادي النيل

تعليق كمال محمود ابراهيم

السيد الشريف يوسف السيد شرف الدين

رئيس السجادة القادرية والبهارية

بالسودان

ورئيس المؤسسة السودانيـــة الخيرية

لابناء مصر والسودان

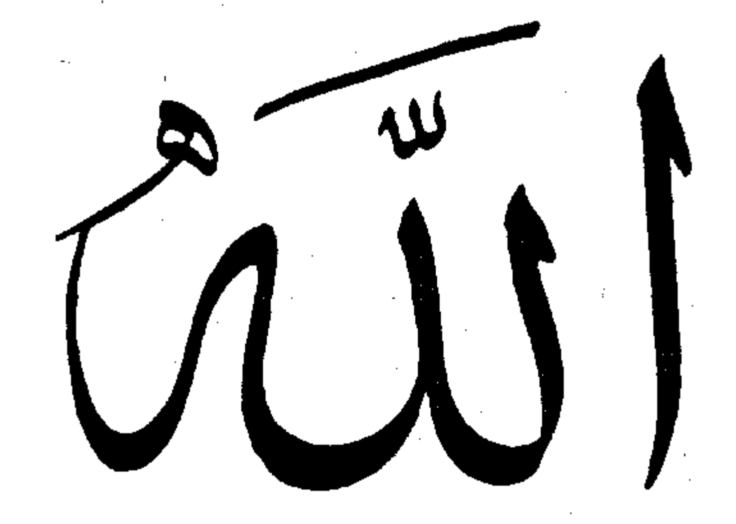
شارع الحـــلى حارة عابدين رقم ٢

روض الفـــرج

تليفون ٧٨٠٣٧

الشريف يوسف السيد شرف الدين

قلب وادى النيل



الملك

الوطن

مولاى حضرة صاحب الجلالة ملك وادى النيل السعيد

إن جميع السودانيين المخلصين يرفعون ولاءهم وحبهم لمليكهم المفدى ويرجون بقلوبهم تحقيق أمانيهم ، ويترقبون الساعة التى يتم فيها الجلاء والقضاء على المستعمر تحت تاجك وعظمتك وجلالك .

تلك صورتك يامولاى التى امتلأت بها قلوبنا حباً ووفاء واخلاصا نتوج بها الصفحة الأولى من هذا الكتاب لتباركه .

إننا يامولاى عاهدنا الله ألا نغير ما بنفوسنا وقلوبنا لوحدة القطرين مهما كلفنا ذلك من الدماء ، ولن نحود عن مبدئنا لأننا أحرار أوفياء ويكفى أنك مليك لوادينا .

وكفى بالله وليا وكفى بالله شهيداً ، حفظ الله الفاروق وأدام ملكه السعيد .



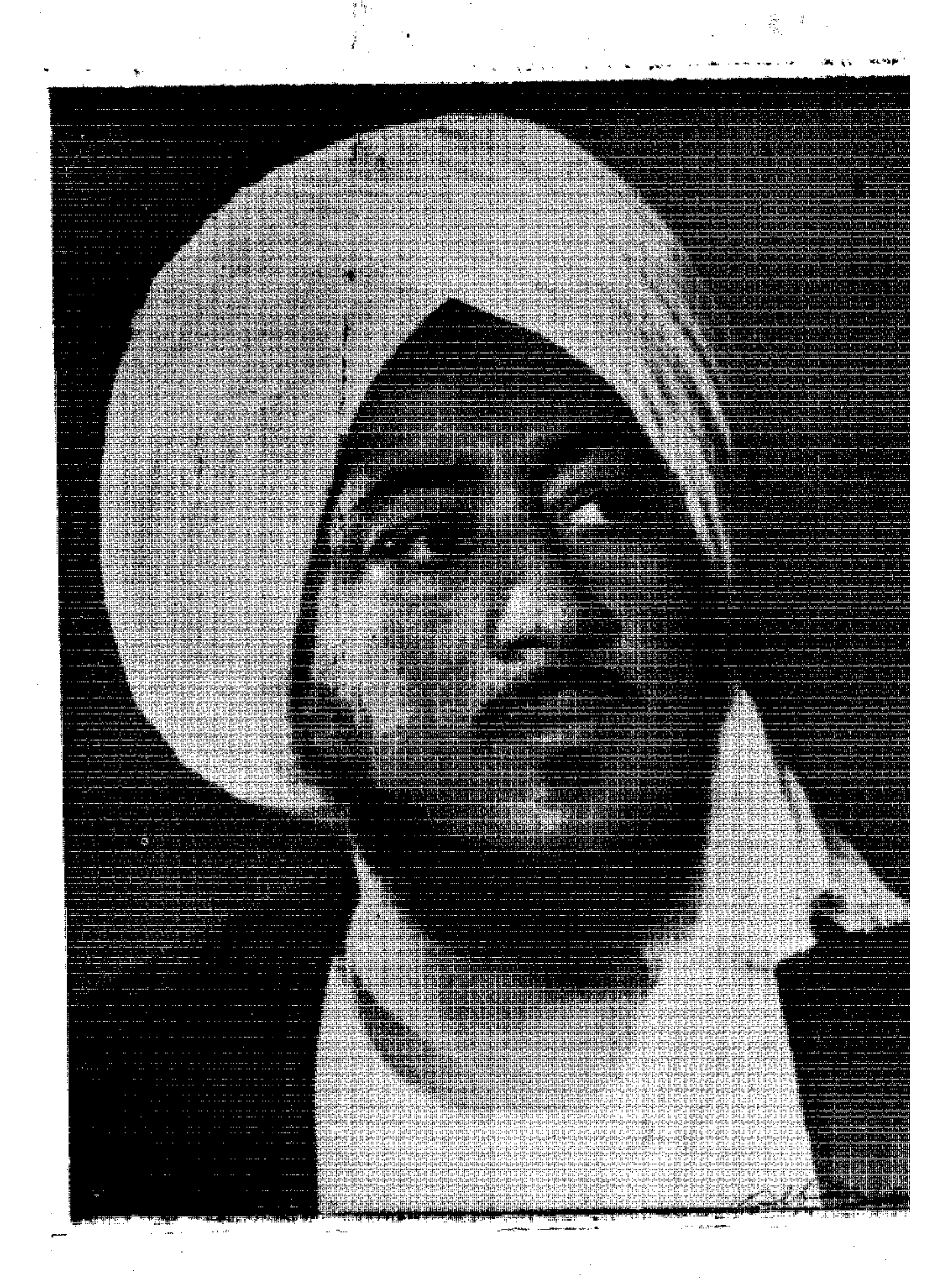
هذه هى صورة حضرة الحسيب النسيب الشريف يوسف السيد شرف الدين الزعيم الدينى ، والبطل السودانى الوطنى الغيور الذى جاهد وضحى فى سبيل الوحدة بكل ما يملك حتى بأهله وعشيرته وقبائله فهاجر من السودان إلى مصر ليحقق أمانى شعب القطرين ، وهو صاحب هذا الكتاب القيم « قلب وادى النيل » .

وإننى أشكره بالنيابة عن جميع أبناء وادى النيل لهذا المجهود العظيم الذى بذله فى تأليف هذا الكتاب الذى حوى ماحواه فى محاربة المستعمر الغاشم .

وفقنا الله جميعا لطاعته ، وحب المليك المفدى والوطن العزيز .

والله أكبر للذات العليا ؟

كمال محمود



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

كم أنا أشكر حضرة الشريف يوسف السيد شرف الدين حيث عهد إلى وضع نبذة مختصرة عن حياته [illegible] فى كتاب « قلب وادى النيل » وقد قصد بهذا دمار الانجليز وتحطيمهم فى أرض الوادى السعيد ، ورفع لواء الإسلام فى أرض خاق شعبها للحرية لا للاستعباد ، وقلب الوادى هو فى الحقيقة أرض السودان الحبيب ، لأن عاصمته المثلثة لم تقع إلا فى المكان الذى يربط فروع النيل وملتقى منابعه ، كالقلب فى جسد الإنسان يجمع بين شرايينه وأوردته ، فهو الآلة المحركة لكل عضو من الجسم ، كذلك السودان فهو قلب النيل وما النيل إلا « مصر والسودان » فهما المحرك لكل وطنى غيور امتــلأت نفسه بحب ماء النيل الطاهر الذى أجراه المولى العلى القدير فى أرض ليفيض على أبنائه عزة وكرامة ، لذلك يجب أن يبقى كما أوجده الله ، ولكن شاء القدر أن يقلب الأوضاع ويجعل الليل ضياء والنهار ظلاما .

ولقد كنا نرقب جميعا منذ أمد بعيد أن يخرج إلى عالم الوجود كتاب مثله يكشف لسكان المعمورة وخاصة المصريين ، ليتعرفوا على أحوال السودان وحقائقه المجهولة .

إن السودان بلد واى البلاد مثله ، وإن مصر دولة وأي الدول مثلها ،

فلو تم ما نناشد به ، وحدة القطرين تحت تاج واحد وملك واحد ، لصار شعب الوادى أقوى الشعوب وأنبلهـا كما هو أعظم الشعوب وأكرمها ، ولناطح السحاب فى سماء الدنيا السافرة ، ولصد كل عـدو نازح دخيل ، مستعمر غاشم .

ويذكر تاريخ العرب من قديم الزمان وقرون ولت أن السياسة والفراسة والشجاعة لم تكن إلا فى الشعوب العربية المسلمـة لذلك فالفضل العظيم كله فى ترقية وسياسة الدول الغربية يرجع لدول الشرق العربية ، الذى يرسخ فى سويداء القلوب .

ولا أنسى أن أقول أن كثيرا من السودانيين الذين يناشـدون الوحدة يلقون من الانجليز العذاب والتـدمير وتشتيت شملهم والتنكيل بهم ، فكل من حارب الانجليز يحارب ، بينما يرفعون صرح من يقف دون وحدة القطرين ولـكنهم رغم ذلك فهم لم ينثنوا ولن ينثنوا عن عزمهم لأن هذه هى صفاتهم وتلك هى ميزاتهم .

فلولا الاستعمار وسياسته البغيضة التى تسرى كالسل فى الشعوب لما وقفنا مكتوفى الأيدى لا نستطيع عمل شىء أو الوقوف دون ماهم عليه الآن ، ولما اعترفنا لأى دولة فى العالم وأن كنا فى الحقيقة لا نعترف ، مادمنا نؤمن بالقانون الإسلامى الذى أوجده الخالق الجبار وأنزله فى كتابه العزيز المقدس وإن هذا القانون قانون روحى وذاتى ومعنـوى وعلى صراط مستقيم ، لو استطعنا أن نطبق مافيه من قديم الزمان لكانت الآن جميع المخترعات ملكا لأيدينا ، لأن الألف الواحـد يؤلف عن الأرض وعن السماء وعن العمر وعن الفنـاء .

وقبل أن أكتب خاتمة مقـدمتى ، سأسطر بعض الكلمات عن حياة حضرة الشريف يوسف السيد شرف الدين .

نبذة مختصرة عن حياة الشريف

ولد الشريف يوسف السيد شرف الدين سنة ١٩١٢ ببلدة فارس التي كانت ملكا لجده الأكبر الشريف سحنون . ولقد دفن جده في هذه البلدة ، وهي تقع بين مكوار والحاج عبد الله ، ويتبع لها الدندر والرهد والمندرة حتى القلعة آرانج والبويضه والصفيه ، وتربى الشريف في نفس البلد وتجول منها إلى الدندر والرهد وحفظ القرآن الكريم على يد والده الشريف السيد شرف الدين ، فهو من قبيلة الأشراف الحسينية ، والمقيمين بهذا البلد منذ مئات السنين والمسئولين عن السودان من تاريخ المهـــدى وقبله ، ولهم عقائد كبيرة ومشهورون بالعلم الروحانى الذى لا يعلمه أحد ، كما أنهم بارعون في الأدوية المختصة بجميع الأمراض ، ومن أهم ميزاتهم الطبية شهرتهم بالصلاح والتقوى .

وعندما بلغ من العمر عشرين عاما غادر بلدة فارس إلى المندره التابعة للنيل الأبيض ، ومنها إلى الغرب حتى وصل إلى الشقيقه الماجديه منها إلى الأندرابه وأم سدر والشويحات بجبال التيوس وأم قرفه وكجمر ، وأخيرا وصل إلى بارا حيث قابل بعض أهله ببلدة ود طويل غرب بارا ، منهم الشريف عبد المنعم والشريف محمد أبو كمكوم الذى دفن بالقاعة الرويس وأخيرا غادر هذه البلدة إلى سودرى ومنها إلى أم بادر مسكن قبيلة الكواهلة التابعة لمديرية كردفان ، ثم سافر إلى أرمل ومن أرمل إلى أم قوزين مكن قبيلة الكبابيش إلى الملك الصياح وجبل العطرون والجزو والكيسان والفيسان وأم كداده وجبل الحله ومليط بعد ذلك جاء إلى الفاشر ثم قام منها إلى الجنينة وأبشه ورجع ثانية إلى الفاشر بعدها توجه إلى كاس وجبل مره ونيالا والنهود حتى وصل إلى الأبيض عاصمة مديرية كردفان ومنها إلى الرهد حيث استمرت إقامته سبعة أشهر ، وبعدها ، سافر إلى أم روابه وتندلتى وجبال تقلى ومركز رشاد وكادقلى وتالودي ومن

هذه البلاد رجع إلى كوستى إلى الدويم إلى القطينة إلى جبل أولياء إلى الخرطوم وأم درمان إلى السوكى وسنجه عبد الله إلى الروصيرص إلى كرمك وبابرص ثم رجع إلى تقلى والرحمانو ثم توجه إلى القضارف وقلع النحل إلى الشوك منها إلى كسلا إلى الأراضى الحبشية إلى أسمره وأديس أبابا وغردة ومصوع وتسنى ورجع بعد ذلك إلى أروما إلى طوكر وسنكات وأركويت وبورتسودان وسواكن منها ذهب إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج .

وقابل فى هذه البلاد كلها جميع العشائر والقبائل رؤساءها وزعماءها الدينيين والسياسيين منهم السيد جعفر بغردة والسيده علويه بأسمره والشريفه مريم بسنكات ، والسيد عبد الله العجوز والسيد أحمد الرحمانو بالحبشة ، والكوجلى بقلابات .

وبعد عودته إلى أم درمان من الحجاز ذهب ثانية إلى القضارف منها إلى دوكا منها إلى البويضة وقابل بجبل بدر ومسكين بالبويضة أهله وعشيرته وقرباءه الأشراف ، وابتدأ هنا لك ينشر طريقته البهارية والقادرية ، وحينذاك كان قد بلغ من العمر خمسة وعشرين عاما ، وكانت هـــذه هى الخطوة الأولى لطريقته السليمة بعدها بدأت تنتشر فى أنحاء السودان والقبائل والعشائر وهو ينتقل فى أثر هذا من ناحية إلى أخرى سعيا وراء ما بدأه .

ولما علم عن سلامة طريقته فقد اتبعها الخلفاء والأشراف وتجاوز تعداد من سار على طريقته سبعة آلاف نسمه ، وكان أثناء تنقله يمر على القرى والبوادى وعرب الحنية ناشراً فيهم التقوى والارشاد والدين الاسلامى الحنيف — ثم قر رأيه على الإقامة بالخرطوم وأم درمان وبعد مضى أربع سنوات سافر إلى عطبره ومكث بها عاما غادرها بعده إلى حلفا ومكث بها سبعة أشهر ورجع من الأخيرة إلى دنقلا والأراضى الجعلية إلى عطبره إلى البطانة إلى ود حاشى بقوز رجب أخيرا عادبه الحنين إلى مهبطه بلدة فارس .

وكان وقتذاك له أتباع واعراب وكثير من الزوار فأخبرهم بحقيقة أمره .

وبدأ يحارب الاستعمار وارجاسه فى السودان ببث روح وحدة القطرين فيهم وفى نفوسهم فوجد منهم التشجيع والشهامة المعهودة فى السودانيين، ووراء هذه الفكرة التى أوجدتها الطبيعة من نفسها ورسمها الخالق فى أبدع صورها .

ومن ذلك الوقت بدأ ينادى بوحدة القطرين قبل أن يبدأ فيها المؤتمر وكان آنذاك قد بلغ من العمر خمسة وثلاثين سنة .

وبعد أن وحد كلمة القبائل كلها غادر السودان إلى مصر سعيا وراء مطلبه النبيل آخذا معه أسرته وخدمه، كل ذلك على نفقاته الخاصة تاركا أهله وعشيرته ومساكنه وممتلكاته منها سبعة آلاف جدعة (الجدعة حوالى خمس أفدنة) تقع من بلدة قندال حتى مركز الحاج عبد الله التى استولت عليها حكومة السودان عند ماعلمت بأمره وأعطتها ظلما لأشخاص أخر دون حق لهم فيها .

وفى مصر تشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المفدى فاروق الأول ملك مصر والسودان حفظه الله وأدام ملكه السعيد ، كما أنه قابل زعماء مصر وكبراءها ، ومن ذلك الوقت صار منزله مهبطا للزوار المصريين ، والسودانيين وهو يبث فيهم من روحه الطيب .

وفى عام ١٩٤٥ أسس مؤسسة سودانية خيرية كبيرة واسعة لأبناء مصر والسودان ، غرضها الوحيد الذى ترمى إليه هو خدمة أبناء مصر والسودان على السواء ، وفعلا قام بخدمة الكثير فى جميع النواحى ، وانفق فى سبيل ذلك كل مايملك غير نادم على مايفعل من أجل الوحدة المنشودة .

وفى ذلك الحين شعر الانجليز كما هم يقفون بالمرصاد لكل وطنى غيور فبدأوا يدبرون له المكايد والمشاكل فدسوا أفرادهم فى المجموعة بمصر لتضليل الرأى العام عن شخصيته الشريفة ، ولكن رغم ذلك لم ينجحوا فى خطواتهم المدنسة .

وعندما سافر وفد مصر إلى مجلس الأمن لتقديم قضية وادى النيل أرسل له برقيات يؤيده فى موقفه المشرف الذى يرضاه كل مصرى

وسودانى مخلص ، وبدأ يناشدهم فى مطلب وحدة الوادى تحت التاج المصرى ، وحدة صارخة إلى من يعملون بها ويقتدون أمرها وحدة طاهرة بريئة غير مدنسة بالأكاذيب والتلاعب والخداع ، وحـــدة على اسم طبيعى حقيق لا اسم مزيف زائف .

وفى نفس الوقت أرسل برقية مماثلة إلى حاكم عام السودان .

وفى عام ١٩٥٠ بدأ ينشر وثائقه الخطيرة ضد الانجليز والاستعمار وأخيرا فكر فى طبع بعض مذكراته عن السودان والوثائق المهمة الخطيرة التى يجب أن يقرأها كل وطنى غيور ليفهم حقـــائق الانجليز وألاعيبهم ، فأخرجها فى هذا الكتاب .

وهذا الكتاب كل من يقرأه سيجد فيه التاريخ العلمى وطبائع القبائل وحالة العرب فى السودان الذى جابه حضرة الشريف من أطرافه لأطرافه .

كلها مواضيع قيمة عند من يسعى وراء تحقيق الأمل المنشود فى الوحـدة بروح الوطن المقدس الطاهر .

فيأبناء وادى النيل الكرام أناشدكم بالله وبحب مليككم المفدى ووطنكم العزيز أن تتكاتفوا وتتحدوا إلى غاية واحدة وأمل واحد ألا وهو وحدة الوادى تحت التاج المصرى العزيز وفى ظل الفاروق العظيم ، والقضاء على كل أجنبى قضاء مبرما لتتخلصوا أرض العروبة من الأرجاس والأدناس ، لتبقى طاهرة كما خلقها الله طاهرة ، ولا تخدعكم ألاعيب الانجليز الخداعة البراقة كما يخدع السراب الظمآن فى وسط الصحراء الواسعة .

عليكم السعى وعلى الله التوفيق وليس بعد الله شىء سوى المليك والوطن — حققوا أمانيه وأنصروه ينصركم الله ؟

كمال محمود ابراهيم

الزعمـــاء فى السودان

١ ـ محمد أحمد المهـــدى

ولد محمد أحمد المهدى بجزيرة الأشراف بمديرية دنقلا وبعد أن شب وترعرع تلقى العلم على يد أستاذه ، الشيخ محمد شريف بن الشيخ نور الدايم بن الشيخ الطيب وهو من كبار السمانيه بدار الجعليين بجوار مديرية الخرطوم ببلدة « أم مرحى » حتى حفظ القرآن الكريم وتفقه على يدى أستاذه المذكور محمد شريف وكان دائم الصمت لايرى إلا منفرداً يكثر من العبادة وتلاوة القرآن الكريم ، لايختلط باخوانه الذين يتلقون العلم معه وظل ثلاث سنوات يخدم الأستاذ محمد شريف حتى حدث أن كان أستاذه يختن أولاده فنحرت البهائم ومدت الموائد واقبلت القبائل والعشائر من كل صوب وحدب وكانت العادة تقتضى أن يقام لأمثال هذه المناسبات المهرجانات والرقص وتقريع الطبول وتبارى الجوارى فى الرقص المنهك على نغمات المزامير والطبول والدفوف .

فقام محمد احمد المهدى وتقدم إلى أستاذه على مرأى ومسمع من الجميع وقال له إن هذا العمل الذى يتنافى مع آداب الدين يعتبر مكروها ، فأجابه أستاذه محمد شريف . نعم أقر بكراهيته لكنها التقاليد التى لامفر منها ، ولا يجدر بالتلميذ أن يجابه أستاذه ويخطئه ولست أعلم منى ولا أخير عنى .

فقال محمد أحمد المهدى إنى استغفر ربى وخرج غاضبا يسير وعلى وجهه علامات الحنق إلى أن وصل إلى الشيخ القرشى ود الزين والشيخ القرشى ود الزين من أعراب

البزعه وهو التلميذ الأكبر للشيخ الطيب بن البشير وهو جد للأستاذ محمد شريف وقد رحب الشيخ القرشي ود الزين بمحمد أحمد المهدى وكناه بالمهدى بعد أن استمع لقصته وعن سبب خروجه عن أستاذه محمد شريف ، وفى الحال زوجة ابنته وأعطاه جواداً يسمى البيضاء ثم بقى معه حتى انتقل الشيخ القرشى إلى الدار الآخرى .

فقام محمد أحمد المهدى ببناء ضريحه ومعه جمع كثير من دراويش الشيخ القرشي وكان هذا ببلدة طيبة بجوار مركز الحصا حيصا وقد ضرب الطوب الذى بنى به القبة ببلدة ود الفروع بجوار الحصا حيصا بالنيل الأزرق وأنجب محمد أحمد المهدى من بنت الشيخ القرشي ولداً أسماه على المهدى ثم هاجر المهدى بعد ذلك إلى الغرب ومعه جميع تلاميذه حتى وصل إلى بلدة « أم قرفه » غرب النيل الأبيض بجوار « أم سبالة » وبالقرب إلى كجمر التابعة لمركز باره وأقام فيها حيث ابتدأ يدرس القرآن الكريم والعلم لفريق من قبيلة الجوامعة ولفريق من أهل الغرب من قبيلة الدواليب وغيرها من القبائل الرحل وقبائل يسكنون بالحلال .

وفى ذلك الحين اشتهر بالتقوى والصلاح وصار يدعو إلى الأخذ بتعاليم كتاب الله وسنة رسوله الكريم فانتشر خبره وذاع ذكره فى تلك الجهات وأصبح يؤمه الناس للتبرك وللاسترشاد وكان فى أغلب الأوقات يخلو إلى نفسه داخل غرفة للتعبد لذات الله لايخرج منها إلا نادراً .

وقد حدث أن سمع مهرجانا يمر من أمام داره فسأل عنه فقيل له هذا زواج فسأل من الزوج ومن الزوجة ولما كان هذا الزواج غير شرعيا مع اقامة مهرجان فقد غضب المهدى غضباً شديداً وصاح هذا منكر يجب مناهضته فقالوا له ماذا نصنع فى هذا فرد عليهم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

وبعد ذلك هاجر إلى جزيرة أبا بجوار مركز كوستى حيث أقام فى حجر وسط البحر يقال له التيار مدة سنة وخمسة شهور يندب ويبكى ليلا ونهارا على ماصار إليه أمر المسلمين وما هم فيه من فتنة وضلالة .وأخيرا استقر رأيه على الجهاد فبايعه الكثيرون وساروا معه إلى «كابه» وقد حاصروا الأبيض فأرسل إليهم القائد المصرى وقتذاك يطلب منه أن يعود أدراجه فأجابه بأنه لايمكنه أن يتراجع وقد عزم على الجهاد حتى يطهر البـــلاد من هذه الشرور والفتن التى كادت تودى بالدين الحنيف .

ثم هاجم الأبيض وسرعان مادخلها واستولى عليها ثم تقدم إلى جزيرة «أبا» وعند ذلك قامت الوابورات الحربية الممتلئة بالجنود وهاجمت المهدى وعندما شعر بهذا الخطر وقف بين رجاله قائلا لاقوة إلا بالله والله أكبر ولله الحمد ثم حمل برجاله على الجنود فتقهقروا ولاذوا بالفرار والمهدى ورجاله فى أعقابهم يهللون ويكبرون ويصيحون : «نصر من الله وفتح قريب» .

وهكذا انتصر محمد أحمد المهدى وبدأ عهد المهديه فى الظهور وقد تملك العجب رجال الحكومة وقتذاك كيف أن رجلا يقوم بعدد قليل من الرجال وليس لهم من سلاح غير السيوف والحراب ثم يهزم الحكومة بأساطيلها ومدافعها وجنودها حتى جعلهم يفرون أمامه كالقطعان المزعورة تاركين وراءهم عددا لا يحصى من السلاح والذخيرة استولى عليها وتسلح بها .

وقد زادهم هذا النصر تمسكا بمد أهم إعتقاداً بانتصارهم . وكان للانجليز فى حكومة ذلك الوقت الكلمة العليا فهالهم أمر محمد المهدى وانتصاره الساحق .

وقد فاتهم أن محمد المهدى ورجاله إنما يحاربون حربا دينيه يبتغون وجه الله لا يثنيهم عن عزمهم مايلاقونه من آلات الموت والدمار معتقدين أنهم إذا ماتوا فقد ماتوا شهداء وإذا أيدوا فقد أيدوا دين الله .

وتعالى إنتصار جيوش المهديه وصارت جنود الحكومة من البلاد ودان

السودان كله إلى حكومة المهديه التى أخذت بعد أن هدأت الأحوال فى تنظيم أعمالها فعينوا رؤساء القبائل أمراء على بلادهم وجندوا الجنود لحفظ الأمن والنظام وسنوا القوانين التى تلائم الشريعة الإسلامية السمحاء وأقاموا شعائر الدين ورفعوا منار العلم والعلماء وحكموا بالعدل والانصاف وحاربوا المنكرات والبدع والأضاليل وطهروا الأرض من الأدناس وكان الحكام فى ذلك الوقت يلبسون الجلاليب المرقعة وكان محمد أحمد المهدى مثل غيره يلبس الجلابية المرقعة بالخرق القديمة، ويمتطق بحزام من الخوص مكسى من الجلد وسيف من الخشب

وقد تزوج ثلاث نساء الأولى بنت الشيخ القرشى ود الزين كما أسلفنا الذى أنجب منها ولد يسمى على المهدى ثم عائشة وانجب منها السيد عبد الرحمن المهدى وثالثه من الجعليين وانجب منها ولدين وكان لايملك من حطام الدنيا إلا سبحته وسيفه.

ثم انتقل إلى جوار ربه آمنا مرضيا عنه من الله والناس فهو الرجل التقى الصالح الورع الأديب الطاهر الحسيب النسيب .

٢ - الخليفة عبد الله التعايشى

بعد انتقال المهدى إلى رحمة الله قام الخليفة عبد الله التعايشى ولقبه «تورشين» أى «ثور قبيح الشكل» وقد كان أحد تلاميذ المهدى وكان ملازما له .

وهو من قبيلة البقارة والبعض يقول أن والدته من البقاره ووالده من القوز وفى حياة المهدى التف عدد كبير من البقارة حول عبد الله التعايشى وضم إليه الكثيرين من أقاربه ورتب لهم المرتبات الكبيرة من بيت المال .

فلما توفى المهدى قام الخليفة وكتب مذكرة أذاعها قال فيها أنه خليفة المهدى وجمع الناس وقرأ عليهم منشور خلافته . فانقسم الناس بين مصدق ومكذب، وكانت حجة المكذبين أن المهدى لايعقل أن يترك أهله وأقاربه ويولى هـذا

الدخيل الذى لاتربطه به صلة فلا هو من عائلته ولاهو من بلدة :

فما كان من الخليفة إلا أن جند عرب البقارة وولى عليهم الأمير محمود ود زايد وهو أحد أقاربه وأرسله إلى أراضى الجعليين ليخضعهم لحكمه ، ثم حارب نمر وسلاطين « المتمه » حتى دانت له بعد حرب طاحنه ، واستلموا بلاد الجعليين وانتشر فيها أعراب البقارة يعيشون فى الأرض فساداً ، فضربوا أعناق الرجال ظلما بغير ذنب وهتكوا أعراض النساء ، وحتى الأطفال الأبرياء ، لم يسلموا من قسوتهم فقد كانوا يمسكون بالطفل ويقذفونه إلى أعلى فى الهواء ثم يتلقونه على أسنة الرماح .

وكان الأمير عبد الرحمن النجومى من أنصار المهدى المقربين المخلصين ومن تلاميذه المحبوبين ، وكان فارسا مغوارا وبطلا شجاعا فأراد التعايشى أن يتخلص منه فأرسله إلى غزو مصر وغرضه من ذلك أن يقتل النجومى فى المعركة ولكن النجومى لم يتردد فى تنفيذ أوامر الخليفة مع علمه بنياته الخبيثة فقام ومعه خمسون ألفا من الرجال بكامل عدتهم وسلاحهم ، فلما وصلوا إلى حلفا قطع عنهم الخليفة المدد والذخيرة والمؤونة .

وكان الأمير النجومى شريف الأصل عالى الهمة ، فلما استقر بحلفا أرسل إليه التعايشى ليعود أدراجه إلى أم درمان ، فلم يقبل وقال لهم أنه لا يخاف الموت وليس براجع عما قام له .

وبعد ذلك وقعت واقعة « توشكى » التى مات فيها كثيرون من الأنصار جوعا وعطشا لقطع المدد عنهم .

ولقد كان الأمير النجومى يحب أولاد المهدى كما كان يخالف التعايشى فى الرأى ، وكان لكل منهما أنصاره ومريدوه . فلما انتقل النجومى إلى الدار الآخره قام الخليفة التعايشى بسجن أولاد المهدى والضغط عليهم واضطهادهم وقد مات بسبب هذه المعاملة الشاذة المنافية للعدل والانسانية اثنان من أولاد المهدى هما البشرى

والفاضل فقد ماتا فى السجن من التعذيب والهم والكسد : وقد فقد الكثيرون من أهل بيت المهدى رجالا ونساء .

ثم ابتدأ التعايشى يضطهد أبناء القبائل الكبيرة وأبناء الأمراء والأشراف ويأمرهم بملازمة مسجده ، وقد أتى البقارة من الأعمال التى لا ترضى رب العالمين ما أنزل عليهم غضب الله . فقد أهانوا كرامة المهدى وكرامة الأحرار وظلموا العباد بغيا منهم وتجبرا ، وسجنوا العلماء الأجلاء ورؤساء القبائل والعشائر والمفكرين .

فكان من غضب الله العادل عليهم أن صاروا لا ينجحون فى أى عمل يقدمون عليه ولا يوفقون فى أية فكرة يفكرونها ، فاضطربت الأحوال وساءت الأمور وكره الناس التعايشى وصار لا يخاص له فى السودان كله إلا البقارة وكان مجلسه لا يضم إلا الأعراب الجهلاء والاجلاف ، ولم يكن همه إلا جمع المال بشتى الطرق وزواج النساء .

ولما رأى الخليفة أن القلوب قد انصرفت عنه وأن التذمر قد أصبح عاما وأن السودان جميعه قد كره عهده عهد الظلم والاستبداد عزم على الرحيل إلى الغرب ثم تنظيم الجيوش هناك والرجوع إلى غزو أم درمان ثانية .

فاختار على دينار وكلفه بمهمة ترحيل المتاع إلى الغرب ، فأخذ جميع الأموال والنفائس وخرج بحملة كبيرة من الجمال محملة بكل ما فى الخزائن كما سير معه نساء الخليفة ، وأخذ عددا كبيرا من الأسلحة والمهمات وجانب من الخدم والجيوش .

سار على دينار إلى الغرب عن طريق الأندرابه حتى وصل إلى كجمر ومنها إلى « الحرازة أم قد » ثم توجه إلى سودرى إلى أرمل إلى النهود إلى أم كداده بجوار عرب الكبابيش وحنث بعهد سيده خليفة المهدى وخان الامانه التى أؤتمن عليها وجمع من معه من الرجال وأهل تلك الجهة التى وصل إليها ونادى فيهم قائلا : أنا السلطان على دينار .

وفى ذلك الوقت كان خليفة المهدى قد شعر بالخطر وقرب وصول البواخر الإنجليزية والمصرية . فلما وصلت الحملة إلى جبل كررى قريبا من أم درمان فر الخليفة هاربا ومعه ثلاثة آلاف شخصا مسلحين وبخيولهم عن طريق سور المهدى من الباب الصعيدى .

وعندما وصل قرب الخنيك بجوار النيل الأبيض التجأ إلى الغرب من جهة أم سدر ، وعندما وصل إلى أبى ركبه لم يبق معه خلا أربعة أشخاص وهو خامسهم من بينهم الخليفة على ودحلو وكبيره وحينذاك علم أن على دينار خان عهده ونادى بنفسة سلطانا على دارفور ، فاكتأب وتيقن أن الدنيا قد أدبرت منه وأنه لاشك ضائع فقال لاحول ولا قوة إلا بالله يعطى الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

وعندما علم بوصول الحملة إلى أبى ركبة أسلم أمره لخالقه الجبار وتيقن للموت وفكر فى الفرار بجواده ولكنه أدرك أنه إذا جاء أجل الله فلا يؤخر فاستسلم وتوضأ وصلى صلاة الموت حتى لحقته رصاصة من جند الأعداء أردته قتيلا .

وبموته إنتهى عهد المهديه وجاء عهد الحكومة القائمة حتى الآن ، تلك الحكومة المستبدة التى أنعمت بخيرات وثمرات السودان وامتصت دماء شعبه المسكين قطرة فقطرة وصار السودان منذ ذلك الوقت لقمة سائغة فى فم وحش مفترس جائع كالحمل الوديع فى قبضة الذئب المفترس .

ولقد استمر حكم المهدية ستة عشر عاما من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٨ هذه نبذة عن الخليفة التعايشى نرى منها أنه لم يشر فى الطريق الذى سار فيه المهدى من قبله ، وأنه طمع فى الدنيا وفى الملك وأهمل إدارة البلاد حتى تمردت عليه القبائل وأصبح مكروها . فنرى أنه هو المسئول الأول عن سقوط السودان فى يد الانجليز ، لأنه لم يوحد القبائل التى إن كانت كذلك لاستطاعت أن تصد جيوش الأعداء كما فعل المهدى من قبل وصد سلاطين وأرجعهم على أعقابهم خاسرين ، خاضعين

مستذلين ، ولكن شـــاء القدر أن يفعل مايفعل والحمد لله ، وانا سنعيد ماضينا بالعروبة والدماء ـ نخلدها على صفحات التاريخ البيضاء جيلا بعد جيل ، وسنأخذ بثأرنا حين تأتى الساعة ونحن غير ملامين فدقة بدقة والبادى أظلم والله أكبر على كل من طغى وتكبر

٣ ـ الشيخ أحمد الهدى

الشيخ أحمد الهدى بن فضل الله بن زايد بن صالح بن كنى بن الحسن بن عبدالله بن المكى بن عوض السيد بن صالح بن عبد القادر بن سواد بن شائك .

ولد الهدى عام ١٨٤٠ بمركز شندى من قبيلة الشايقية فرع السوارب .

حفظ القرآن الكريم فى خلوة الشيخ الرضى ، وكان رحمه الله مشهوراً بين اخوانه بالطاعة والعبادة والولاء والزهد وبمجرد أن وصلت إلى مسامعه أنباء ظهور المهدى ، شد رحاله إليه ، وألقى عصا التسيار بمدينة أم درمان ، وبايعه .

ثم قام بحركة العصيان المدنى أمام رجال الحكومة ، فحطموا الأسلاك التلغرافية والتليفونية ، ونشروا الفوضى والثورة فى كل البقاع إلى أن تبعته دورية الأميرالاى مصطفى باشا الذى حاصرهم على الشاطىء الأيمن من النيل بجهات دنقلا ، وهناك دارت رحى معركة قوية أسفرت عن قطع رأس الشيخ الرضى ووضعه على أعلا الباخرة ، دلالة على الفوز والانتصار وما كاد هذا المنظر تقع عليه عيون الأمة الثائرة الساخطة حتى علا الصياح والتهليل واندفعوا فى حماس منقطع النظير ودمروا الباخرة النيلية ثم انتزعوا الرأس من أعلا الصارى وأعادوه إلى معيتهم ولكن بدأ الدراويش يجمعـــون أشتاتهم مرة أخرى تحت راية ابنه الذى تولى الخلافة من بعده وشرع يحزو حزوه فجهز رجالاته وبث فيهم الروح الصادقة الوثابة فكفلتهم قوة الوطنية وذهبوا بدورهم يحاربون فى كل الميادين المختلفة يحملون

راية الجهاد والولاء فنهم من مات فى سبيل الشرف والكرامة ومنهم من جرح فى تأدية واجبه المقدس واستمروا على هذا المنوال يبذلون أرواحهم رخيصة .

واليوم تقيم أسرة ذلك البطل المغوار بجوار النيل الأزرق فى العقبة قرى غرب ودالحبشى ولاتزال تحيا حياة الأنفة فى دعة وأمن ، ولكنها فقدت تلك العظمة والجبروت وجردت حتى من السيطرة الفردية ولا زالت تحيـــا تحت الاستعمار فى ذكرى أولئكم الأبطال الخالدين .

٤ — السلطان على دينـــار

فى موضوعنا السابق أشرنا إلى أن السلطان على دينار خان سيده عبد الله التعايشى وخرج عليه ، وبعد وفاته صار سلطانا على مديرية دارفور بأسرها وكان هناك اتفاق بينه وبين الحكومة الانكليزية التى كانت تمتد حدودها حتى الأبيض على أن يدفع لها الجزية كل عام وتدعه وشأنه فلا تهاجمه ولا يهاجمها ، كأنهم على أرض سطرتها يداهم وبنتها قوتهم .

وظل هذا النظام معمولا به مدة من الزمن منذ سنة ١٩٠٣ ، ولكن الانجليز الماكرين لم يعجبهم هذا بل أرادوا القضاء على السلطان على دينار قضاء مبرما وقد مهدوا لهذا بأعمال الجاسوسية وبث الدسائس التى يتقنونها حق الاتقان ، وتلك سبلهم التى يتبعونها مع برودهم المعهود .

فقد كان السلطان على دينار يرسل كل عام محملا إلى الأراضى الحجازية فصار الانجليز يتبعون هذا المحمل فى كل مرة ويغدقون على القائمين عليه المال الوفير ويتوددون اليهم بشتى الطرق حتى استمالوهم وكسبوا قلوبهم ، ثم عرضوا عليهم وعوداً خلابة وأمالا براقة إن هم تضامنوا معهم على القضاء على السلطان على دينار.

فرضوا بذلك وأطلعوهم على أسرار الجيش وأماكن الآبار وبينوا لهم قوة

السلطان وموقف القبائل منه .

فرأى الانجليز أنه ليس من القوة كما كانوا يظنون وأنه يمكنهم التغلب عليه بسهولة ، ولكنهم أرادوا أن يكون هو البادى بالعدوان وخرق الميثاق فاوعزوا إلى جواسيسهم قواد المحمل أن يخبروه أن مركز الانجليز ضعيف وأن جيشهم تافه قليل العدد والعدة وأنه لا يمكنهم أن يجبروه على دفع الجزية إن هو إمتنع عنها .

كما أوعزوا إليهم أن يثيروا الفتنة بين السلطان وبين رؤساء القبائل .

وقد نجحت فكرتهم فصدق السلطان على دينار أقوال الجواسيس عن ضعف مركز الانجليز فأعلن إمتناعه عن دفع الجزية السنوية وأعلن عصيانه للانجليز ، ثم أرسل إلى مصر يطلب مساعدتها ضدهم .

فانتهز الانجليز فرصة خرقه للميثاق وأرسلوا له قوة لتحاربه ولكنه ردها خاسرة .

فقامت على أثر ذلك تجريدة مصرية كبيرة كافحته كفاحا شديدا حتى غلبته وسيطرت على دارفور .

ولكن الانجليز لم ينسوا أهدافهم الأولى وغرضهم البعيد الذى عملوا له من قديم الزمن ولا يزالون يعملون له بهمة ومثابرة وهو بث الشقاق والبغضاء بين المصريين والسودانيين توطئة لفصل السودان نهائيا عن مصر .

فأمروا جواسيسهم من السودانيين أن يذبحوا المصريين الذين كانوا يموتون فى المعارك ويضعوا دماءهم فى أفواههم ويعلنوا أنهم يأكلون الموتى من المصريين فظن هؤلاء أن السودانيين يبغضونهم بغضا عظيما ويحقدون عليهم حقدا شديدا بلغ بهم أن جعلهم يأكلون لحومهم موتى .

بل توهم بعضهم أن السودانيين من آكلة لحوم البشر !

وكان من نتائج ذلك أن ترك المصريون السودان ورحلوا إلى بلادهم .

والواقع ولا شك يخالف ذلك فلا السودانيون يكرهون المصريين ولا هم من

آكلة لحوم البشر ، ولكنها السياسة الانجليزية التي تعرف كيف تلعب بالعقول ، فجعلت المصريين يرفضون الاقامة فى تلك البلاد ويتركونها غنيمة باردة للانجليز الطغاة

وقد فطن أحد القواد المصريين لأمر هذه الدسيسه فذهب إلى السلطان على دينار وافهمه انه يعز عليه كمسلم من ابناء وادى النيل وطلب منه ان يتفق مع المصريين ويحاربوا جميعا ضد الانجليز .

وقد أوشك على دينار أن يقبل كلامه لولا جواسيس الانجليز الساهرون . فقد اسروا إلى السلطان على دينـار بأن هذا القائد المصرى الذى أتى معلنا أسفه إذ يقاتل أخاه ماهو إلا جاسوس انجليزى أتى له بمكيدة لاصطيـاده ونصحوه بالقبض عليه ، فصدقهم على دينار وقبض على القائد المصرى الهمام وهو لايدرى أى خطأ تردى فيه بعمله هذا .

ولـكن القـائد أقسم له انه صادق فى قوله مخلص النية فيمـا أتى له ، ورجاه ان هو لم يصدقه أن يرسله إلى مصر رأسا ولا يرده إلى الانجليز فينكلون به فأرسله السلطان على دينار إلى مصر بدرب الأربعين بعيداً عن أعين الانجليز .

هـكذا يفعل الانجليز ، وهكذا ينظرون نظرات بعيـدة ويضعون خططا منظمة يثـابرون على تنفيذها بالحيلة مرة وبالقوة مرة أخرى فيبلغون أغراضهم وينالون مآربهم .

لقد جعلوا المصريين يفتحون السودان بجنودهم وأموالهم ثم شاركوهم فى الحـكم ثم انحوهم عن الحـكم وانفردوا به دونهم بعـــد أن اوقعوا بينهم وبين السودانيين .

فياله من تدبير ماكر ويالها من سياسة منكرة ! .

نناشدك بالله يامصر أن تهبى وتصرخى فى وجه المستعمر الطاغية لتحفظى مابقى من علاقات بينك وبين شقيقك وتعملى على استعادة مايمكن استعادته من روابط مفصومه وعلاقات مقطوعة وقوانين موضوعة لأن الداء الانجليزى يستسري

حتى استفحل أمره وعظم خطبه ، وبدأت سلسلة الارتباط بين شتى الوادى تنقطع حلقة بعد حلقة ، حتى كاد لايبقى منها إلا خيط رفيع يوشك أن ينقطع هو الآخر فتحل الكارثة العظمى .

كل ذلك كسبه الانجليز بالتلاعب والخداع ، وأمور كلها مكر وخيانة فكيف لنا أن نكسبها ، نعم نكسبها ونكسبها والطريق لذلك يسير وجلى واضح كجلاء الشمس فى سماء الربيع السافرة ألا وهو بالحق والإيمان .

٥ – عثمان دقنه

عثمان دقنه هو من الرزيقات ، وأمه من الهبانية ، يقطن بدارفور وهو طاهر السيرة والسريرة ، حفظ القرآن عن ظهر قلب ، أما بلدته فى الأصل فهى الجنينة وقد ساهم السلطان على دينار فى الملك والجاه والسلطان — اشتهر بكراهيته البالغة الحد للانجليز ، صلب العود ، شديد المراس ، قوى الشكيمة ، لايخشى فى الحق لومة لائم . وهو بطل مغوار وأسد هصور ، وقائد محنك فى الحرب ، وله ذكاء حاد سريع البديهة ، ذائع الصيت ، كبير المقام، عالى الهمة ، كثير الدهاء ، شديد الفراسة ، جميل الطباع والخصال، كريم يغدق بإحسان شأن من لايخاف الفقر وهو من الذين حملوا مشعل الحرية وراية الجهاد وجرد السيف على الأعداء وأبلى فى سبيل الواجب والشرف والوطن بلاء حسنا .

وكان عثمان رجلا مقداما عنيداً له صولات وجولات وبمجرد أن سمع بالمهدية بايع المهدى على الفور ، وكان من أكبر القواد والأبطال المجاهدين فى المهدية ولا شك فقد دلت الحوادث ان عثمان دقنه كان يحرص كل الحرص على الكرامة السودانية ويحب وطنه حباً جماً ، وقد أبلى فى سبيله بكل اخلاص وولاء

وشجاعة ما جعل الإنجليز يحسبون له حساباً كبيرا ويمجدونه حتى استفحلت عظمته وطار صيته ، فكان هو المجاهد الأول مع المهدى ، وبعد حرب الانجليز مع المهدى قبض الانجليز عليه وأسروه بوادي حلفا ولا يزال يؤمن بالمهدى إيماناً حقا ، فلم تتغير عقيدته ولم تتزحزح ، بل كان مؤمناً صادقا ومواطنا حقا وكان من الذين أسروهم معه محمود ودزايد وعبد الله نعيمه ومحمد ود ابراهيم

هذا هو السودان وأبطاله الذين تحملوا ما لا طاقة للبشر باحتماله ، وقد سافروا إلى بلاد الخارج وكانوا مثلا للشجاعة والاستعداد للموت فى سبيل بلادهم وحريتها الحمراء .

وكان عثمان دقنه واسع الصدر ذا لحية بيضاء مباركة ، ينم مظهره على البطولة والقوة والصرامة والكرم والصدق والولاء يرحب بالناس ويرعى الذمم ويوفى العهد ويحفظ الميثاق ويؤتى كل ذى حق حقه ، قوى صادق الإيمان .

هذا البطل العظيم لاشك يستحق أن تقام له التماثيل اعترافاً ببطولته واقدامه ونصره وأخشى أن تغيب عن المفاوض المصرى مثل هذه الشخصية .

وقد أضحى هؤلاء الأبطال مثال الدمى المتحركة فى الأيادى الانجليزية يعبثون بهم .

فإلى أمثال هؤلاء وإلى ذكراهم التمجيد والتعظيم والاجلال .

٦ — الأمير عبد القادر ود حبوب

كان عبد القادر ود حبوب أميرا من أمراء المهدية وهو من قبيلة الحلاوين ، حفظ القرآن الكريم وكان مشهورا ببلاغته وكان يعد من أكبر الشعراء فى ذلك الحين . وقد حضر جميع المعارك المهدية وأبلى فيها أحسن البلاء . وكان سخيا كريما يضرب بكرمه الأمثال كما كان بطلا شجاعا صلب العود قوى الشكيمه شديد المراس

وقد وهبه الله بسطة فى العيش فهو يملك الأراضى الشاسعة التى يزرع بعضها بماء النيل والبعض بماء المطر كما كان يملك المواشى الكثيرة والخيول المطهمة والابل الأصيلة وكان يقيم ببلدة يقال لها « شرفت » بالقرب من مركز « الحصاحيصا » وكان يقيم فى نفس البلدة فى ذلك التاريخ سنة ١٩١٣ تقريبا رجل من كبار العلماء وعظيم فى قومه يدعى الشيخ عبد الكريم وهو يمت بصلة قرابة إلى السيد محمد أحمد المهدى مؤسس المهدية وحاكمها الأول ، وكان يؤم داره عدد كبير من الأنصار والزوار من جميع قبائل العرب كل يوم . وكان يقيم بتلك البلدة أيضا عالمان آخران لهما قدرهما ومكانتهما فى قومهما وهما الشيخ بليلو والشيخ صالح .

وقد اتفق رأى هؤلاء العلماء الثلاثة أن يقوموا بحركة مقاومة ضد الاستعمار الانجليزى فتوجهوا إلى الأمير عبد القادر ود حبوب على رأس وفد من أكابر القوم وطالبوه أن يرأس حركتهم لمناوءة المستعمرين ومحاربتهم ، فاستجاب لهم وبدا يعد عدته للجهاد فارسل إلى القبائل الموالية له والتى تأتمر بأوامره يدعوهم اليه بكامل معداتهم وأسلحتهم فاقبلت عليه الرجال من كل حدب وصوب فلما اكتمل عددهم وقف فيهم خطيبا قائلا « انى قد استخرت الله واعلنتها حربا شعواء مقدسة لا هوادة فيها ضد حكومة السودان الظالمة الغاشمة ، وقد آليت على نفسى ألا أضع سلاحى ولا أتوقف عن جهادى حتى يخرج المستعمر الغاشم من السودان أو أموت شهيدا فى سبيل الحق والشرف والكرامة . فمن يرى منكم أن يكون معى إلى النهاية فليبق . ومن يرى غير ذلك فليذهب إلى مقره ولا تثريب عليه » . فعاهده الجميع على أن يكونوا معه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ولما أكمل استعداداته أرسل خطابا إلى مفتش المركز يعلنه فيه بموقفه من حكومة السودان وأنه على إستعداد لمقاتلة قواتها إذا أرادت :

فلما وصل الخطاب إلى المفتش البريطانى قام ومعه مأمور المركز وبعض الجنود قاصدين بلدة الأمير عبد القادر ود حبوب ليستطلعوا مدى ما فى أمره

من الخطورة ويقفوا على جليته . ولم يكد المفتش البريطانى وصحبه يصلون إلى البلدة حتى قبض عليهم ود حبوب وأمر باعدام المفتش فورا وسجن الباقين.

وسرعان ما انتشرت أنباء هذا الحادث وملأت جميع بقاع السودان ، فرأى بعض الزعماء أن الوقت لم يحن بعد لهذه الأعمال وكتبوا إلى الأمير عبد القادر يطلبون منه الرجوع عن هـذا الأمر ويحذرونه عاقبته وينصحون له بالتريث ولكنه لم يعر كل ذلك التفاتا بل أعلن أنه سيضحى بكل شىء فى سبيل هذا الجهاد الذى يعتبره واجبا وطنيا يجب عليه أن يؤديه كأحسن وأكمل مايتطلبه الأداء :

وقد أرسلت حكومة السودان إلى الأمير ود حبوب قوة من الجند لكنه هزمها وشتت شملها ، فقامت على أثر ذلك فرقة كبيرة من الجنود البريطانيين وغيرهم وهاجموا عبد القادر ود حبوب فى بلدة « التكلة » واستطاعوا لكثرتهم أن يهزموه وقد أعدموه ونكلوا بأسرته انتقاما منه ، واستولوا على جميع أراضيه وأملاكه وخربوا بيوت جميع أتباعه .

هذه نبذة قصيرة عن الأمير عبد القادر ود حبوب الذى أبى أن يرضى بذل الاستعمار فكافح الانجليز إلى أن استشهد فى سبيل الوطن والحرية والكرامة . وهى حادثة مهمة لها خطرها فى تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ولكن للأسف أغفلها وكان يجب ألا يغفلها المؤرخون والصحفيون ، كما أغفلوا كثيرا غيره من الوطنيين الذين ناوءوا الحكم الانجليزى الغاشم ولم يوفوهم نصيبهم من الذكرى والاعتراف بحقهم ، وكم هناك غيرهم ممن استشهد فى سبيل وحـدة وادى النيل تحت التاج المصرى العظيم ، ولكن لم يلتفت اليهم أحد ، وكم هناك من يقاسى الأمرين فى سبيل هذا المبدأ ويلاقى العنف الشديد من الحكومة الانجليزية ويكابد السجن والتشريد والنفى من بلاده والبعد عن أولاده وعشيرته .

٧ ــ الزبير باشــا رحمة

لم يدر نجلو الزبير باشا الجعلى الجيعابى حين أتم دراسته فى المدرسة الأولية بالخرطوم عام ١٨٦٠ أن التاريخ خصص له صفحات خالدات بين القواد الفاتحين والأبطال الخالدين ، وهو ينتمى إلى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم بصلة النسب فهو من أعرق عائلات الجعليين ، وكان يقطن « بالجيلى » مسقط رأسه ومقر عشيرته وهى تقع على شمال الخرطوم .

وقد غضب الزبير باشا من أبناء عمومه لفتنة أثيرت فى البلدة مما جعله يهجر داره ويشد رحاله إلى كردفان فينزل فى ضيافة أحد التجار المشهورين بقرية « شركيله » واسمه عيسى رباط . وكان عيسى هذا من أكبر التجار وأوسعهم ثراء وكان له أعداء كثيرون دبروا هجوما عليه لنهبه وسلب المدينة ، فجمعوا نفراً من العرب الذين يقطنون الجبال المحيطة بالبلدة وهجموا عليها ليلا وأعملوا فيها نهبا وسلبا . فلما علم الزبير باشا بالحادث إستشاط غضبا وطلب أن يمنحوه سيفا وحصانا ليقاوم المعتدين ، فأعطاه أحد التجار واسمه زيدان سيفا تذكاريا وحصانا أصيلا فهجم الزبير على المغيرين المعتدين وأعمل فيهم تقتيلا وتجريحا حتى ردهم على أعقابهم خاسرين وأعاد ماغنموه من مال ومتاع ، ولا غرو فالزبير باشا كان مشهورا من أول أمرهم بالشجاعة والبسالة وعزة النفس فلم يستسلم للظالمين ولم يسكت عليهم ويدعهم يأخذون مايأخذون بل ثار عليهم وحال دون نيلهم لبغيتهم وردهم خائبين .

انتشرت أنباء هذه الحادثة فى كل بقاع كردفان وصارت حديث المديرية بأسرها وأصبح إسم الزبير باشا يجرى على كل لسان . وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت بلا حاكم ولا نظام وكانت فوضى يعبث فيها اللصوص والسفاكون وكان الناس فى خوف دائم على أرواحهم وأموالهم . فلما هزم الزبير باشا تلك العصابة

الشريرة وعرف الناس فضله استمر فى مهاجمته للعصابات المرابطة بالجبال المحيطة بالبلاد حتى طهر البلد منهم وحارب كل المعتدين على حقوق الغير والخارجين على النظام والقانون حتى استتب الأمر وعمت الطمأنينة والأمن وحل النظام محل الفوضى والاضطراب .

وسيطر الزبير على جميع كردفان وبلاد النوبه وقبض على الأمر بيد من حديد . وقد دان له الناس واعترفوا بزعامته وولوه أمرهم وأحبوه حبا جما لما له من شجاعة عظيمة وأخلاق كريمة وأصبح صاحب النفوذ الأول والرأى المطلق فى كل أرجاء كردفان .

وبالطبع لم يرق ذلك فى عين الحكومة الانجليزية ولم ترض عن هذا الزعيم الجديد الذى صارت له سلطة عظيمة يخشى منها على نفوذها خصوصا وانه كون جيشا عظيما من الزنوج والنوبيين والعرب وسلحه جيدا وجهزه بالخيل الأصيلة وقد كانوا مشهورين بدقتهم فى إصابة الأهداف وبشدة بأسهم وخشونتهم نظرا لطبيعة بلادهم المليئة بالجبال والغابات التى تموج بالحيوانات الضارية ولتعودهم على احتمال كل أنواع المشقة والشدة .

ولذا فقد اشتدت الجاسوسية الانجليزية تتسقط أخباره وتحاول أن تعرف مدى قوته وأصبحوا يبثون ضده الدعايات الكاذبة ليكرهوا الناس فيه ولكنهم لم يفلحوا .

هذه نبذة عن الزبير باشا الرجل الذى تمسك بمبادئه وعمل لها جاهدا حتى توفاه الله .

وكانت أهم مبادئه هى نشر الدين الاسلامى بالحكمة وبالسيف وقد أسلم على يديه كثيرون من الزنوج الوثنيين وكان من هذه المبادىء أيضا وحدة وادى النيل فقد كان يحب مصر حبا جما ، وكان يرى أن لاغنى للسودان عن مصر وانه لابد من ارتباط شقى الوادى حتى يكونا دولة واحدة قوية . وكانت مصر تعرف ذلك

فيه وتقدره فانه حينما نزل إلى مصر أحسنت ضيافته وأكرمت وفاده وأنعمت عليه بلقب الباشوية .

وقدخلف الزبير باشا أسرة كبيرة كلها تدين الآن بمبدأ أبيها وهو وحدة وادى النيل تحت تاج الفاروق وهم موالون للسيـــد على الميرغنى باشا يحبهم ويبارك لهم، ولذلك فهم هدف مستمر للمعاكسات البريطانية البغيضة التى اشتهروا بصبها على كل من يدين بالولاء لمصر أو يطالب بوحدة الوادى .

٨ ـــ الشيخ محمد الفقـــير

كان الشيخ الفقير أحد كبار السودانيين الذين اعتلوا مراتب العظمة والمجد وكان يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ويتلوه تلاوة صحيحة مع التجويد المرن .

وقد تتلمذ على يديه كثيرون كما كانت له ثروة عظيمة مصدرها الزراعة التى درت عليه رزقا كثيرا وكان له أتباع كثيرون يبلغ عددهم بضعة آلاف وهو من أمراء دارفور .

وكان مطية سهلة لقيادة المستعمر وآلة يعبث بها كيفما شاء دون رقيب .

فقـد اشتهر بالثروة الذهبية مع اكتنازه للاحجار الكريمة النادرة ويرعى المواشى على إختلاف أنواعها وأجناسها .

وقد لازم الانجليز كالظل يمدونه بالمال لكى يستعين به لهدم القبائل الأخرى ويوجهونه ويحرصون عليه كل الحرص ليكون أداة استعمارية يجنون ثماره فى المحنة ويمدون عوزه وقت الحاجه إلية ، مما يدل على أن الروح الاستعمارية تكمش بين جوانحه وسرت فى شرايينه كالدم ولا يزال المستعمر يلازمه ويرعاه ويتعهده حتى أضحى انجليزيا صرفا إلى أن لبى نداء ربه .

فنقلت خلافته إلى أحـــد أبنائه وسار هذا على سياسة أبيه ولا شك

فمن شابه أباه فما ظلم .

وكان يطلق على هذا الابن لقب الأمير وكان يقطن بقرية قيسى بالقرب من جبل العطرون فى غرب السودان فى المنطقة الواقعة بين الفاشر والجنينة وتبعد عنها البلدة البيضاء أى الجزر فهى على مسافة بضع كيلو مترات بجوار جبل شنقيط وهذه البلدة كانت تحت رعاية السلطان على دينار .

ولكن بعد وفاة السلطان تمرد السكان وخرجت البلد من النفوذ واستغلت إستغلالا ذاتيا تدير شئونها أعراب الغيسان والفيسان وأعراب مليط وأعراب الميدوب لأن لهم حصون من جبال شماء ومخابىء وعرة المسالك يعجز المعتدى أن يلجها .

وقد أوعز الأمين بن الشيخ محمد الفقير إلى أولاده على دينار بعد وفاة أبيهم أن ينزحوا من ديارهم إلى بلاد أخرى .

وبذلك استولى الانجليز على جميع ورثة السلطان على دينار وعشيرته وكل من كان ملتفا حول السلطان ، ونذكر منهم ابنه الأكبر الأمير ذكريا ويحى وهرون ومصطفى وعبد الله وراشد ودوكه وصالح واسحق ويعقوب وناصر وسالم وعلى وعبد الرحمن ، وبعد أن اطمأن الانجليز لحصر جميع أبناء البطل الراحل ببلدة تندلتى بمركز أم روابه وقرروا مرتبا شهريا ٢٨٠ قرشا لكل منهم والا يعود أحد منهم إلى بلاده .

بدأ الانجليز يفكرون تفكيرا جديا فى مشروع المادوب الذى كان نتيجة أخطاء الملك الصياح الذى أنجب ولدا سمى الصياح الذى ساس عرب المادوب وتولاها

ويقطن عرب المادوب فى الأرض الفضاء الرحبة الواسعة التى تقع بين الفاشر حتى حدود دار الكبابيش وقد ولاه الانجليز الملك والعظمة والسلطان

ومما يستحق الذكر أن الملك الصياح كان يعمل جنبا إلى جنب مع السلطان على دينار يتبادلون الرأى ويعملون معا .

وكان يملك ثروة حيوانية منقطعة النظير وقد اشتهر بتربية نوع خاص من الأغنام أطلق عليه اسم غنم المادوب .

وقد اشتهر عرب المادوب بالأخذ بالثأر فكثيرا ماشنوا حروبا على عرب الكبابيش واستولوا على أموالهم ومواشيهم وكانوا يغتنمون الفرص السانحة عندما ترعى المواشى على سفوح الجبال فيهجمون بغتة وعلى حين غرة فيأخذون كل ماتقع عليه أيديهم .

ولقد بلغ نبأ هذه الهجمات إلى مسامع الانجليز فنصبوا لهم شباكا وذهب الجيش يكمش فى التلال والجبال والوهاد إلى أن ظهر الثوار فالتف حولهم الجيش وقبض عليهم وعلى الأمير وأخذوهم أسرى وبعد ذلك جعلوه ملكا على جميع القبائل فى تلك المنطقة .

ثم عقدوا مائدة مستديرة للصلح إتفق فيهاالعرب وجميع الشراتى ولقب الشرتاى هو اقب الأمير بعدما كانت لهم حروبا شعواء بينهم وبين السير على القدم .

فألف الانجليز - كما أرادوا لهم كما فرقوا بينهم سابقا بدخول التجار وأخذ الأخبار عن طريقهم .

ومما يذكر عن الملك الصياح أنه كريم وعطوف وشجاع للغاية وله من الدهاء والذكاء مالا يوصف وبعد ذلك كله صار الانجليز يجمعون المال بشتى الطرق حتى استولوا على جميع الثروات وشتتوا أهل البـــلاد وضيقوا عليهم الخناق وموارد الرزق .

ومما يدل دلالة واضحة وقاطعة أن الانجليز يعتمدون اعتمادا كاملا على السودانيين أذناب المستعمر وآلته الخرساء الصماء ، اعتمادا كاملا وعلى أبواقهم التى يخاطبون بها الجماهير من الأهالى المساكين المغلوبين على أمرهم .

أما السودان فقد أصبح لقمة سائغة للستعمر الذى اغتنم الفرصة وعاش فى أرض الوطن فسادا عظيما .

ناهيك بما فى الأمة من الجهل الراسخ ومركب النقص الذى ملأ الفراغ واستولى عليه مما جعل الأدعاء والغباوة واستكبار الذات والبلادة وحب العظمة وعدم المعرفة والتناقضات كامنة فى هذا الهيكل المحطم.

كان الله فى عون السودان وليحطم الله قيود الاستعمار وليهلك الكفرة المجرمين الذين باعوا الوطن بأرخص الأثمان ومن هنا ينتهى الحديث عن الشيخ الفقير وما واجهه من المستعمر الغاشم ، ألا قاتله الله وأيد وحدة وادى النيل تحت تاج مليكنا المعظم فاروق الأول ملك الوادى أيده الله بنصره وحمى الكنانة المصرية بروح من عنده .

٩ — الملك ناصر عدلان

الملك ناصر عدلان من ملوك الفونج وكان يقطن ببلدة تسمى سنجا عبد الله ، وبلدته الحقيقية أسمها جلى بجوار الأراضى الحبشية وكان يملك ثلاثين جبلا وكان من أعظم رجالات السودان وكان تاجراً يسافر إلى الحبشة ، وكان رجلا عظيما له وقار وولاء وكان كريما يغــدق الخير على الناس غنى النفس يجدد بما عنده وتمتد سلطته إلى بلاد مكوار وسنار والزنوج والوطاويط وأهل الجبال وقام الانجليز يوجهون النظر إلى بلاده التى كانت تحتوى آثار الفراعنة القدماء ، وكان للملك أسرار كثيرة جدا ، وكانت السوكى والقويس وسنجا عبد الله وقردبه وأبى هاشم والكتنبرى والدندر والرهد التى قاومت الجيش بمفردها بالمحاريث وكان الملك صاحب ولاء وتقوى واحترام ، وكان يملك غرب سنجا ، والبلد الأساسى لهذه هى أبوحجار وحدودها قلابات وقد اشتهر بالطيبة وقد وقعت هذه البلاد فى يده من عهد السلطان تيره أباه من قديم الزمان وقد تزوج الشيخ فرح واد تكتوك البطحانى ابنته .

أما الملك تيراب فقد أنجب الملك تيره والملك تيره انجب الملك ناصر عدلان وهذا الأخير كانت له سطوة وعظمة وقوة أرادة فى بلاد سنجا ومكوار وقد تزوج الشيخ البطحانى منه وبعد وفاة الملك عدلان أصبح الملك ناصر الذى يقطن الآن سنجا وكان من أكبر رجال الفونج ولا شك بعد دخول الانجليز فى تلك البلاد أحضروا اعرابيا من الحمده يسمى العجب واد أبو جن من الحمده وكان هذا الرجل غنيا فى بلاده ، ومسكنه الأصلى أبو هشيم بجوار الكتنبرى وبلدة أخرى أسمها قرديه ووسطها وديان لها كبارى وتقع بجوار محطة أسمها الحصيره والحواته مشهوره بتوريد الصمغ فى العالم والسوكى المركز الأساسى وكانت تتبع الملك ناصر عدلان ، ولقد أحضر الانجليز العجب واد أبو جن من بلدة جبال التيوس وجعلوه ناظرا بدلا عن الملك عدلان واستولى على جميع البلدان وكان فى ذلك العام العجب واد أبو جن صاحب الحظ وهو المستولى على تلك البلاد واقتلعوا من القطر والبقاع عنده وجعلوه يقيم بالفونج لأنه اشتهر بالغنى فى بلاد العرب وقد كان ناظرا مسئولا للعرب ضد الملك ناصر عدلان استولى على الاقطاعيات وأملاك الملك ناصر وكان الملك ناصر محاصرا بسنجا وقاطعوه مقاطعة تامة وفرضوا عليه ألا يخرج إلا بأمر الانجليز ومنحوه مرتبا ضئيلا وهذا شأن الانجليز بالأسر العريقة والعائلات الكريمة والعناصر الطيبه وقد استولوا عليه وشردوه ولا أعتقد أن تلك الأنباء وصلت إلى المفاوض المصرى مطلقا وهذه هى الحقيقة لا غبار عليها مطلقا .

وبعد وفاة العجب واد أبو جن منحوا السلطة التنفيذية لولده يوسف العجب فى تلك البلاد أما الملك ناصر فلم يخرج مطلقا من مديرية سنجا وهذه البلدة كانت ملكا له من عهد غابر قديم وهى تشتمل على وديان وأخشاب وزراعة مطرية وزراعة بحرية وأرض خصبة بكل المشاريع الزراعية وبها القرض والسنط والصمغ بالقناطير الغير المعدودة ويزرعون فى بلدة بالدندر البرتقال والموز وقد

فكر الانجليز تفكيرا جديا ليستولوا على ثروة البلاد الاقتصادية وهى متوفرة للغاية فجوال الفحم يوازى خمسة قروش صاغ وهى للمصانع المحلية كالمراكب والأبانوس وجميع الأخشاب التى أصبحت فى متناول الانجليز وقد استولى الانجليز أيضا على جميع خيرات السودان وضاع السودان بين أيدى المستعمرين الانجليز وأصبح تحت نفوذهم المباشر

فأين مصر وأين نحن منها !! أين الروح لتحيي الجسد !!

أما تلك الأراضى التى لانظير لها مطلقافى الشرق العربى بأسره غاية فى الخصوبة والتربة الصالحة والنبات المتوافر وتكثر التربية الحيوانية كالجاموس والفيل والغزال وقد صارت كل هذه الحيوانات من الجرأة حتى أنها تدخل الحدائق علانية .

أما الانجليز فقد استولوا على تلك البلاد استيـــلاء تاماً فهل علم المفاوض المصرى بكل هذه الأمور وهل أخطركم الوفد السودانى بما هناك ، لا أعتقد أن المصريين يستطيعون معرفة هذه الأشياء ، ولا يجسر أحد أن يعلمهم بها خوفا من بطش الانجليز ونقمتهم لأن الانجليز استعبدوا جميع الأجناس بالسودان كالرقيق وأخذوا جميع المحصولات كالذرة والقمح وجميع ماتقع عليه أيديهم فكيف التدبير والروح المعنوية تبيت بالفناء .

وقد تطوعت بشرح هذه الحقائق كمواطن يعمل من أجل الواجب المقدس والوطن العزيز ، ويتلظى من نار الاستعمار ، ولا شك سيأتى ذلك اليوم لينال كل ذى حق حقه والله على ما أقول وكيل .

١٠ — السحيـــلى

السحيلى بطل من الأبطال المعروفين بالسودان ، ويقطن بدار الزيقات وهو من سكان قبائل الهبانية من أبيه ، ومن دار الزيقات من أمه وكان صالحا قانتاً

تقيا طاهر السيرة والسريره ، يخاف الله ويخشاه كثير العبادة وكثير الرجاء والطلب وكانت له آمال جسام عالقه بالتضحية فى ميدان الشرف والكرامة على سنة آبائه الذين باعوا دماءهم فى الحرب المهدية فى ركب المهدى ، والنار تضطرم اشتعالا ، ولا شك كانت الروح الثورية ساعية للانتقام والأخذ بالثأر .

ولقد كان هذا الرجل ذا نفس صادقة آخذة فى العمل ، فلم يقنع للاستكانة والضعف والحوز ، وقام يدعو قومه حتى احتشدوا أمة واحدة وأعلن الجهاد وأقام حركة التحرير والتطهير فى أرض الوطن وكان يقيم فى ذلك العهد بقرية كاس قرب مركز نيالا وكانت تحت إشرافه زالنجي وجبل مره وكانت محط رحال جميع القبائل والعربان وبعض قبائل دارفور وكانت بلاده تكثر فيها المراعى الخصبة والآبار وهى من أحسن بلاد السودان جودة وصلاحية .

أما الحاكم الادارى بمركز القرى فهو مواطن سودانى يدعى حسن الزين وبعض الضباط والجنود والموظفين . ولا شك كانت الحياة بدائية أقرب إلى الفطرة منها إلى المدنية ، وكانت المواصلات ونقل البضائع بالجمال ، وتحكمهم ادارة محلية تطبق قانون عرفى ، وبمجرد إعلان الثورة الشمالية كان المركز أول من اكتوى بنارها . والغريب أن المركز رغم وجود السلطة الحكومية لم يجد السحيلى أية مقاومة بل سرعان ماوقع تحت يديه ، وبمجرد انتصاره اختلف الرأى العام ، وظن البعض ان مهديا جديداً بعث لهداية الأمة والبعض ذهب فى تسمية مذاهب شتى إلى أن وقف عبد الله السحيلى ليهدى أهل الضلالة بأنه مجرد مواطن يحارب من أجل واجب شرعى وحق مقدس .

وقد آل على نفسه أن يخرج الانجليز بحد السيف ويبيدهم عن بكرة أبيهم ، وواصل زحفه إلى النهود ، وقبل أن يصل إليها كان على أبوابها جماعات عسكرية التفت به ، ودارت رحى المعركة ، ووقع السحيلى أسيراً وكثرت الضحايا من الموتى والجرحى والأسرى وقد نكل الانجليز بالقبائل وأبادت القوم دون أن يخشوا

لومة لائم ودون واعز للضمير . فليرحم الله البطل العظيم ويسكنه فسيح جناته .

١١ — أبو رفاس

كان هذا البطل المقدام من قبائل الجوامعة وهو عريق من بيوت كريمة ،كان يتاجر بالدمور فى كرمك والرصيرص ، أما مسقط رأسه فبلدة تدعى كندية بالقرب للكدركة بجوار مركز أم روابه ولقد تزوج من بلدة فى الصعيد إسمها أبو حجار امرأة من أهالى الفونج وأنجب منها ولداً يدعى عبد الله ابو رفاس .

أما هذا البطل فقد كان تحفة عظيمة فى الخلق ، والثورات ضد الاستعمار كانت تكمن فى سويدائه وروح الحقد والكراهية ترعرعت وسارت فى شرايينه ولقد جمع بعض السلاح عن طريق المهربين من الحبش واعتمد على أفراد عديدة وعند ما توافر العتاد الحربى ، أغار على المركز وحطم بناءه واعتقل الاداريين والملكيين كأسرى ولم يكتف بهذا بل حطم إحدى البواخر النيلية التى كانت على شاطىء مدينة سنجا ولقد أحب هذا البطل مصر حبا جما وكم كان يدعو الله أن يجمع شتات القطرين وقد نشر الفوضى مدة من الزمن إلى أن نال حقه ، وقضى الانجليز عليه قضاء مبرما ، فها هو ذا يذهب إلى ربه راضيا قرير العين يشكو إلى الله العلى القدير ظلم الانسان لأخية الانسان فإلى روحه الطاهرة دعوات طيبات مباركات وليرحمه الله رحمة واسعة ويدخله جنات عدن مع الأبطال الآخرين الذين استشهدوا من أجل وطنهم العزيز .

١٢ — السلطان مايرنو

هو السلطان المسئول عن الفلاته بارض سكته وهو صاحب السطوة والنفوذ والامارة وهو من أكابر قبيلة الفلاته ، والفلاته فى الأصل من قبائل هوسه وكان

يملك قبائل بنى ميه ، قوى صلب لا يضارعه فى الصرامة والعنف والجبروت والعظمة فرد ولا يدانيه فى الكبرياء والشمم رجل . إنه إذا قال فعل وإذا عزم نفذ وإن ثار أو غضب فبئس شره ، وكان بمثابة حجر عثرة بين الفرنساويين الانجليز على السواء لأن بلاده بين الحكمين حتى صار من المستحيل أن يطأ الانجليزى أو الفرنسى أرضه ، وقد اشتهر هذا السلطان بالذكاء الخارق ، والعلم المستفيض والدهاء السياسى العظيم والرصانة والفصاحة وكثرت معارفه من أبناء العرب وربطت بينه وبينهم أواصر الصداقة المتينة الممزوجة بالاجلال والاحترام والتقدير .

وقد ارتبط بعدة معاهدات مع السلطان على دينار سلطان دارفور وكان بينهما تحالف وثيق العرى ، ونشأت بينهما صداقة وطيدة ومتينة .

أما مسقط رأسه فبلدة تسمى كنو وله عشائر عديده كالهوسة وبنى ميه ، ولقد اشتهر هذا السلطان بالعظمة مما جعل الفرنسيين يتحببون إليه ويرسلون إليه الهدايا والتحف النادرة فكان يتقبلها بكل هدوء وعظمة وقد زود أعوانه بالحراب والسيوف والرماح المسمومة وكانت جميع رجاله تلبس الحجابات الواقية من الرصاص واشتهر قومه بالعلم كالطب والفراسة وضرب الرمل كما اشتهروا بحفظهم للقرآن الكريم عن ظهر قلب والتجويد المسلسل وقد وصلوا إلى درجة كبيره من التقدير الفكرى الناضج كما أنهم اشتبكوا مع الانجليز فى معارك دموية خرجوا منها مكللين بالنصر والفخار وكان السلطان مايرنو يعيش مكرما عزيزا موفور الكرامة فى بلاده وقد اختلفت طبقات شعبه من أجناس شتى اشتهروا بالعلم النادر الوجود والأعمال السحرية .

والزراعة تقوم هناك على قدم وساق كالسمسم والدخن ولهم عقيدة دينية وإيمان لا يتزعزع وقد حرموا المخدرات أيا كان نوعها وجميع الموبقات والخمر تمشيا مع الفرائض الدينية والسنن المحمدية وكانت أعمالهم على نمط صحيح وطريق واضح غير ملتوى على المثل العليا .

والفلاته تنقسم إلى ثلاث عناصر وهم سكتو وهوسه وفلاته وقد ازداد تعدادهم زياده مضطرده .

وبعد أن لبي السلطان مايرنو نداء ربه وانتقل إلى الدار الأخرى احتل مكانه ولده ونصب نفسه سلطانا بدلا عن أبيه وفى ذلك الوقت بدأت السياسة الانجليزية تعمل عملها ففكروا فى اجتذاب الابن إلى حظيرتهم واحتضانه فبدأت تمنحه المعونة وتعمل له جميع التسهيلات وتجيب له جميع طلباته ومهدوا له زيارة بيت الله الحرام وتأدية فريضة الحج وأحاطوه فى غدوه ورواحه بكل أسباب الراحة المقرونة بالاحترام والاجلال ، وبعد ذلك ذهبوا به إلى بلاد الانجليز بقصد الترويح عن النفس ولما تم لهم ما أرادوا أصبحوا هم المسيطرون عليه وبدأوا فى انتزاع السلطة منه شيئا فشيئا . وتجريده من أملاكه حتى أصبح لايملك إلا المرتب الضئيل الذى منحوه له كما فرضوا عليه الاقامة فى بلدة تسمى باسم أبيه مايرنو بجوار الشيخ طلحة ولما استقر به المقام لحقه الكثيرون من الفلاته وأقاموا معه ، وفاء منهم لأهل بيته حتى أصبحت مدينة عظيمة وبدأوا فى زراعة الأرض وبذلك تمت المكيدة الانجليزية إذ أفسدت ضمائر القوم وذهب تمسكهم بالعقائد الدينية هباء منثورا واختلط الحابل بالنابل وامتزجوا مع جيرانهم بالنسل وبدأت قوميتهم تضمحل مع عزائمهم .

وقد سهل الانجليز للفلاتة الانتشار فى البقاع المجاورة حتى لايتكتلوا فى مكان واحد فسهلوا لهم الاقامة فى سنجا ومكوار وبذلك انتشر الفلاتة فى كثير من البلاد وفى كل بقاع السودان تقريبا كما أرادته حكومة السودان .

أما السلطان مايرنو فقد استكان للانجليز ورضى عنهم وباعهم نفسه ورجاله مقابل اعتماده ناظرا لكل قبائل الفلاته أما ناحيته الخلقية فطيبة وهو كريم إلى أبعد حد ذو شخصية محترمة ، كما اشتهر بالمروءة والتقوى والقبائل ، ولكنه كان محدود الرزق ، وزالت معالم الخيرات وتلاشت المظاهر العظيمة التى كانت تحيط به

وبقومه — تلك هي الحالة المخزية التي كانت نتيجة لأعمال الانجليز لكي يضعفوا ايمان المؤمنين فهل وصلتكم مثل هذه الأخبار التي نكشف عنها الستار ؟

وبالاجمال فقد كان من نتائج هذه السياسة الانجليزية أن فقد الفلاته الكثير من الصفات التي كانت تميزهم عن غيرهم من التقوى والصلاح والعز والأنفة والكرامة والتعمق في علوم الدين والفقة .

ويقيم السلطان ما يرنو الآن في بلدة تسمى الجنينه وكذلك يقيم فيها سلطان مساليت ويدعى محمد بحر الدين بغرب الحدود السودانيةوعلى بعد شاسع من فرلاميه وفوق فاى وبانقادام التيمان وقرز بيضه وأم دم وهذه البلاد كبيرة جدا وهي مستقلة بسلاطينها .

ويكثر العرب هناك وهم بنو حسين وبنو هلبه وبنو حرار ودغيم وكتانه وكتين وسلامات وبرقو وبرنو ومساليت وباقرمه وجميع هذه القبائل يسيطر عليها الانجليز وتكثر فيها المواشي وبها مراعى نادرة الوجود وعدد سكانها يقرب من الأربعة ملايين وجميعها تحت النفوذ البريطاني .

فهل يعلم الشقيق المصري كل هذه الحقائق ؟ حقائق المستعمر الخفية !

١٣ — الشريف محمد الأمين الهندى

لقد نزح أجداد الشريف محمد الأمين الهندى من بلاد الهند وأقاموا بقرية بالقرب من الشيخ عبد القادر الكيلاني وهي بلاد اسمها نواره في الدندر والرهد وكان يسلك الطريق على السيد الحسن رضى الله عنه وكان أكبر خلفائه وقد اشتهر بالصدق والأمانة في حضرته ، وكان مقرئا عظيما للقرآن الكريم حتى اجتمع في حضرته أناس كثيرون ، وكان الشريف محمد الأمين رجلا ، له مكانة كبيرة ، ومقام عظيم وسمعته فاقت كل الآفاق وقد بلغ علمه إلى الدرجة التي سخرت له

الجن وقد حفظوا عليه القرآن . ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه حين أخبره أن انتقاله إلى الدار الآخرة سيكون بالرهد ، وهو ساكن في الدندر والرهد بيلدة نواره تقع أمام الشيخ محمد الركين ومركزها المفازه .

وبمجرد قيام الثورة المهديه أرسل إليه خطابا ليحضر بالرهد أبي دكنه ولما التقى بالمهدى أخبره بأنه رأى في منامه أنه سيلاقى ربه بالرهد وهـــذه هي القريه الموعود أن يلقى ربه بها فأجابه المهدى قائلا لقد صدق رسول الله وأشار إليك بانتقالك في المنام ولا شك أنك ستلاقى ربك في هذه القريه وفعلا انتقل إلى رحمة ربه حينما القى عصا تسياره هنا لك .

وعند مماته قام المهدى بنفسه وادى مراسيم الجنازه فصلى عليه وغسله ودفنه وأشار بذكره والحقيقة كان الشريف محمد الأمين مثلا عليا للعظمة والجبروت والطيبه من عنصر عريق ومحتد كريم وسلالة طاهرة عريقة كريم الخصال تقيا عابدا .

وبعد وفاته أخذ خلافته من بعد إبنه الشريف يوسف الهندى الذى كان ينتمى إلى الختمية وكان المهدى يرعاه ويتعهده ويحبه إلى أن قام في ركاب المهدى أبان الثورة المهدية وبعد الثورة المهدية وانفضاضها قام الشريف يوسف الهندى إلى مكان أبيه القديم وجمع التلاميذ وكان في ذلك الوقت يقوم بدعاية عظيمة وكان في صحبته الشريف بركات وأيضا الشريف يعقوب وكان الشريف هاشم في معيته وكان يرتبط بالقبائل وكانوا يغدقون عليه الهدايا من جميع عرب كنانه والدقسياب وعرب رفاعه وعرب فضل المزجى ، وقد استولى على جميع البلاد بنفوذه الدينى حتى طغى واستكبر وكان يستعمل السيوف وكانت القبائل تحت رعايته وكانوا يعتقدون فيه ايما اعتقاد حتى شعر الانجليز بالخطر المدلهم وعندئذ أحضروه الانجليز الطغاة المستبدين الظلمه ووهبوه الأراضى الكثيرة ووعدوه بارساله إلى خليفة خلفاء المسلمين ليبايعه على خلافته في السودان إلى أن لانه

واشكأن وقبل العرض والطلب ومن ذلك اليوم بدأ يعمل أداة فعالة للمستعمر وصار مطيته المباركة الطيبة إلى أن حقق لهم جميع الآمال والأهداف مقابل وعود لاقيمة لها . وعندما تأكدوا من انزلاق الشريف ووقوعه فى شباكهم بدءوا يقفون فى طريق زائريه حتى انفض الجمع من حولهوقلت الزوار واضمحل العدد وأصبح أثرا بعد عين .

وأخيرا ألقوا القبض عليه وانعكست الآية إلى أن طرأت أخيراً عليهم أن يستغلوه ليعمل مع الانجليز جنباًلجنب ثم ارتمى فى أحضانهموبعد وفاته جعلوا الأمر لابنه عبدالرحمن الذى نشأ انجليزيا بحتا يعمل مع حزب الأمة وهى قصة معروفة ملأت الآفاق .

ولقد توفى الشريف يوسف الهندى ببلدة برى رحمه الله وغفر له إنه هو التواب الرحيم .

١٤ – الشريف مختار

الشريف مختار هو البطل الأول والمجاهد الكبير وأول من رفع لواء الحركة الوطنية السودانية .

والشريف مختار هو بن الشريف عبد الله بن الشريف أحمد بن الشريف صالح بن الشريف شرف الدين وهو من قبيلة الجعليين ويقطن ببلده المكنيه التابعة لمديرية بربر وجده الأكبر الشريف أبو حريره وقد تربى الشريف مختار فى دار الجعليين وأصبح من أكابر الأشراف الذين يقطنون هناك وهو من الأشراف المحافظين الطالعين المتقين البرره الذين يعبدون الله فى سرهم ونجواهم وقد تتلمذ على يد الفقيه عبد الله الكتيابى بجوار الجابراب وقد اشتهر الفقيه عبد الله فى ذلك العصر بالدين والتقوى والصلاح والطاعة وقد أقام الشريف مختار بأراضى الجعليين

وكان يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وكثيرا مايزور المرضي ويرحب بالفقراء ويكرم الضعيف بل كان المثل الأعلا فى الدعاية . وقد اشتهر بالعظمة والسلطان والجبروت والقوة وقد اشتبك مع الانجليز فى شن حرب الأعصاب حتى كانوا يحسبون له ألف حساب يخشون بأسه وسطوته ويحترمونه صاغرين ، ورغم هذا كله كان ينظر إلى الانجليز نظرة الازدراء والسخط فلما لم يستطعوا أن يجعلوه ينضم إلى صفوفهم أرســلوا فى إثره بعض الأذناب ليستدرجوه فلم يفلحوا ولم يصلحوا من أمره شيئا لهذا اضطر الانجليز أن يجابهوه بالعدوان والاثم حتى اشتبك فى حرب معم استطاعوا أن يضللوا رجاله وأن يسيطروا على أهله وعشيرته وأن يستولوا على بلده وأن يقضوا عليه قضاء مبرما ، ولاشك تلك حقائق يجهلها الناس وأكثرهم لا يعلمون .

وهكذا ذهب الشريف ليلقى ربه فى جنات عدن بعد أن قضى العمر فى جهاد مستمر وعصبية دينية ظاهرة طاهـرة وطاعة عمياء فليرحم الله الشريف الطـاهر وليجزه كل الجزاء وليلق المستعمر بلاء وشرا مستطيرا .

١٥ ــ الشيخ أحمد ود بليه

كان الشيخ أحمد ود بليه رجلا عظيما وفقيها عالما حفظ القران الكريم وكان من أكبر العلماء الموجودين فى بلاد تسمى المناصير وكان صاحب جاه عريض وسلطان شاسع يملك آلاف الأفدنة ولما شرع الانجليز فى بناء الخزان بالسودان كان ود بليه من أصحاب الأقطاعيات والذهب والثروة فى مصـاف الطبقات الغنية ، وكان يحمل بين جنبيه قلبا ممتلئا عطفا ورحمة وحنانا وكان وارد ملجأ يأوي إليه الضعفاء وذوى القربى وأبناء السبيل وكعبة يؤمها طلاب الحاجة وكان واسع الصدر يضع أموره فى نصاب قويم ، دأبه دائما الاصلاح الاجتماعى وترقية

الفرد وتوجيه الصالح والطريق المستقيم ، تفانى القوم فى حبه فاخلصوا له وأطاعوه ولم يعصوا أمره بل كانت مجرد إشارة خفية منه تكفى بأن تجمع حوله أسرة صالحة وتجمع المتطوعين ليؤدوا فرائض الولاء والاحترام والتقديس ولا شك كانت تلك الدلالة الواضحة فى هـذا الشيخ الوقور هى التى دفعت المستعمر أن يقف فى سبيل جهوده الوطنية وقد دبرت مكيدة لايقاعه والتنكيل به فتقربوا إليه حتى استجاب إليهم وهو لايدرى أن فى الرماد وميض نار أوشك أن يكون له ضراما وتوددوا إليه بشتى الوسائل والطرق حتى استكان وعندئذ أقاموا له حفلا كبيرا ليكرموا وفادته وإذا بهم يضعون له السم فى الدسم وبعد أن فرغوا من تسجيل جميع أمواله سلموها إلى ابن عمه الذى اشترك معهم فى قتل هـذه الروح الطاهره الذكية البريئة التى ذهبت إلى ربها واعتلت مرتبة الشهداء الأبرار وخلدت فى سماء الملكوت وساعتئذ بدأ الانجليز ينكلون بقومه ويرهقونهم ويصبون عليهم البلاء صبا فمنهم من ذهب إلى غير رجعة ومنهم من استجاب إلى المهازل ومنهم من قبل الوضع واستكان أعزل رخيصا تحت أمر المستعمر الظالم رحم الله الشهداء وبشر الظالمين بعذاب أليم .

٥ ــ استعادة السودان

بدأ التفكير فى إعادة فتح السودان سنة ١٨٩٠ أى بعد مضى نحو ثلاث سنوات من تولى الخليفة التعايشى الأمر بعد وفاة مؤسس المهديه المرحوم السيد محمد أحمد المهدى وبعد أن ظهر للسودانيين مبلغ الضرر الذى حلق بالبلد من أحكامه الجائرة وتصرفاته الشاذة وإيثارة أهله التعايشه الجهلاء المملوئين عتوا واستكبارا على غيرهم من الزعماء والقادة وأبناء البيوتات العريقة فى المجد والسؤدد مما غير القلوب وملأ النفوس اشمئزازا .

وقد شعر الخليفة التعايشى بما يخامر النفوس وخشى عاقبة الأمر فزج برؤساء العشائر وزعماء القبائل وجميع الأحرار والعلماء فى السجون وقد وصلت هذه الأنباء إلى مسامع الحكومتين المصرية والانجليزية فعرفوا أن الوقت قد حان لاستعادة السودان لا سيما وقد تأكدوا أن السودانيين سوف لا يخلصون فى الدفاع عن المهديه مادام الخليفة التعايشى رئيس حكومتها.

فبدأ الاستعداد لفتح السودان وتجمعت الجيوش المصرية وانضم إليها عدد قليل من الجنود البريطانيين وهذه سياسة انجليزية ملتوية، حتى إذا تم فتح السودان ادعى الانجليز أنهم ساهموا بجنودهم فى فتحه ولذا فانهم يشاركون مصر فى إدارته وقد تم لهم ما أرادوا، إذ بعد أن تم فتح السودان فى سنة ١٨٩٨ رفع العلمان المصرى والانجليزى على دور الحكومة وأصبح السودان يدعى السودان المصرى الانجليزى وعقدت بين مصر والانجليز اتفاقية أطلق عليها إسم «اتفاقية سنة ١٨٩٨ لادارة السودان» نصت على أن يكون الحكم ثنائيا بين الدولتين على أن يكون الحاكم العام انجليزيا، وكذلك كبار موظفى حكومة السودان من مديرى المديريات ومديرى المصالح ووكلائهم والمستشارين والمفتشين يكونون جميعا من الانجليز.

وأن يكون من المصريين مأمورو المراكز ونواب المآمير وصغار الموظفين

وقد رسم الانجليز سياستهم منـــذ ذلك الوقت على أن يقيموا بين المصريين والسودانيين سدأ منيعا من العداوة والبغضاء وأن يبثوا فى نفوس السودانيين أن المصريين قوم لا يصلحون لشىء وأنهم قساة غلاظ ظلمة طاغون.

واتبعوا فى هذا السبيل طرقا شتى خفيت عن الفريقين حتى توهم الانجليز أن سياستهم قد أثمرت ودان قطافها خاصة وأنهم قد استعانوا فى تنفيذ مآربهم الخبيثة ببعض ضعاف النفوس خائرى العزيمة من السودانيين الذين أغرتهم المادة التى أغدقها عليهم سادتهم الانجليز والجاه الزائف الذى أحاطوهم به فروجوا لهم دعاياتهم واندسوا بين السودانيين ينفثون سمومهم وينشرون أكاذيبهم ومفترياتهم.

اعتقد أن الانجليز تمكنوا بسياستهم هذه من وضع الحجر الأساسى لفصل السودان نهائيا عن مصر وضمه إلى مستعمراتهم وابتلاعه لقمة سائغة فاطمأنت بذلك نفوسهم وارتاحت قلوبهم ، ولكنهم جهلوا حـــدة ذكاء السودانيين وغفلوا عن تقدير العقلية السودانية والادراك الفطرى الذى اشتهر به السودانيون الذين كان لهم من نفاذ بصيرتهم وعالى تقديرهم ما جعل الوعى القومى يرتفع عندهم حتى أدركوا كنه السياسة الانجليزية المريبة وطرقهم الملتوية الدنسة .

كما تبينوا الاتجاه الذى تهدف إليه الحكومة السودانية ممثلة فى كبار موظفيها الانجليز وتأكدوا أن هذه الأمور لو تركت تأخذ مجراها الذى رسموه لها فسيضيع السودان حتما وسيبقى فى مؤخرة الأمم المتحضرة التى تتطلع إلى الحياة الحرة الكريمة .

ومن ثم بدأت شرارة الوطنية الصحيحة تشتعل فى القـــلوب واندلع لهيبها الوهاج يضىء ظلمات النفوس فينير السبيل أمامهم ، وبدأوا جهادهم الوطنى المقدس نحو تحرير وطنهم من نير الانجليز وطغيانهم بعد أن أيقنوا أن الخنوع للمستعمر والرضا عنه والتسليم لرغباته سوف يؤدى بهم إلى حالة من الرق والعبودية والاذلال تنتهى بهم إلى الموت المعنوى لافرق بينهم وبين السوائم .

فبدأ الجهاد الوطنى يأخذ مجراه الطبيعى المحتوم .

ولقد سار ركب هذا الجهاد الوطنى يتقدمه بعض الزعماء الدينيين الذين عرفوا باصاله الرأى وصادق العزم ولم يستجيبوا لاغراء حكومة السودان ولم يرضوا أن يجعلوا من وطنيتهم تجارة يملئون بها خزائنهم بل ابتغوا فى جهادهم وجه الله والوطن .

أما أولئك الذين ضلوا السبيل وارتضوا الانضواء تحت لواء الانجليز فاولئك هم « الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا يكسبون » .

لقد اعتنق السواد الأعظم من السودانين مبدأ وحدة وادى النيل وقام عدد

كبير منهم يناهض الأساليب الاستعماريه التي يدبرها الإنجليز هناك وقد واجهوا في هذا السبيل من أنواع العسف والجور الشيء الكثير .

فمنهم من أعدم رميا بالرصاص ومنهم من سجن حتى قضى شهيدا في سجنه في الجنوب ومنهم من خرج من السجون عليلا ضعيفا لاحول لهم ولاقوه ومنهم من هاجر ونزح من السودان فرارا من طغيان الانجليز وجبروتهم .

أولئكم الأبطال المجاهدون الصابرون الذين أبت عليهم وطنيتهم أن يطاطئوا الرؤوس صاغرين وأن يذعنوا مكرهين لرغبات المستعمر الغاشم الغصوب .

فماذا فعلت مصر لهؤلاء الأبطال ، لم تفعل شيئا يستحق الذكر ، بل كل مافعلته هو التنديد بأعمال الانجليز على صفحات الجرائد وانتقاد تصرفاتهم والاحتجاج في بعض الأحيان .

ولكن ماذا يجدى هذا ؟ وماذا فعلت للكثيرين الذين هاجروا من السودان بعد أن نكلت بهم حكومة السودان وحاربتهم في أرزاقهم وأملاكهم بل وفي أنفسهم ، ذلك لأنهم ينددون بأعمال الانجليز ويطالبون بالوحدة الصارخة تحت تاج المليك المفدى ، وهم لا يريدون ذلك بل أنهم لا يعينون مصريا في وظائف الحكومة حتى لا تقوم لهم قائمة هناك ، ولذلك فإن كثير من المصريين الذين استوطنوا السودان منذ أمد بعيد ولهم أبناء لا يجدون لهم أماكن في السودان وفي هذا الوقت يفقدون جميع المميزات في مصر والسودان ومن هؤلاء قابلت الكثيرين وهم يكونون متألمين لضياع مستقبل أبنائهم ، فهل رحمتهم الحكومة المصرية وعاملتهم معاملة تناسب وموقفهم حتى ولو لأبنائهم ، فانني أعلم أن الكثيرين جاءوا بأبنائهم ليحلقوهم بالمدارس المصرية وبعد تيسير الحاقهم تقف مشكلة السكن عسرة أمام وجوههم لأنهم عاشوا بالسودان منقديم الزمن وليس لهم من يتركوه أبناءهم معهم بمصر رغم ذلك فانهم يمتنعون عن معاملتهم كسودانيين ويدخلونهم بيوت السودان لينضموا إلى أخوانهم ، فيضطر بهذا والد الطالب إلى ارجاعه

للسودان وتعيينه بشركاتها .

ولقد ذكرت هذا ضمنا لموضوعي لكي تنظر حكومة مصر بل حكومة الوادي إلى مساعدة أبنائه حيث أنهم الرابطة الصميمة لوحدة الوادي لأنهم جمعوا في دمائهم روح الشمال وروح الجنوب ، وهكذا تستطيع مصر ضرب حكومة السودان ضربة قاسية ، نصرنا الله على القوم الظالمين .

٦ — السياسة الانجليزية بين الماضي والحاضر

في سنة ١٨٩٨ زال عهد المهديه وانقضى حكمها في السودان وتولت حكومة السودان القائمة إدارته نائبة عن دولتي الحكم الثنائي (مصر وانجلترا) بمقتضى المعاهدة التي عقدت وقتذاك بين الدولتين والتي نصت فيما نصت عليه على أن يكون الحاكم العام ونائبه وكبار رجال الادارة في السودان ومديرو المصالح والمديريات ومفتشو المراكز من الانجليز وتركت الوظائف الصغيرة للمصريين ولمن يصلح لها من السودانيين و أكبر هذه الوظائف وظائف أركان حرب المديريات ومأمير المراكز ، كما منحت للحاكم العام سلطات واسعة جعلته في مصاف حكام البلاد المستقلة .

وكان طبيعيا أن يتبع هؤلاء الحكام الانجليز سياسة دولتهم ويعملون على تحقيقها بكل ما في جهدهم من قوة وما في إمكانهم من حيل ولذا كانت القوانين التي سنتها حكومة السودان مما تلائم منهجهم وتتمشى مع رغباتهم وأمانيهم — كما أن النية الانجليزية كانت مبنية منذ ذلك الوقت البعيد على الانفراد بإدارة السودان تمهيدا لضمه إلى مجموعة مستعمراتهم .

ولذا كان في مقدمة سبلهم لتحقيق هذه الغاية أن يبذروا بذور العداوة والبغضاء بين السودانين والمصريين بمظهر الحاكم الظالم المستبد والطاغية القاسي

المستكبر فى حين يتكلف البريطانى الظهور بمظهر العادل الرحيم والمتسامح الكريم ليتقرب بهذه الصفات المتكلفه الزائفه إلى قلوب السودانيين ليكون فى نظرهم الحاكم المفضل المحبوب .

وقد نجحت سياستهم بعض الوقت وسارت فى طريقها المرسوم لها زمنا ليس بالقليل حتى كشف ذكاء السودانيين الفطرى القناع عن خبيئتها وفضح سرها وعرف المقصود منها .

وكان ذلك بدء الوعى القومى فى السودان وبشير نهضته الوطنية المباركة حيث قام الكثيرون من زعماء الأمة دينيين ومدنيين على السواء وساروا فى طليعة صفوف المجاهدين لتحقيق الأهداف الوطنية السامية وهى وحدة وادي النيل تحت التاج المصرى المفدى وجلاء المستعمرين عنه جلاء عاجلا .

وسرعان ما اعتنق هذا المبدأ السواد الأعظم من السودانيين ولم يشذ منهم إلا فئة قليلة لا تتجاوز نسبتها لمجموع الأمة ١٠ فى المائة قد غرتهم وعود المستعمرين وأكاذيبهم وخدعوا بأضاليلهم وأباطيلهم فاتخذوا منهم ذريعة يتمسكون بها فى دعواهم وحجة لتدبير مسلكهم الملتوى المريب .

غير أن الانجليز مع ذلك يؤمنون إيمانا قويا بأن الصلة السودانية المصرية لا يمكن فصمها مهما ابتدعوا من الحيل وتفننوا فى المكر والخديعة والرياء لأنها صلة تقوم على العقيدة الراسخة فى سويداء القلوب يؤيدها التاريخ ويعترف بها المؤرخون حتى البريطانيون منهم .

صلة الروح والدم والطبيعة ، صلة الأشقاء البررة الأوفياء ، صلة قوية العرى ثابتة الأركان لا يمكن لقوة مهما عظمت أن تنال منها أو تؤثر فيها .

ومكلف الأيام ضد طباعها ∴ متطلب فى الماء جذوة نار

لهذا بدأوا يغيرون اتجاه سياستهم قليلا لعلهم يتمكنون من الحصول من مصر على بعض الامتيازات ثمنا لاعترافهم بالصلة المصرية السودانية

ورضائهم عنها .

فالأخبار التي ترد الآن من السودان والاتصالات المتعددة الطويلة بين بعض الشخصيات المصرية الكبيرة الموجوده بالسودان وبين زعماء المعسكرات المضادات وبين أولئك وهؤلاء وبين كبار رجال حكومة السودان من الانجليز وأن ما ينشر هنا وهناك وماجاءت به البرقيات الخارجية خاصة بالقضية المصرية السودانية .

كل هذا يشير إلى هذا الاتجاه ويؤيد نظرياتنا .

نأمل أن نكون قد غالينا فى التأويل ، وأسرفنا فى الاستنتاج ، وأن تكون أهدافنا الوطنية باقية كما نادينا بها وعملنا لها سليم كامل غير منقوص .

* * *

إن الانجليز شعب الدهاء والمكر ، يمتصون دماء الشعوب المستعمرة قطرة فقطرة فى الخفاء حتى إذا ماانتهت ثمرتها ألقوا بها . مثل ذلك كالشخص حين يمسك بليمونه ويعصر ماءها حتى إذا مانال ثمرتها ألقى بقشرتها .

فسياسة الانجليز الآن لم تتغير عن سياستها فى الماضى إلا فى ناحيةواحدة فقط وهى أنها كانت تعمل فى الماضى فى الظاهر أما الآن ففى الخفاء ، فهى تنشىء جمعيات تشريعية ومجالس بلديه وغيرها وتكل رئاستها لبعض السودانيين فى الظاهر أما فى الحقيقة فالرئاسة فى أيديهم وبذلك يستطيعون تنفيذ رغباتهم من الاستيلاء على أموال وثمرات السودان فاذا ماحان وقت خروجهم أصبحت ميزانية البلد ضعيفه فيحسبون ذلك عدم قدرتهم على إدارة بلادهم فى حين أنها كانت فى رخاء ويمن وقت كانت تحت أيدى الانجليز .

ألا قاتل الله الأنانية الانجليزية وحطم قيود الاستعمار وأيدنا فى مطالبنا وتلك هى حقائقهم نظهرها لكم بعد علم ودرس وتجارب عديده من وطنيين غيورين ضحوا ومازالوا يضحون من أجل الوحدة والحرية تحت تاج من نعز ونجل

الملك فاروق الأول العظيم .

٧ - بدء النهضة الوطنية فى السودان

إن السودانيين الأبرار فى جهاد مرير وكفاح مستديم منذ سنين وأعوام مع المستعمر الطاغية للحصول على الحرية الحمراء وارجاع العروبة السليمة على ما كانت عليه فى السودان ، فهم شعب يشترى بلاده بدمائه الحره الغاليه لا يبالى فى سبيل ذلك نفى ولا تشريد وهم خلقوا صلدين صامدين أمام الانجليز لا يبيعون أنفسهم لذليل مستبد ولا يستكينون لنذل مستعبد ، نار المستعمر قائمة ونفوس الشعب السودانى ثائرة ، هذا يرمى وذاك يصد ويلتى ، هذا يشد وذاك يقصر .

إن السودانيين يتمثلون فى كفاحهم دائما بقائدهم الأول وناشر دينهم القويم رسول الله صلى الله عليهم وسلم ، ذلك النبى الذى استطاع بفئات قليلة من الناس مع إيمانه الحق وعزيمته القويه فى الله وفيما أتى من أجله أن ينصر الحق ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

إن الانجليز يهددون السودانيين الكرام بالسلاح والقوة ولكن السودانيين يهددونهم بالحق والإيمان فلمن ستكون الغلبة باذن الله ؟ !

لابد أنها ستكون لصاحب الحق والإيمان ، وهل فى هذا شك وقولان ! .

هذه نبذة عن صفات السودانين الكرام ويليها موضوع بدء النهضة . .

* * *

كان الملازم أول على عبد اللطيف أول ثائر على الإنجليز بالسودان والمجاهد الأول الذى وقف وحيداً فى وجه المستعمر ينتقد أساليبهم وطرقهم الملتوية المريبه ويندد بتصرفاتهم الخرقاء المضلله .

فقد تقدم فى سنة ١٩٢١ إلى حكومة السودان بتقرير واف بين فيه الضرر

البالغ الذى يعود على السودان وأهله من جراء السياسة الاستعمارية البغيضة التى تتبعها الادارة فى السودان لافتا النظر فيها إلى نضوج الوعى القومى وان عقول الشعب قد تحررت من قيود الماضى السحيق بترهاته وخزعبلاته وبدأ يشعر بأنه مغبون مهضوم الحق مسلوب الإرادة .

ولم يكن هذا التقرير يصل إلى أيدى المسئولين حتى قامت قيامتهم وأمروا بالقبض عليه ومحاكمته ، وفعلا حوكم وحكم عليه بالسجن عاما .

وقد ظن الانجليز أنهم بما أخذوا به هذا الضابط من الشدة والصرامة سيطفئون جذوة الوطنية فى القلوب ويخمدون نارها ولن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، ولكنهم أخطأوا التقدير وخانهم التوفيق وخاب ماقدروه .

فلم يكد يخرج على عبد اللطيف من السجن بعد انقضاء العام حتى عاود نشاطه السياسى بعزم قوى وجنان ثابت وعقيدة وطنية راسخة ، واجتمع حوله عدد ليس بالقليل من الشباب السودانى المثقف وابتدءوا يبثون دعوتهم ويدعون الشعب للجهاد الوطنى النبيل وظلوا يعملون سراً حتى جاءت سنة ١٩٢٤
حيث اتفقت دولتا الحكم الثنائى (بريطانيا ومصر) على اجراء المفاوضات وتشكل وفد المفاوضة المصرى برياسة الزعيم خالد الذكر المغفور له سعد زغلول باشا ولم يكد يحدد تاريخ البدء فى المفاوضات حتى نشطت حكومة السودان للعمل وقررت أن تحصل على توقيعات أكبر عدد ممكن من السودانيين على عرائض أعدتها وأسمتها (عرائض الثقة بالحكومة البريطانية) وذكرت فيها أن السودانيين لايوافقون على وحدتهم مع مصر وأنهم يفضلون الادارة البريطانية الصرفة على غيرها أيا كان نوعها .

وعند ذلك جمع على عبد اللطيف اخوانه وبعض من توسم فيهم الوطنية الصحيحة وبدءوا يتشاورون فى الأمر فقر رأيهم على أن يؤلفوا جمعية وطنية أطلقوا عليها إسم (جمعية اللواء الأبيض) كما قرروا أن يكون الهدف الأول لهذه

الجمعية العمل على احباط محاولة مسألة عرائض الثقه ، ولبلوغ هذا الهدف قرروا أن ينظموا المظاهرات التى تحمل العلم المصرى وحده وصورة جلالة ملك مصر وصورة سعد زغلول باشا وتنادى بحياة مصر وبسقوط بريطانيا بحيث تقوم المظاهرة فى اليوم المحدد لكل جلسة من جلسات المفاوضة وقبيل انعقادها بساعتين على الأقل كما رتبوا أمر وصول أخبار هذه المظاهرات ساعة وقوعها إلى مصر بواسطة موظفى التلغراف من السودانيين وكلهم أعضاء فى جمعية اللواء الأبيض ، وبالطبع عند وصول مثل هذه الأخبار إلى مصر سيبرق بها فوراً إلى لندن وإلى رجال الوفد المصرى المفاوض وعندها لا يتمكن المفاوض البريطانى من إظهار عرائض الثقة إذ يكون فى يد المفاوض المصرى دليل لا يقبل الشك على زيفها وبهتانها ، وقد نجحت الخطة ، ولم يجرؤ الانجليز على إظهار عرائض الثقة أو حتى الاشارة إليها .

ومع ان حكومة السودان قد عملت كل ما فى وسعها لقمع هذه المظاهرات ومنعها فكانت تقبض على قادتها وهم حملة العلم المصرى والصورتين ومحاكمتهم فورا والحكم عليهم فى نفس اليوم .

كما استعملت القوة فى تشتيت المتظاهرين وتفريقهم ، بعدد وفير من الرجال مزودين بالعصى الغليظة والبنادق وغيرها من الأسلحة ومع كل هذا فقد ظلت المظاهرات بعدد جلسات المفاوضات ونجحت فكرتها وتم المأمول منها .

ثم استفحل الأمر بعد ذلك وقامت جميع طوائف الأمة بالتظاهر منادين بالوحدة وجلاء الانجليز وانتشر الجهاد الوطنى حتى عم جميع المدن الكبيرة بالسودان واندلع لهيب الثورة الوطنية وقام الشباب السودانى بدوره فى الكفاح واشتركت جميع المدارس السودانية فى الجهاد وفى مقدمتهم طلبة كلية غردون كما سار طلبة المدرسة الحربية فى مظاهرة مسلحه طافوا فيها الشوارع الرئيسية فى

الخرطوم والخرطوم بحرى وكانت هى المظاهرة الوحيدة التى لم يتعرض لها أحد ولم تحاول حكومة السودان قمعها ، أو تشتيتها حتى أكملت طوافها وعادت إلى مقرها .

وفى ذلك الوقت وقع فى مصر حادث اغتيال السير لى استاك حاكم السودان العام وكان فى طريقه عائدا من أجازته إلى السودان فاتخذ الانجليز من ذلك الحادث ذريعة لإطلاق يدهم فى العنت والاستبداد والتنكيل بالوطنيين وتعذيبهم كما اتخذوه حجة ينفذون بها سياستهم الغاشمة ويبلغون بها أملهم فى فصل السودان عن مصر فأرسلوا إنذارهم المعروف إلى الحكومة المصرية وأنزلوا الجيش المصرى من السودان وفصلوا الموظفين المدنيين المصريين فى حكومة السودان وأمعنوا فى اضطهاد السودانيين دون حسيب أو رقيب وتشكلت المحاكم العسكرية لمحاكمة الوطنيين وحكم عليهم بأقسى العقوبات وأقفلت كلية غردون أبوابها وكذلك الحربية وشردت الطلبة وحرموا من متابعة دراستهم ، مما حـــدى بالبعض منهم إلى الفرار إلى مصر فى سبيل العلم وكان هؤلاء الطلبة هم النواة الأولى لتعليم السودانيين بمصر .

وقد وجدوا منها كل ترحيب وتشجيع ، وأقامت لهم جميع التسهيلات التى تمكنهم من إتمام تعليمهم وأحـاطتهم مصر حكومة وشعبا بالرعاية الكريمة والعطف النبيل .

وتوالى بعد ذلك حضور الطلبة السودانيين حتى أصبحوا الآن يعدون بالألوف ، وقد أسبغ عليهم جلالة الفاروق العظيم من نعمائه بما ألهج لسان كل سودانى بالشكر المقرون بالولاء .

أقسام السودان

١ — المنطقة الشمالية

نبدأ أولا بشرح المنطقة الشمالية ونتكلم عن السياسة الانجليزية التى أحاطت بهذه البلاد

فأولى بلاد هذه المنطقة بلدة حلفا وتعد الرابطة بين مصر والسودان وميناء هاما من موانى السودان ، وبها آثار قديمة تتبع مصر ، وسكانها خليطون بين المصرية والسودانية ، ويطلق عليهم فى الوقت الحاضر اسم الحلفاويين ، وبها عدة أقسام أو اقطاعيات .

وأهلها يعتمدون على زراعة البلح والحلبة والبسلة والخضروات كما أنهم يشتغلون بالتجارة التى ينقلونها بالمراكب الشراعية وأحيانا بالوابورات .

وحلفا مكان للصادرات والواردات ، والأغلبية الساحقة من سكانها تشتغل فى المصالح الحكومية ، والقليل بالزراعة والأكثر فى التجارة .

والبلدة التى تلى حلفا فى الأهمية هى دنقلا وتقريبا تشابه حلفا من ناحية الأعمال والحاصلات .

وأهم بلاد نستطيع ذكرها فى مديرية دنقلا هى كريمه ومروى وهما يكادا أن يكونا قلب المديرية وبهما آثار قديمه للفراعنه المصريين مما يدل على أن الوحدة قائمة منذ آلاف السنين .

ويوجد بجوار بلدة كريمه جبل يسمى البركل وبالقرب من مروى بلدة

أخرى تسمى نورى ودويم واد حاج والغابه والقرير .

ومروى نفسها مملوءة بالحدائق الحكومية التى تزرع فيها المانجو بكثرة والليمون والبرتقال والنخيل الكثير .

ويقطن بالقرب منها عرب الرحل الذين يمتلكون بهائم كثيره ، وسكان هذه البلدة من أعظم الرجال فى السودان ، ومنذ التاريخ القديم تشتهر هـــذه البلاد بالتقوى والصلاح ، وحفظ كتاب الله الكريم .

وفى هذه البلدة محصولات كثيره تربح منها حكومة السودان آلاف الجنيهات سنويا مثل السيكران والحنضل والسنمكه والبلح والزعف وغير ذلك الكثير ، وتقريبا هذه هى أخصب بقاع المنطقه الشمالية والتى استغلتها حكومة السودان لمنفعتها فقط .

ومعظم قوة دفاع السودان تتكون من رجال هذه البلاد لأنهم رجال أشداء أقوياء شجعان — يحملون الأمانة على أعناقهم ويضحون من أجلها بكل عزيز لديهم ويقدسون وطنهم العزيز بعد خالقهم .

ولم يفت حكومة السودان الدسيسة لما تعلمه من اتحاد أفراد هذه البلاد وتكاتفهم من دس أفرادها فى المجموعة وسط السكان التى كانت تعيش سعيدة فى طمأنينه وراحة فأصبحت الآن فقيرة معدمة بعد أن شردت حكومة السودان الظالمه أفرادها وامتصت دماء شعبها المسكين كل ذلك بطرق سريه لايرضاها العدل ولا يشرعها القانون ولا يرتاح لهـا الضمير ، ولكن هل أولئك لهم ضمائر أو نفوس تأبى ما تفعله .

فن ضمن أعمالها أنها سارت على طريقتها التى اتبعتها فى جميع نواحى السودان كما سيجىء ، واســـتبدلت أطيان الوطنيين وتملكتها نظير وعود كاذبة وتهديدات متبعه .

وأهم القبائل التى تقطن دنقلا هى الشايقيه والمحس والدناقله والخندقاويون

والهواير والكليكاب والبديرية الدهمشيه والتكاويون وسكوت .

نتقل من أطراف دنقلا إلى داخلها بيلدة العرضى ، ولا يخفى عليكم أنها بلاد طاهرة شريفة ، وهى مسكن للأشراف مثل أولاد السيد أحمد الادريسى ، وهذه البلدة كسالفاتها بها أطيان عظيمة ومنتجات قيمة وثمار طيبة .

والطرق المتبعة فى رى الأراضى فى البلاد هى السواقى والوابورات .

ويلى هذه البلدة جزيرة الأشراف التى بدأ منها المهــدى محاربة الانجليز والاستعمار وهى تقع أيضا فى مديرية دنقلا ثم يأتى بعدها الخندق وحمام عكاشة ، وهو حمام صحى يشابه حمامات حلوان ، وكثير من الناس يأتون للاستشفاء من أمراض الروماتزم وخلافها بالاستحمام فى مياهه .

وأغلب سكان هذه البلاد يشتهرون بالتقوى والصلاح ، فببلدة مقاصر يسكن الحاج بخيت الكتيابى وهو من الصالحين الذى يتبعهم كثير من الناس .

ويسكن هذه البلاد المواليد وبها أيضا آثار مصرية قديمة وسكانها من أشكال مختلفة وأجناس عديدة .

وينبت من طبيعته فى هذه البلدة الحرجل والحريب على سفوح الجبال .

ومن أهم الأشجار التى تنمو فى النيـــل هى أشجار السنط والطرفة واللبخ والسدر .

ويشتغل كثير من سكان هذه البلدة بصيد الأسماك ، أما الأغلبية منها فهم تجار ومزارعون .

وهذه البلاد لها الفضل العظيم فى ربط مصر بالسودان لقرب موقعها من مصر .

ومن أهم بلاد المنطقة الشمالية أبو حمد ، فهى بلد كبير تتفرع منه السكك الحديدية ، فمنها تذهب إلى حلفا ، ومنها تذهب إلى دنقلا .

ويكثر فى أبى حمد الدوم الذى يستخدم فى صناعة الأزرار والحبال، وتزرع

السنمكة بكثرة فى هذه البلدة وأيضا البلح والليمون والبرتقال والمانجو وأشجار مختلفة أخرى ، وتوجد بها فابريقات للبلح ووابورات مياه .

والسواقى تكثر فى الشرق والغرب ، وبها يزرع القمح والذرة .

ويسكن هذه البلدة الجعليون والرباطاب والمسيكتاب والعويضيه والغبش والمواليد والتكاويون والكوارته .

بعد هذه نأتى إلى بربر وهى عاصمة الجعليين ومقرهم الأصلى وخطر حالهم ، ولقد كانت المديرية الأساسية قديما — ومن سكانها الأصليين الجعليون والغبش والمسيكتاب والحضريون ومواليد الريف والجابراب والكتياب وأشكال مختلفة ونوع من العرب الرحل والمعوكاب والعمراب وقبائل مختلفة .

ويكثر التصدير والاستيراد والتجارة المختلفة فى هذه البلدة .

وبعد بربر ننتقل إلى عطبرة وهى عاصمة السكك الحديدية فى السودان وتوجد بها ورشة العمال الكبرى الأساسية فى السودان وهى بلدة متحضرة تحوى أنواع الحضارة والملاهى من دور خيالية وغيرها .

منها نأتى إلى الدامر وهى المديرية الحالية ومورد البهائم ويوجد بها جميع الأعراب كالهدندوه والبشاريين والحمده والبطاحين والزبيديه والمواليد والعويضية والفادنية والعمراب ونوع من الآتراك .

وتعد مديرية الدامر مركزاً لتجارة العرب فى الجمال والمواشى وتصديرها للخارج والداخل أيضا .

وتقوم الزراعة فى هذه البلدة على وجه النيل .

والجعليون والجابراب يسكنون المحمية والكتياب بهذه المديرية .

ويوجد وابور فى العلياب يقوم بزراعة القطن بكميات كبيرة وافرة تستغلها حكومة السودان فى منفعتها دون أن يعم السودان أى منفعة منها — مثل ذلك كالذى يشق ويتعب ثم يأتى غيره ويجنى الثمار .

وأيضا يوجد بالجابراب وابور يماثل سابقه يقوم بزراعة القطن والقمح والذرة بكميات وافرة تستغلها حكومه السودان بالطرق المعهودة .

وآخر بلدة مهمه فى المنطقة الشمالية نستطيع ذكرها هى بلدة شندى فهى المركز الأساسى للتجارة والموارد والمحصولات الزراعية .

ويسكن هذه البلدة الجعليون ، ويتبع لها المتمة التى يوجد بها السلاطين القدماء.

ويوجد بواد الحبشى بالقرب من بلدة شندى وابور زراعى كبير ينتج القطن والقمح .

ويتبع بلدة شندى أيضا مركز أبى دليق — الذى يوجد به جميع العرب — ويحوى الطريق بينه وبين شندى آثار عديدة للمصريين — كما توجد آثار أخرى كثيرة للمصريين بين شندى وجبل أم على .

ومن سكان أبى دليق عرب البطاحين والحمدية والعويضية والبشاقرة وعرب سرحان والحسنات والنواهية .

وبجوار أبى دليق يسكن العرب الرحل .

* * *

نشاهد من كل هذا أن المنطقة الشمالية تحوى كنوزاً ودراهما وخيرات كلها تستثمرها حكومة السودان لنفسها دون رحمة بهذا الشعب المسكين الذى وقع فريسة لمحتال مغتصب ، مستبد طاغ ، وقع تحت حكومة الظلم ، ألا كسر الله قيودها ونصر المسلمين على القوم الكافرين الذين انتزعوا الملكية من أصحابها وحققوا لأنفسهم ما أعطاه الله لسواهم . هذا الشعب الذى خاض البحار وعبر المسالك الوعرة ليستعبد منبع الحرية السامية فتى نسجل الحرية الحمراء بالدماء الحمراء .

فوالله انى لا أجد شعبا من شعوب العالم بأسره أحق بالحرية من شعب وادى النيل ، لأن منبته من العروبة التى علمت العالم الحياة ومعناها ، وكانت تعلم علوماً وتتمتع بنور الحياة بينما كان الغرب يتخبط فى ظـــلام الاستبداد خبط

عشواء الليل .

ولكن بشر كل من حاول أن يجعل منا مهبطا لاستبداده بعذاب وتنكيل ، فاننا قد صحونا من غفلة فويل للقوم الظالمين .

هذه نبذة مختصرة عن الحياة فى المنطقة الشمالية وقد ذكرت بعض الأمثال من البلاد الهامة فيها وسياسة المستعمر نحوها .

بعد ذلك نشرح بعض الحقائق والأمثلة فى المنطقة الشرقية ، وهى المنطقة الثانية المتحضرة .

ولا أنسى أن أقول أن سكان المنطقة الشمالية ينقسمون إلى أربعة طوائف دينيه :

١) الختميه .
٢) القادريه .
٣) الأنصار .
٤) التجانيه .

هذه هى أهم الطوائف فى هذه المنطقة .

٢ — المنطقة الشرقية

المديرية الشرقية وتبتدىء من أم درمان والخرطوم بحرى ، وفى أم درمان الفتيخاب ويسكن فيها أيضا الأشراف والهاشماب والمواليد وجانب من الأتراك وجانب من القوبيه والتعايشه والمواليد والبادراب والجعليون وقبائل كثيره مختلفه وهى العاصمة الوطنيه المعتمد عليها .

وتوجد وابورات بالقرب منها وفيها موظفون كثيرون ، كما أن القوات المصرية مركزها فى هذه المنطقه .

وهى تقع عند ملتقى النيلين الأزرق والأبيض فى منطقه يطلق عليها اسم

(المقرن) أى المكان الذى قرن بين ناحيتين . ويفصل الخرطوم بحرى عن الخرطوم النيل الأزرق ولكن الحكومة المصرية أنشأت كبرى كبيرا ضخما على النيل ربط بين البلدين ، وكان حتى وقت قريب يدفع سائق عربات التاكسى ضريبة لمروره على هذا الكبرى بل إن راكب الدراجه والأشخاص كانوا يدفعون ضريبة لمرورهم فوق الكبرى إلا أنها ألغيت فى الوقت الحاضر مع استمرارها فى كبرى أم درمان الذى أنشأته حكومة السودان على النيل الأبيض ليربط بين أم درمان والخرطوم ولكنها سمحت لراكبي الدراجات والأشخاص بالمرور دون ضريبة .

وهذه الضريبة كانت لسائق التاكسى خمسة قروش ولراكبي الدراجات خمسة مليمات .

تلك هى السبل التى كانت ومازالت تتبعها حكومة السودان الظالمة فى إمتصاص دماء الشعب المسكين .

ويسكن بالخرطوم بحرى الخوجلاب ، كما أن هذه البلده مملوءة بالمرغنية وعدد من الأدارسه .

وبالخرطوم بحرى توجد عدة ورش حكومية ومصالح أخرى ، وبها تجار كثيرون أغلبهم وطنيون وقليل من الأجانب .

والخرطوم بحرى بلدة هادئه يقطن فيها أكثر العمال وليس بها مساكن للانجليز ، وفى شمالها الغربى توجد منطقة للتجارب الزراعية والتحاليل الكيميائية وأماكن لتربية المواشى واستخراج الألبان يطلق عليها اسم شمبات .

وكان يصل بين شمبات والخرطوم بحرى قاطره يطلق عليها اسم « السمع » وهى تسير بالفحم والزيت الوسخ ولكنها تعطلت فى الوقت الحاضر وحل محلها «باصات» أى عربات كبيرة ، ومن هناك يمكن الوصول إلى أم درمان عن طريق معدية يطلق عليها اسم معدية شمبات .

أما الخرطوم فيوجد بها مطار للطائرات ، وأماكن للأسلحة والذخيرة الحديثه وجميع موارد الحبوب بالسودان ومنها تقوم جميع القطارات التى تذهب إلى كسلا وبورتسودان والأبيض ووادى حلفا أى هى النقطة الرئيسية لقيام جميع القطارات .

وأم درمان فيها ثمار كثيره وموارد البهائم والتجارة الخارجية والداخلية من جميع الأصناف .

وأم درمان هى المكان الوحيد فى السودان الذى يسكنه جميع القبائل السودانية أو الأغلبية منهم فهى تجمع جميع العناصر السودانية العريقة واسمها الأول (البقعة) .

وتبتدىء أم درمان من جبل كررى وتنتهى عند دنقلا ، والطرف الغربى إلى جبل أولياء الذى انشىء فيه خزان جبل الأولياء وهـــذه المنطقة تعتبر تقريبا مستعمره مصريه حيث لايعيش فيها إلا المصريون من أهالى الرى والجيش المصرى وبها مدرسة ابتدائيه مصريه .

والطرف الشرقى إلى بلدة العيلفون وأم ضبان إلى أبى دليج ويسكن عرب البطاحين والحسنات والشنابله والطريقة والبادراب والمناصير وجانب كثير من العناصر المختلفة هذه البوادى ويرعون الأبقار والجمال والضأن بكميات كبيره لاعدد لها ، وتسقى هذه الحيوانات بمياه الآبار التى تستخرج بالبكارات ، وبها بعض الوابورات التى تنقل المياه من النيل ، ويزرع هناك الموز والقطن والمانجو وغيرها من أنواع الذرة وود عكر والفيتاريتا .

ومن أهم ميزات سكان هذه الجهات انهم دينيون لايعرفون شيئا غير حفظ القرآن الكريم وعبادة الله ومن خالف ذلك فله العقاب من المشايخ وكبار رجال الدين فى هذه المنطقة .

وفى الحقيقة أن أهالى هذه المنطقة يجهـــلون كل شىء عن المستعمر إلا

أنهم يشيدون بذكر المصريين بجريزتهم وروحهم التى استمدونها من طبيعة الخالق الجبار .

وتوجد آثار فى هذه المنطقة من قديم الزمن آثار عجيبة ، وفى الوقت الحاضر يسكنون بيوتات من اللبن والقش لأن أملهم الوحيد فى هذه الحياة هو عبادة الله واتباع ما حلله والابتعاد عما حرمه .

ويطلق على بلدة الخرطوم والخرطوم بحرى وأم درمان إسم العاصمة المثلثة وهى أرقى بلاد السودان ومكان رياسة جميع دور الحكومة والمدارس والمستشفيات وبها كثير من دور الخيالة التى تجلب الأفلام المصرية وأحياناً أفلاما امريكانية وهندية وانجليزية .

أما باقى البلاد التى فى المديرية الشرقية فأهمها كسلا ويوجد فيها قبر السيد الحسن وأروما وكلها كانت أماكن للحرب الإيطالية كما سيأتى ، وبها زراعات كثيرة ومواشى عديدة وتعتمد فى رى الأراضى على خور القاش الذى ينبع من مرتفعات الحبشة ، لذلك فالزراعة فى هذه البلاد تكثر فى وقت الخريف ، ولا يوجد بهذه البلاد دور خيالة أو أماكن لهو لأن سكانها أغلبهم أعراب الهدندوة والزبيدية وهم رجال دين لايعرفون عن هذه المظاهر شيئا وتمتد المديرية الشرقية إلى بلدة سنكات وجبيت واركويت وهذه البلاد هى مصايف السودان لأنها ذات جو ومناخ فى الصيف أشبه بالاسكندريه إلا انها بعيدة عن البحر والسبب فى جمال مناخها هو ارتفاعها العظيم عن سطح البحر . وتقطن الشريفه مريم بلدة سنكات التى تتركها فى الشتاء إلى بلدة سواكن لأن هذه البلاد (المصيف) تصبح خاوية فى فصل الشتاء لأن جميع المصيفين يرحلون إلى بلاد بورتسودان وسواكن وسلوم وغيرها .

وبورتسودان هى أعظم ميناء فى السودان وتمر عليها جميع البواخر التى تسير فى البحر الأحمر لتتمون منها — ويسكن بورتسودان أجانب كثيرون وهى أشبه

فى حياتها بالخرطوم ، فى مدنيتها وتقدمها وحضارتها وملاهيها ووطنية سكانها
ويطلق على هذه البلاد « سلسلة جبال البحر الأحمر » حيث تمتد جبال البحر الأحمر
طوال هذه البلاد .

ولا أنسى أن أقول أن حكومة السودان قد انشأت لوكاندة وسراية عظيمة فى بلدة أركويت ، وانشأت أماكن زراعيه وحدائق ، كل ذلك لكى يتنعم الانجليز فى وقت مصيفهم لأن الحاكم العام وأغلب كبراء الانجليز ينتقلون إليها صيفا .

ويوجد بأركويت جبلان من أكبر الجبال فى سلسلة جبال البحر الأحمر احداهما يطلق عليه إسم الشايب والثانى اسم الست والسبب فى تسمية الثانى بذلك الاسم هو أن زوج حاكم من حكام السودان جلست عليه وتناولت فنجان قهوة فسمى باسمها منذ ذلك الوقت .

وهذه الجبال تتكون من صخور ضخمه صلده . لو وقف الشخص على قمة هذين الجبلين لتطلع لمناظر عظيمة حيث يستطيع رؤية بورتسودان وسواكن والطرق التى تربط بينها وبين سنكات وطوكر بالعربات .

* * *

أظن أن المصريين يجهلون كل هذه الحقائق عن السودان الذى كله خيرات وكله ثمرات يستغلها الظالم ويجحف بحقوق السودانيين ، فالأخير يعمل والأول يستثمر وهو يتمتع بطبيعة السودان كأنه على أرض سطرتها يده وبناها بقوته

ولكن فلنقل للظالم أن يومك قد حان للانتقام منك فنحن صبرنا ووراء هذا الصبر مايعلمه القدر وتعهده العروبة الصادقة فينا وفى أنفسنا .

٣ — المنطقة الغربيـــة

بعد ذلك نبتدىء بشرح المديرية الغربية وحالة الالمام بها من كثرة مانعرف فى

هذه البلاد من الوطنيين . ومن طغى عليهم الاستعمار وكانوا فى حالة متحسنة واليوم أصبحوا فى حالة سيئة من كثرة ضغط الطغاة الظالمين الانجليز المستبدين عليهم ، وانتزعوا أراضيهم ونشروا الفتنة والكراهية بعضهم البعض وليس لهم مستقبل ولا نصير وانكسرت نفوسهم وذابت أفكارهم وتشتت أطفالهم بغـــير تعليم وغير تفكير وهذا كله هو الوباء والبلاء من المستعمر الطاغيه الذى ليس له ضمير يستعبدون العالم بغير مالا ولا جاه ألا قاتل الله الأنانيةالاستعماريه الغاشمةوحفظ وادى النيل تحت الشهادة الإسلامية والعقائد الدينية حماهم الله برحمته واعانته البالغة تحت تاج ملك الاسلام المعظم .

نطلب الله أن يرد غضبه عنا ويرفع البلاء ويؤيد المسلمين براً وبحراً ويرفع المحنه الكاظمه .

ألا قاتل الله المستعمر الجبار العنود وأفاض الله برحمته على المسلمين ورفع راية الحق ونصرها ، وربط الله حزمة الاسلام بقوة إلاهية وأيد الله نصر الدين الأمين ، ونصر من اللهوفتح قريب ، الله أكبر على كل من طغى وتكبر ، اللهم كلل سعينا بالنجاح إلى وحدة وادى النيل فالله أخذل من عادانا والله أيد من ناصرنا فى هذه الفترة ، اللهم ارحم المجاهدين رحمة عامة ، واللهم أخذل أذناب الانجليز الات المستعمر ، اللهم أحيط بهم الهزيمة واللهم انصر المجاهدين فى سبيل الوطن الذين تحملوا الوباء والبلاء ويخافون على الحاضر والماضى والغائب الذين ساحوا فى هـــذه البلاد وجددوا منها الحقائق والحقيقات وكتبوها فى قالب صحيح ، وكثير من السكان لايعرفون هذه الحقائق والوضع الصحيح ولا يعرفون اين المجاهد الذى أفنى عمره كله فى حب الوحدة — وأفنى أمواله فى درس الحقائق ومر بهذه البلاد الصغـــير والكبير بغير فرز حتى فهم واستنتج درس ولقح ، وسعى وراء الشيء الذى يعود على السودان ووحدة الوادى بالنفع والخير من وثائق هامه لها قيمتها فى الأقطار السودانيه بل العالم بأسره ، والذى لا يستطيع

الأدلاء يمثل هذه الوثائق إلا من كان عبداً مخلصاً ورجلا شـــديداً لايخاف ولا يخشى ضغط الانجليز ، رجل صاحب صوله وجوله فهذه الحقائق بالوضع الصحيح لا يعلمها إلا القليل بل أقل من القليل . ومن هنا ننتقل إلى الكتابة عن المنطقة الغربية فهى المنطقة الوحيده فى السـودان التى شهدت وجاهـدت منذ قديم الزمان فكل نضال كان يدور فى السودان انما منشؤه الحقيق فى هذه المنطقـــة .

* * *

نشرح حالة البقاع فى المنطقة الغربية والمديرية الأساسية فى دار الغرب هى مديرية دارفور وعاصمتها الفاشر وهى مقر السلطان على دينار فهى البقعة الأساسية وعاصمة ملكه وهى المحلة الكبرى للقيادة العليا وموجود فيها خط رحال على دينار واسمها « الخير خنقانى » وهذه البقعـــة فياضة بالخيرات والمنافع الكثيرة وبالقرب منها الجنينه وصعيدها نيالا والآن أصبحت مركزاً وفيها مطار . وزالنجى وجبل مره بالقرب منها على بعد كيلو مترات وشرقها الملك الصياح ودار الكبابيش وشمالها جبل العطرون وصباحها جبل الحلة وأم كدادة والنهود والأبيض لحدود على دينار . فهذه البلاد كلها حتى النهود ونيالا والجنينة كانت تحت حكم السلطان على دينار ولا يستطيع أى انجليزى أن يضع قدمه هناك لأن سكانها لا يقلون عن ثلاثة ملايين .

وكان على دينار له خيل عظيمه وجميله وله عساكر حربيه مسلحة بالبنادق الكبيرة لأن هذا السلاح كان له تجار يأتون به من كل البلاد ، من فرنسا وجبال النوبه والحبشة وقبائل أخرى يجيدون ركوب الخيل ويجيدون طعن الحراب وزرق النشابات وضرب السلاح ولا يخافون من الموت فى سبيل كرامتهم وحرية بلادهم فلهم حماية خاصة ، يكتبون الحجابات ضد الأسلحة النارية فلم يكن يجوز فيهم أى سلاح .

وهذه البلدة فى زمن السلطان على دينار كانت التجارة فيها بالبدل .

وكان الذهب يكثر فيها وكانت الفضة والريالات القشليه لا ثمن لها ، وبالأكثر زراعة التمباك والأسراف الجاريه من الجبال ويكثر فيها جميع الحيوانات من البهائم والجمال والأبقار والخيول الرخيصة بأرخص الثمن لا يزيد ثمن الجواد الواحد عن ٥٠ قرشا ولا يزيد الثور عن ٣٠ قرشا فى زمن حكم على دينار ، والمسلى لا يزيد الرطل عن ١٠ مليمات ، والسمسم والزيوت لا قيمة لها .

وأول من وطأ هذه الأرض ، بلاد على دينار التجار الجعليون وكثير من الحضريين والدناقله والدوليب والجلابه لأنهم استوطنوا هذه البلاد وكان السلطان يكرم عليهم بسخاء حتى نزحت القبائل بعدهم وقطنوا فى عاصمة الفاشر وكانت لهم أكبر تجارة ، وهم فتحوا التوريد والتصدير عن درب الأربعين إلى مصر لأن البضاعة المصريه كانت أجود بضاعة تسافر إلى الفاشر بما فيها الزردخان والسرتى وقرن الخزى وثياب البنقالى وبما فيها كانوا يتصلون مع تاجر بمصر يقال له السيوفى وهو جد السيوفى بك الموجود الآن بشارع سليمان باشا رقم ٤١ .

وكان من أكبر التجار الموجودين للتوريد للسودان وكانت أمانه التجارة السودانية كلها محفوظة لديه وكان هو الرجل العظيم الموجود بالقطر المصرى ويثق فيه جميع التجار السودانيين وكان رجلا صادقا ويتاجر فى التجارة الحرة وكان يكرم السودانيين بكل سخاء ويرحب بهم ويضيفهم فى بيته فهو أول من عمل الارتباط التجارى مع التجار السودانيين وكان يحب السودان حبا طبيعيا عربيا .

وكانوا ينزحون بالبضاعة من مصر إلى بلدة على دينار وكان الحرير والأشياء الجميلة موجودة فى الفاشر بكثرة .

وكانت كل القبائل تشترى من المديرية الغربية ، وتجلب السكر وتجارة

أخرى من السودان الفرنسي .

وكانت الروائح الجميلة تأتي من مصر إلى السودان والبلاد في ذلك الوقت في رخاء وطمأنينة وأمن ، وكان السلطان على دينار يؤمن بهذه البلاد ولم تكن هناك حوادث سرقة لأن الناس لم تكن في حاجة .

وكان كل ضيف يدخل هذه البلاد معززا ومكرماً . فهذه البلاد تكثر فيها المواشي وتكثر فيها الزراعة الخضرية والزراعة المطريه والعيوش والجلود وريش النعام وسن الفيل والتمباك والعسل وكثير من محصولات أخرى وبالأخص السمسم .

فكان امراء هذه البلاد كلهم يتبعون سلطان دارفور ، وكانوا يحبون السلطان لأنه رجل كريم لا يظلم أحداً .

أما المشهورون بالتجارة الآن فهم الريح الفكي وبابكر كرم الله وأحمد البشير سر تجار الفاشر وأدريس نور متعهد عربات النقل ومحي الدين ببلدة زالنجي ومحمد عثمان عابدين بالجنينه ، وأحمد البرير العباسي من نيالا وزين العابدين محمود من نيالا أيضا .

وهؤلاء التجار من أعظم الناس بالفاشر ويطالبون بالوحدة تحت تاج الفاروق المفدى ، وكثير منهم يحضر إلى مصر فيتاجر ثم يعود إلى بلاده .

وهـــذه البلاد تسكنها أجناس مختلفة وأجناس نزحت من الجزيرة بما فيهم الجعليون واستوطنوا في هذه البلاد وبما فيهم الدواليب وكواهلة وبديرية وسناهير وقبائل أخرى .

وأما سكان البلاد بالذات الأصليين فهم فور وهبانيه وبرقو وبرنو ومساليت وسلامه وشويحات وصنقر ورزيقات وحمر وقيسان وفيسان وميدوب وزغاوة وبغاده ومعاليه وبزعه ومسيريه وأجناس أخرى مختلفة من الفلاته والمواليد .

والسلاطين هم السلطان على دينارفهوالمشهور بهذه البلدة أما السلاطين الأخرى

فالسلطان عبد الحميد ويقطن زالنجى والسلطان جبر الدار بنيالا والسلطان كبكيك فى حدود فرنسا ، والملك الصياح فى الجزو بالقرب من الكبابيش والسلطان بحر الدين فى بحر الغزال بجوار كاس .

هؤلاء هم سلاطين دارفور ، كما نذكر النظار والشراتى منهم عبد المنعم ناظر عموم دارحمر ، ومحمد أبو رنات ناظر النهود ، والسمانى ناظر فلاته وقراوى رأس الثور ناظر الهبانيه ، وموسى مادبو ناظر دار الزريقات بأبى جابرة ، وجمال الدين الهبانى ناظر كجم .

والشراتى الموجودة لاتقل عن ٢٠٠ شرتايه وكل شرتايه لاتقل عن ٥٠ شيخ تحت أمره .

فهذه بلاد دارفور يكثر فيها الصمغ وتكثر فيها الجلود وجميع الصناعات المحلية لترويج البضائع الداخلية والخارجية .

وكانوا يقطعون هذه البلاد فى ٤٠ يوما بالجمال والآن بالعربات فى أربعة أيام . فكل جهة من النظار تقام فيها محكمة قروية ويحكم الناظر ويرأسها أحد الشراتى وينفذون خطط الناظر كأنه الحاكم العام قبل أن تصل للمفتش الانجليزى المنكسر الساعة .

وأما القانون الذى يسير عليه هؤلاء النظار هو القانون الانجليزى فيه مواد خاصة فبعضهم يحكم بالغرامة بالجمال والبعض بالبقر والبعض بالحبس .

وكل ناظر له كاتب بمعرفة الانجليز بماهية تافهة ، وكل ناظر له سبعة عساكر وكل عسكرى ماهيته جنيهان ونصف وينفذون القوانين كلها إلى الناس الذين يحبون فى طريق الوحدة ويضربون الناس بعضهم البعض والانجليزى يقف متفرجا .

هل يمكن للمفاوض المصرى أن يعلم ذلك ؟

وهل يمكن للمؤتمر تقديم هذه الوثائق إلى المفاوض المصرى ؟

وسنواصل الكتابة لنشرح الأعمال التى فعلها الانجليز فى هذه البلاد فى

التجارات ومحصولاتها الاقتصادية وحالة المجموعات الخفية فى الأراضى السودانية وحالة أذناب الانجليز فى المديرية الغربية بأكلها ودس أفراد الأذناب فى المجموعة بالتفرقة كلاعب الشطرنج يستولى على زمام الأمور ويقبضون على أزمة البلاد بيد من حديد بالمعاملة القاسيه والشدة حتى ظهرت خبائث أمورهم .

كل ماسبق كان عن حالة الأراضى فى السودان والسياسة الغاشمة التى طال أمدها وبلغت الصحف رسائلها بالتحقيق والتأكيد فى تلك الحقائق السياسية التى نذكر لكم منها المراكز الغربيه كتفسير مؤكد وشرح مستوفى من جبل أولياء إلى بلدة عد العود . نذكر بلدة أم سدر التى يقيم بها الكبابيش والكواهلة ونذكر بلدة تقع بعدها ببعض كيلو مترات، تسمى الأندرابه وتمتاز بالمراعى الواسعة الخضراء التى ترعى فيها الجمال والأبقار والماعز والضأن فهى البلدة الأساسية التى تربط بين الكبابيش والنيل الأبيض قبيلة بعد قبيلة إلى الفاشر بطرق شتى .

وتوجد بلد بجوار النيل الأبيض تدعى الخنيك وسكان الخنيك جميعا من عرب الجوعيه وبلدة بالقرب منها تسمى شبشه بلدة الشيخ برير ومحط رحاله وبلدة أخرى تسمى الكرانك يقطن فيها الشيخ النور والشيخ عمر من أولياء الله الصالحين .

وبلدة أخرى تسمى الزريبه يوجد بها الشيخ ود وقيع الله . وهذه البلدة تقع على بعد بعض الكيلومترات من النيل الأبيض .

والجهات البعيده عن النيل تزرع بمياه الأمطار وبها عرب رحل وتكثر بها زراعة السمسم والدخن ويقيم بها الجوامعه والبديريه والمسيريه .

وتوجد بلدة بالقرب منها تسمى شقيق الماجديه وتبعد عن النيل كيلو مترات وهى السوق الأساسى للعرب جميعا وتكثر الأغنام والضأن حيث تجتمع فى هذا السوق جميع القبائل المجاورة وعمدة الشقيق بالذات هو عبد الله ود جاد الله التابع إلى الناظر يوسف ود هبانى السالف الذكر وسكان هذه البلده من الكواهلة وتوجد بعد الشقيق على بعد بعض كيلو مترات بلد تدعى الحلبه بها سوق كبير

بالقرب إلى جبال التيوس وهذه البلدة كذلك تجمع جميع القبائل المجاورة لأن سوق شقيق الماجديه يوم الاثنين وسوق الهلبة يوم الجمعه .

وترتوى هذه البلاد من مياه الآبار ولكل بلدة عمدة ومشايخ وسكان بلدة الهلبة شويحات وبنى جرار وقبائل أخرى من العرب والجلابه .

وبها زراعات بماء المطر والنباتات الغزيرة التى توجد بها مراعى خصبة ترعى فيها الجمال والأبقار ويحضر إليها كذلك جمع من تجار المدن ويسمون العرب الجلابه حيث أنهم يجلبون البضائع ويأخـــذون بدلا منها المواشى ويصدرونها لشمال السودان ولمصر وتقع بعد هذه البلدة غربا بلدة تسمى أم سيالة وبالقرب منها بلدة تسمى أم قرفه .

ويوجد بعدها بلدة تسمى كجمر وبلدة تسمى حمرة الوز .

وهذه البلاد تتبع مركز بارا وسكان هذه البلاد لا يقل عن مليونين ونصف مع العلم بأنها من أغنى بلاد السودان العربى .

والانجليز فكروا فى قتل الروح المعنوية والوطنية فى هذه البلاد كما أنهم تركوهم يتخبطون فى ظلمات الجهل حيث أنه لا توجد إلى الآن مدارس فى تلك النواحى كما دسوا جواسيسهم فى جمع المواطنين .

كما جمعت الحكومة بعض ضعاف النفوس وولتهم السلطة على السكان التى أخذت فى الاستبداد بها واستغلال مراكزها حيث يجمعون انتاج البلاد الحيوانى وحصادها الذى لا يقل تقدير ثمنها فى السنة عن ثلاثه مليون جنيه وهذا قليل من كثير .

وأهل هذه البلاد لا يعلمون أى شىء عن مصر حيث أنهم يفكرون فى أنها بلد بعيد عنهم لا صلة لهم بها ولا رابط بينهم وبينها لأن فى هذه البلاد لا توجد دعاية لصالح مصر بل توجد الدعاية لصالح بريطانيا وحدها .

بعد ذلك نذكر مركز بارا فهو الرابط الوحيد بين الكبابيش وبين دار حمر

وبدار حامد والمديرية الغربية .

وهـــذه البلاد خير بلاد الغرب جميعا ويسكنها عرب الجوامعة وبديريه ودواليب وركابيه والبكريه والهواوير وبعض من البزعه وتكثر بها زراعة الخضروات والفواكه .

كما كان فيها من قديم الزمن الفرقة المصريه وكان رئيسهـــا الشنهابى باشا كما تكثر فى هذه البلاد رجال من الختمية وهى مسقط رأس السيد الحسن جد السيد على المرغنى باشا . كما يوجد بها أغلبية ساحقة تنادى بوحدة وادى النيل حيث أنهم مزقوا العلم البريطانى الذى كان يوجد بجانب العلم المصرى فى مركز بارا وجعلوا العلم المصرى يرفرف وحده خفاقا ساريا فأخذ الأنجليزى المنكر الساعة يكيد كيدا للأبطال الذين مزقوا العلم البريطانى حيث أرسلوهم بين جدران السجون وغرف المعتقلات .

كما قام حزب الأمة يكشف القناع عن الأبطال الوطنيين كما دسوا العرب الأجلاف والنظار والمشايخ والعمد الذين باعوا ضميرهم بالأموال التى شلت ألسنتهم كما منحوا المشايخ السلطات التى أخذوا يستبدون بها حيث أنهم يجمعون من كل مواطن عشر مايملك سنويا لخزينتهم .

كما يفرضون ضريبة على كل ذى لحية كما شرعوا يراقبون كل من ينادى بوحدة وادى النيل وكل من يناشد بها ولكن الوعى القومى يقظ لم ينم قط بل أخذ يراقبهم مراقبة من نسج سياستهم الخرقاء كما وجد هناك نفر غير قليل يعضده الانجليز فى بث روح الاستعمار بين أفراد الشعب .

فهل قدم المؤتمر مذكرات عن تلك الوثائق ؟

وهل يعلم المفاوض المصرى بذلك ؟.

وهل علمت مصر عمن استشهد فى سبيل الوحدة على يد الأنجليز وأذنابهم فى السودان؟

ونستمر فى سرد مواقف الأنجليز ومكرهم فى النيل الأبيض واشياء أخرى وسياسة سكسونية رهيبة .

كم فكر المفكرون وكم عجز السياسيون عن السياسة الأنجليزيه الغاشمة فى أنحاء السودان .

ثم نشرح بعض وثائق خطيرة لكى تكون دليلا واضحا للمفاوض المصرى واثباتا قاطعا إلى فكرة الأراضى السودانية وحالة المشاريع وحالة الزراعة تقع هذه الأراضى بينها وبين الخرطوم بعض كيلو مترات فهى أرض جيدة للزراعة المطرية والبحرية .

وكان العامل السودانى فى ذاك الحين يزرع بالمطر ويزرع بالنيل ويرعى بهائمه ويتاجر فى عيوشه وكان إيراد العامل الواحد السنوى خمسين أردبا من الذرة بكسب الربح الحلال .

وفكرت الحكومة فى نزع هذه الأراضى من أصحابها عنوة لأنها تنتج انتاجا مثمراً وجيداً للغاية لاسيما فى زراعة محصول القطن الذى يدر لها أموالا طائلة تعد الملايين لذلك فكرت الحكومة الأنجليزيه الاستعماريه فى ارتجال هذه الأراضى ملكا لها بدلا من أصحابها .

وجعلت الوسيلة لذلك فكرة الخزان الذى أوقعت بينه وبين المزارع السودانى العداوة والبغضاء بطريقة سياسية فنية حتى اضطر المزارع السودانى أن يكره أخاه المصرى بسبب التعويضات الزراعية التى لم تصل إلى يده كاملة كما اشترت بها أراضى المزارع المسلمين وأعطت جل هذه الأموال للنظار والعمد والمشايخ ولم يعط صاحب الحق إلا الأجر الذى لايسد رمقه وبقية الأموال كدستها فى خزائنها لكى تستعين بها فى أغراضها الخاصة فنجحت فيما صنعت .

فهل للمفاوض المصرى الاطلاع على هذا الأمر العجيب وهل مؤتمرنا السودانى قدم هذه الوثائق وهذه الآلام الدامية المحزنه التى بها أخذوا أراضى

المزارعين عنوة وقسمت شر تقسيم وأما الزراعة المطريه كانت الحكومة تفكر فيها وتعمل لها حسابا لأنها تصلح لزراعة القطن المطريه والنيليه ولما فكرت فى اتساع زراعة القطن جعلت مشروع جبل أولياء الذى اشتركت فيه الحكومة المصريه بعمل خزان لها يمد زراعتها برفع المياه .

وأخذت من الحكومة المصرية مبلغا جسيما نظير تعويضات تعطى لأصحاب الأراضى المزروعة ولكن للاسف لم تعط المبلغ كله لأصحابه بل لعبت به ماشاء لها أن تلعب وقد بينا لكم حالة الزارع وما وصلت اليه من البؤس .

وكان قبل مشروع هذا الخزان المزارع السودانى فى السنة يربح من مزرعته ماينيف على خمسين أردبا من الذرة فى السنة ومن الخضر والفواكه ما يزيد على مائة جنيه وكان فى عيش رغد وحياة ممتعة .

ولكن يالأسف فالمستعمر فكر فى تشريد أهل البلاد من أوطانهم ومساكنهم .

وأول مافكر فيه من فكرة أساسية روجوها بأكاذيب ودعاية للسلطات الاستعمارية بواسطة النظار والعمد والمشـــايخ وأوهمتهم بأنها ستصرف لهم تعويضات كافية .

وبعد مايبتدى الخزان ، تقسم لكل واحد أراضى منسقة منظمة بطرق زراعية فنية حـــديثة كالحواشات التى تخطط اليوم فى أراضى الجزيرة . وبذلك تصبح الأراضى جميعها صالحة للغاية للزراعة منها بتسميد البهائم للمرعى الخصيب ويستعين الفلاح ليزرع بجانبه خضروات وفواكه ماشاء لتجلب له الأموال الطائلة .

وما أن شعر المزارع المسكين بذلك حتى واثق على المشروعات الانجليزية الاستعمارية وآمن بفكرتها وعمل لها بكل جد ولكن يالأسف لم تحقق رغبة المزارع من أول زراعة له فقد شعر بالفشل الذريع وبالخيانة الانجليزية العظمى تحد الفلاح المسكين .

وان أراضى الجزيرة من أعظم أراضى السودان خصوبة ومتانة وسهولة

للزارع وبها مزارع ومراعي جميلة للغاية .

بدأت الحكومة المصرية فى تشييد خزان جبل أولياء فاندست فيها أكبر اللصوص الانجليزية يضللون مصر بأن جبل أولياء أرضه حجرية خصصوا بها مصر لكى تستولى على أراضى أخرى جيدة فى نواحى من الجزيرة

فهل المفاوض المصرى يعلم ذلك ؟

ومشروع أبو قوته يقع على ضفاف النيل الأبيض ، وإنه مشروع عظيم وإيراده السنوى أكثر من خمسة ملايين من الجنيهات ومشروع القرصة الذى يستولى عليه السيد عبد الرحمن المهدى وربحه لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه فى السنة كما يذكر لكم مشروع الجزيرة أبا ومشروع الدويم وأبى حبيره وخزان عبد الماجد .

هذه الأطيان كلها نزعت من أصحابها فصاروا لا يملكون منها شيئا .

وأن مصر العزيزة لا تملك من هذه الأراضى العظيمة شيئاً بل تمتصها الحكومة الظالمة المستبدة .

وأما الانجليزى المنكسر الساعة أخذ أجل التعويضات التى أخذت من الخزانة المصرية وكدست بها الخزانة الانجليزية الاستعمارية لأغراضها الخاصة ولمشروعها الاستعمارى البغيض .

وقف المستعمر موقف الفرح المسرور بانتصاره وتفوقه الكاذب المعهود فيه .

فصار هذا الخزان لا صالح لنا فيه ولا لمصر أيضا بل استغله المستعمر وجعل الأهالى فى فقر شديد وأراضيهم كلها غمرها الخزان وأضاعها وبقية الأراضى البعيدة من الخزان صارت حكومية صرفه لا يستطيع الزارع أن يزرع أو يحصد منها شيئا ولا يستطيع أن يرعى بهائمه ولا يجنى منها شيئا .

نذكر لكم القبائل والنظار منهم الناظر ودهبانى فهو نسيب السيد عبدالرحمن المهدى باشا ويقطن ببلدة نعيمة وفيها أكبر مشروع للسيد عبد الرحمن المهدى باشا يسمى بمشروع القراصه الذى كان ناظراً فيه محمد المهدى التعايشى الساكن

الآن بمصر .

وأما القبائل الموجودة هنالك فهي حسانيه وحسنات وربيعات وهبانيه ومحديه ومواليد وطوارفه وقريناب وعراكيين وجموعيه وعبد اللاب وبراقنه وجعافره وبشاقره وكواهله وبادراب ونفيديه ومسلميه ، وجوامعه ونواهيه وسليم وربيقات وبغاده وبديريه دهمشيه وبرياب .

وأكثر السكان حسانية ويكثر عندهم الضأن والماعز والأبقار .

وأما البلاد من جبل أولياء والخنيك والقطينة والدويم وود ابى قوته وأبى حبيرة وود الزاكى والقراصه وأبا وكوستى وهى المحطة الأساسية التى تربط الجنوب والغرب .

وهذه البلاد كلها تحت حكم الناظر يوسف ودهانى فهو الدنمو المحرك للسياسة الانجليزية الغاشمة وهو من حزب الأمة ومؤيد حركة الانفصال للسياسة الاستعمارية ونسيب السيد المهدى .

وأما الدويم فهو المركز الأساسى لهذه البلاد يكثر فيه مواليد الريف وسكانه من الجعافرة الذين جلبوا من القطر المصرى وينشدون وحدة مصر والسودان وللأسباب هذه أخذت النظارة منهم وأعطيت لعمر بن هبانى .

ونواصل حديثنا عن الخطر القوى والسياسة العميقة التى تحيط بتلك البلاد ، وتعقيد الأمور والذريعة الانجليزية التى انتجت وأثمرت ، وحض انتاجها خونة الوطنية وآلة الانجليز المتحركة يجنون ثمارها حينا بعد حين لأنهم لايعملون للوطنية بل لهدمها كما يستعينون بالانجليز والانجليزى المنكسر الساعة يستعين بهم لأنهم يتنسمون معه حق نعمة الوطن ويعرفون الحق ويعملون للباطل إن الباطل كان زهوقا ، وأن ربك لبالمرصاد وأن الله لايضيع أجر من أحسن عملا وهو بكل شيء عليم .

نشرح لكم مهزلة أخرى ، وهى اغتصاب أموال العرب الذين يرعون أغنامهم

وبهائمهم فى الغابات والأشجار وعلى سفوح الجبال وفى الصحارى والوديان. لايفتحون دكانا ولا يتاجرون فى الأموال ولا يعرفون عن المدينة شيئا لأنهم عرب فى واد خصيب يرعون البهائم ويشربون الألبان ويزرعون الذره، ويهاجر إليهم فريق من التجار ليشتروا منهم بهائم لاحد لها ، رغم ماعندهم من ذهب وفضة وماس ومرجان كما أنهم يجيدون ضرب السلاح وركوب الخيل والجمال العاليه المرتفعة العظيمة المنال . ويقلدون بالسيوف والحراب والعصى الغليظة والمدى والفيشان.

وأقل عربى فى تلك البلاد لا تقل ملكيته عن خمسين ناقة من الإبل الجيدة وهؤلاء الأعراب يسكنون بالقرب من مركز سودرى التابع لمديرية كردفان وهو لا يبعد منها بكثير بل بعض أميال ، وسودرى المركز الرئيسى لأبناء هذه الديار وكما أنه بالقرب من مركز النهود وقريب من مديرية دارفور .

ثم بلدة أخرى تسمى أبو زعيمه ممتلئة بالسكان وفيها أبقار كثيره تدر عليهم بكثير من الألبان وهى المشرع الاساسى لموارد العرب وهى لا تبعد عن سودرى إلا بعض يوم وليله بالجمال ، وغرب هذه المنطقة بلدة تدعى أم بادر ، وأم بادر هذه بها حفير كبير لماء الشرب يسمى الفوله .

ويجتمع فى أم بادر كثير من العرب والتجار أى الجلابه حول تلك الديار وهى محط رحال الكواهله التى يرأسها ويدير شئون سياستها وأحكامها المدعو (الهرديى) وهو الناظر للكواهلة وهى الحد الفاصل والأساسى لعرب الكبابيش ، وبالقرب منها الشيخ التوم الناظر لدار الكبابيش وهو من النوارب ومحط رحاله وصعيدها بلدة أرمل ولها حاكم شرتاى أى عمدة تابع لمركز النهود يسمى محمد أحمد سليمان وتقرب منها بلدة تسمى أم قوزين والتى بها حفير كبير جدا مليء بالماء الدائم من الأمطار فهى شبيهة (بأم بادر) وفيها عرب الشيخ التوم ومحط رحاله الأساسيه وتربط جميع العرب الموجودين تبع نظارة الشيخ التوم وغربها بلدة الملك الصياح ، وسافلها جبل العطرون الذى يصدر بكثرة للمدن المجاورة له وفيه مكاسب

جمة ومالية عظيمة فى بيعه ومشتراه .

فجبل العطرون هذا هو الجزء الوحيد لمرعى الكبابيش وعرب الهواوير ومن الأسماء التى تتبعها الربدة والحبيسه والرسن والعديد وحمرة الوز وجبره أم جمال وابو عروق برأسه الناظر نمر ، ناظر الهؤاوير ، وبجانب حمرة الوز أبوفاس الأعمى وأبوفاس المفتح وابو سفيان والكولة الحمراء والكولة الزرقاء التى بها محطات الطيران وهى محل تسوق العرب فى الصيف ومنه ينزح العرب لجبل العطرون حيث يجمعونه ويرسلونه لجميع أنحاء السودان لأنه يستعمل فى أشياء كثيره ومفيدة للغاية .

ثم نذكر لكم أسماء العرب منهم الكبابيش ومنهم الهواوير والنوراب والكواهله والبراقنه والعطياب والحاداب والريقات والحوازمه والعوينة والحمده والضباينه وزغاوه والناصراب وجهتيه والطلباب وأولاد عقبه والفراحنه وقبائل أخرى ، وكل ناظر فى هذه البلدة له ثلاثون عمده وكل عمدة له عشرون شيخاً ولا تقل هذه البلاد عن ثلاثة ملايين نسمة ، وهذه البلاد مملوءة بالبهائم الكبيرة الأجساد ، وبها أشجار عظيمة وارفة الظلال وبها مراعى خصبة، ووديان وينابيع ومخابىء جبليه وتتواجد فيها جميع أنواع الحيوانات ويكثر فيها النعام والزراف وكل بلدة من هذه البلاد لها ضامن من أهلها يمثلها فى كل مركز وفى كل مديرية لبيع البهائم وشراء الحاجيات مثل السفير فى المدن الكبيرة ، ينم عن حالة أهله وذويه للحاكم والتجار والأعيان .

كان الأنجليز قد فكروا فى الاستيلاء على البلاد بجواسيسهم وبث الروح الاستعمارية فى أفراد الشعب .

وكم من محاكم أنشأوها قروية أو شبه حكومية أهليه أسموها ، بئس أسماء أسميتموها ونعم أمة حكمتموها ، واستعبدتموها بحكم انجليزى .

وهؤلاء العرب من أعظم العرب الموجودين فى السودان ومن أكرم الناس

الضيف وشعار المستجير بهم الذى يقع فى حماه .

وهؤلاء العرب لو وجدوا العلم لنجحوا لذكائهم الخارق للعادة ولسمو روحهم وأخلاقهم النبيله .

فلو تعلموا لوصلوا فى القريب العاجل إلى مصاف الأمم الراقية والشعوب المتحضرة .

وإن هؤلاء العرب يمدون السودان بالبهائم والألبان والجلود التى ترسل إلى كل بلاد العالم .

فهم الأغلبية فى السودان وأن الانجليزى المنكسر الساعة استعان بالنظار والعمد والمشايخ فى قبض البلاد وبث روحه الاستعمارية ولكن هناك قد عمله مانستطيع أن نعمله ، ولكن مصرنا العزيزة لاتدرى من هو المخلص ومن هوا المجاهد ومن أعلن كرهه للانجليز على صفحات الجرائد ، ذلك لأن الانجليز يقفون دون الحقائق .

أمــــراء دارفور

عند ماتكلمنا على السلطان على دينار وقفنا بكم دون أن نذكر الأمراء والسلاطين الذين كانوا وزراء حكومته ، وقد ذكرنا أنه اتخذ الفاشر مقراه لهذه الحكومة وكان كل من هؤلاء الوزراء أي الأمراء والسلاطين القدماء قبل الحكم الحاضر وكان لكل منهم إمارة قائمة بذاتها .

وعند ماجاء السلطان على دينار وتولى سلطنة دارفور التفوا حوله وعاهدوه على أن يكونوا تحت لوائه وأن يعملوا معه جنبا لجنب وأن ينفذوا كل أوامره لأنهم يدينون بالدين الحنيف .

وهذه بعض أسماء أولئك الأمراء المعروفين فى ذلك الوقت وعــددهم تسعة عشر أميرا :

١ ــ السلطان محمد بحر الدين سلطان دار مساليت بمركز الجنينه .

٢ ــ السلطان مصطفى عبد الحميد سلطان دار قمر .

٣ ــ السلطان عبد الرحمن شراره سلطان زغاوه .

٤ ــ المقوم يوسف محمد شريف والى على نظارة مركز كتم .

٥ ــ الشرقاوى أحمد رئيس محكمة كبكابية يحكم قبيلة الفور وفى زمن على دينار كان رجل يدعى الفكى سنينه من رجال الدين شنها حربا شعواء على السلطان على دينار وقد مكثت هـــذه الحرب مايقرب من أربعة سنوات تغلب عليه السلطان فيها .

٦ ــ أكمل محمد بن آدام صبحى رئيس محكمة أميل تابعة لمركز كتم .

٧ ــ الشرقاوى التجانى الطيب صالح يحكم جزءاً من الشرقاوة .

٨ ــ السلطان دوكه عبد الرحمن ببلدة طينه تبع مركز كتم يرأس قبيلة كوبى .

٩ ــ الشرتاوى أحمداى آدام تميم رئيس محكمة مليط التابع لمركز كتم بالفاشر .

١٠ ــ الملك محمد نور رئيس الكينجة بمركز كتم .

١١ ــ الشرتاى آدم طاهر نورين من الشرقاوه تبع كتم .

١٢ ــ الشرتاى عبدالرحمن حسب النبى حاكم قبيلة السنجر التابع لكتم .

١٣ ــ الشرتاى عبدالرحمن آدم رجال رئيس محكمة نيالا .

١٤ ــ السلطان عبدالرحمن رئيس محكمة زالنجى .

١٥ ــ الشرتاى رحمة الله محمود ود التقه كان يحكم قبله العمدة صالح بزالنجى

١٦ ــ الشرتاى الزبير محمد رئيس محكمة قوزلينه بجوار الفاشر .

١٧ ــ السلطان هارون ود أحمد رئيس محكمة كورمه التابع لمركز الفاشر .

١٨ ــ الشرتاى الرشيد أحمد رئيس محكمة الطوباى التابع للفاشر .

١٩ ــ السلطان اسحق يقطن كبكابيه رئيس محكمة قبيلة التامه التابعة للفاشر .

وبعد وفاة السلطان على دينار لعبت الحكومة دورا خطيرا فشردت زعماء

دارفور ونكلت بهم تنكيلا فظيعا فشتت كل من كان حولهم .

فبدأ الأنجليز يغرون بعض الدخلاء فى تلك البلاد بالمال على أن ينفذوا لهم سياستهم وأصبحوا يولونهم على تلك الأمارات ويلقبونهم بالنظار والشراتى ، والشرتانى يرمز فى لغتهم إلى العمدة الحاكم بأمره .

فوضعت الحكومه الأنجليزية هؤلاء النظار لكى يكونوا الأصابع الخفية ليصلوا بها إلى هدفهم المنشود وهو استثمار تلك البلاد وجنى خيراتها الجسام فاصبح الناظر فى تلك البلاد فى يده السلطة الدستوريه والقضائيه .

وقد فرضت الحكومة الأنجليزية الجزية السنويه على كل ناظر من النظار وهذه الجزية تقدر بملايين الجنيهات ترسل إلى انجلترا .

وبدأت الحكومة تستغل هؤلاء النظار فى تنفيذ سياستها الاستعمارية والتنكيل بكل من يخالف أوامرهم إلى أن استتب لها الأمن فى البلاد ولم تقف الحكومة الأنجليزيه عند هذا الحد بل جعلت لهم مفتشى مراكز من الأنجليز ليراعوا أعمالهم ويوجهوهم لمصالحهم الاستعماريه .

وقد منحت الحكومة هؤلاء النظار رغم أنهم لايجيدون القراءة والكتابة السلطة الدستوريه والسلطة التنفيذيه والقضائيه كما منحت أيضا مفتشى المراكز الأنجليز كل هذه السلطات ولهم حق التصرف فى تلك البلاد ولا يؤاخذون عن أعمالهم . كما منحت هؤلاء النظار حرية التصرف ولكنها فى حدود مصلحة الأنجليز .

فأخذوا يحكمون البلاد بالحديد والاستعباد وعندما بدأت حكومة السودان تفكر فى انشاء الجمعية التشريعية توجهت اليهم فكانوا أول الملبين للدعوة فملأت الحكومه بهم الكراسى .

ولعل السبب فى تلبيتهم يرجع إلى أغراضهم الشخصية وهى حفظ نظارتهم وتجارتهم وأموالهم وتنفيذا لتلك الوعود التى وعدوا بها الحكومة المحلية وهى

تنفيذ كل مشروع توجهه اليهم الحكومة الانجليزيه .

قاتل الله المستعمر الغاشم وأنصاره أبواق الاستعمار في السودان ومحط رحاله.

ذكرنا في عدة مواضيع ، كيف احتفظ الإنجليز بسياستهم على السودان بالتنكيل برجال الوحده .

وهنا نزيد على ذلك شرح حالة العرب في بعض بلاد المنطقة الغربية ونذكر منهم نظار بعض القبائل .

فناظر بحر أبيض يوسف هباني ، وناظر بارا أحمد اسحق شداد وناظر دار حمر ودار حامد تمساح سماوي وناظر قبيلة المجانين جمعه ودسهل وناظر الكواهله الهرديمي وناظر زغاوه ودسركتي وناظر الكبابيش على التوم وناظر الهواوير نمر .

ولقد ولتهم حكومة السودان نظارة هذه البلاد وأغرتهم بشتى الطرق كما أشرنا إلى ذلك من قبل لكي يعملوا لصالحها ، وكل من يحاول أن يساعد سكان بلاده يقع عليه بلاء الأنجليز من التنكيل والتشريد به وبأهله .

وبعض اعراب هذه البلاد يكابدون مشاق عظيمة من أجل الحصول على مياه الشرب . مثل قبيلة المجانين وقبيلة دار حمر ، فمن القبيلة الأولى حتى بلدة النهود يعتمدون على البطيخ الذى يزرع بكثرة فى هذه المنطقة لأن أرضها رملية تصلح لاستثماره ، وقد جعلها الله كذلك لأنه يعلم مايدور حول هؤلاء السكان المظلومين الذين حنقت عليهم حكومة الاستعمار الغاشمة ، حيث أنها لم تيسر لهم المياه بايجاد وابورات أو الوسائل التى تستخرج بها .

وبعض سكان هذه الجهات يعتمدون على شرب مياه التبلدى التى تختزن من مياه الأمطار فى باطن الأشجار .

وأخيراً فكرت حكومة السودان فى إيجاد وابورات لاستخراج الماء ليس غرضها من ذلك منفعة القبائل بل لتوجد بينهم مشاكل لأنها لم تنشىء هذه الوابورات إلا فى بعض الجهات وتركت الأخرى .

وإن صفيحة الماء تباع بخمسة مليمات وأكثر ، ويتكلف شرب الجمل قرشين وشرب البقره قرشا والماعز خمسة مليمات ، هاهى الحياة حتى فى المياه التى أحلها الله للبشر .

انها لاتترك أى ناحية إلا وتستغلها لمنفعتها ، تلك هى الحكومة التى تدعى الديمقراطية . فأين الديمقراطية ياحكومة جون بول ؟ وأين الرحمة بالبشر والمدنية يامن تدعون المدنيه والرحمة تلك أعمالكم نحو الشعوب المستعبدة المسكينة ، تلك سبلكم ونحن فى القرن العشرين ، قرن الحضارة والعجائب قرن الذرة هذا القرن الذى فضح الديمقراطية ولكنها موصمة فى الصميم فى سويداء قلبها .

ولم تنشىء حكومة السودان فى هاتين الجهتين المدارس لتعليم أبناء الأهالى إلا فى بعض المراكز الكبيرة ، كما أن الكثيرين يمرضون باليرقان لعدم وجود مياه أو مستشفيات انشرف على أحوالهم الصحية .

أما أعراب بلدة بارا والزغاوه والكواهله والكبابيش والهواوير فيعتمدون على مياه الآبار والأمطار التى تختزن فى الفول .

ورغم ماتلقاه هذه البلاد من تحطيم حكومة الاستعمار ، فأن الرخاء واليمن يعم أنحاءها لحيوية سكانها وجدهم .

فمثلا جوال الفول ثمنه لايزيد عن خمسة عشر قرشاً ، وقنطار العرديب لايزيد عن خمسين قرشا . أما الصمغ والسمسم والحنضل والسيكران فكل هذه الأشياء لاقيمة لها ــ والسلى والبهائم والخضروات أيضا توجد بأبخث الأثمان .

ولكن تأتى حكومة السودان الظالمه وتضع يدها على كل هــذه المحاصيل وتستولى عليها وتصدرها إلى الأبيض ومنها إلى الخارج ليستغلوها لمنفعتهم ويربحوا من ورائها ملايين الجنيهات ويتركوا تلك الشعوب تقاسى الآلام تحت نيرهم وظلمهم .

ألا قاتل الله المستعمر الغاشم ليخلص هذه البلاد من العبودية والمذلة كي

ينقذوا بلادهم من الفقر الذى يحيط بها من أعمال الأنجليز واستبدادهم المنكر على شعب يخاف الله ويخشاه ، يتبع ما حلله ويبتعد عما حرمه ، وإن أعراب هذه البلاد جميعهم يحنون لوحدة وادى النيل لأن دماءهم تدفعهم لذلك ، دماء العروبة التى تربط البلدين لكنهم يخشون ضغط الإنجليز الطغاة .

ننتقل من هذا إلى المنطقة التى تمتد من بلدة الأبيض إلى كوستى إلى الرهد وجبال النوبة .

فبلدة الأبيض هى عاصمة مديرية كردفان وبها الحضارة بادية وهى المكان الوحيد الذى تجمع فيه جميع حاصلات المنطقة الغربية ، ومنها تصدر أكبر كميات فى العالم من الصمغ العربى والسمسم والفول والبهائم .

وتعتمد بلدة الأبيض وما حولها على مياه الأمطار التى تخزن فى الفول ، وعلى مياه الوابورات والآبار .

وتتصل بلدة الأبيض بكوستى بخط حديدى يمر وسط جبال وهضاب وبلاد صغيرة مثل تندلتى وأم روابه .

وبلدة كوستى هى الميناء الرئيسى للبواخر التى تتصل بجنوب السودان وبجوار كوستى توجد الجزيرة أبا ، وتتصل كوستى بأرض الجزيرة بخط حديدى ، وأرض الجزيرة تعد أخصب بقاع السودان وتنتج أكبر كميات من القطن فى السودان وسكانها وطنيون لا يوجد فيهم من الأجانب إلا القليل وأغلبهم يشتغلون بالتجارة والزراعة .

أما الجزيرة أبا فكانت ملكا للبعقوباب والسمانية وكانت محط رحال الشيخ ودبلان والشيخ ودبساطى والشيخ الجنيد .

والجزيرة أبا فى الوقت الحاضر ملكا لأبناء المهدى الذين طالبوا الحكومة بملكيتها لأن والدهم بدأ جهاده منها وكانت مقر عبادته ، لذلك فأغلب سكانها هم من اتباع المهدي ، وهي مكان خصب تزرع فيها الفواكه مثل المانجو والجوافة

والموز والبلح وتثمر فيها زراعة القطن ، وتصلح فيها المراعى للبهائم وهى موجودة بكثرة ، ومن ميزات سكان هذه المنطقة أنهم ورعون ودينيون ، مع كرمهم الحاتم لضيوفهم وزوارهم ، وبالبلدة متحف صغير يحوى آثار المهدية والآلات التى استخدموها فى محاربة الإنجليز ويوجد بها أيضا وابور زراعى كبير .

يلى الجزيرة أبا بلدة كابه وقدير والرهد أبو دكنه، وتعد الأخيرة مركزا للعرب وسوقاً للصمغ والمواشي والحبوب .

ولقد وقعت فى هذه البلدة واقعة الحرب الأولى للمهدى التى تم فيها القضاء على الجنرال هكس قضاء مبرما برهن للعالم أن العروبة إذا جاهدت فلن يصدها كيد الكافرين .

ويسكن الرهد أعراب الجوامعة والمسيريه والشويحات وعرب جهينه وضباينة وحوازمه وقواسمه ودواليب وبقاره ودناقله وأشكال مختلفة أخرى .

وتوجد غرب الرهد ترعه طبيعية التى باسمها سميت بلدة الرهد ، تحفظ الماء طول العام .

وصعيد هذه البلدة جبل الداير وشمالها أم روابة ، ويتفرع منها خط جبال النوبة ماراً بالعباسية وتقلى التى يملكها الملك آدم جيلى ، وتحت إمارته أربعة عشر جبلا ومقره الأساسى العباسية .

وسكان هذه البلدة هم الجعليون والتملاويون وبقية السكان من مختلف الأعراب .

وهذه البلاد تكثر فيها الصلصة والشدله وشجر المطاط وشجر الزان وأخشاب عظيمة كالأبنوس والأندراب والقنديل والبكس وشجر اللبان والمستكه وشجر الجفل ، وبها مواشى كثيرة .

وبها يوجد مقر الملك الزيبق والملك القديلى والملك أحمد والملك آدم دشاش ، فهؤلاء الملوك يحكمون تلك الجبال .

وأشهر التجار الموجودين هناك هو عبد المجيد حتيله وهو جعفرى الجنس ،

والمركز الرئيسي لها رشاد ، وفى رشاد بالذات تقام السلطة التى تدير سكان الجبال .

أما التاجر عبد الحليم أبو حتيله فهو تاجر كبير ومتعهد لتوريد القطن وتصديره وهو من رجال الوحدة ، والمجاهد من أجلها .

أما محل القطن الرئيسي فى هذه البلاد هو مركز كادوجلى وتالودى والدلنج وكلوجن وأم برمبيطه وجبال الوير .

والطرق التى تؤدى بين هذه البلاد هى العربات والجمال وتربح منها الحكومة الانجليزية ملايين الجنيهات ، وتوجد بهذه المناطق محالج وفابريقات لحلج وحزم القطن وترحيله بالجمال والعربات لتوصيله إلى بلدة الرهد ومنها يصدر إلى الخرطوم ثم إلى الخارج عن طريق السكك الحديدية .

عرب المفازة وأرض الجزيره

هؤلاء الأعراب يقطنون ريره والصفية التى تحد بقرية الحواته والحصيرة والقويس والدندر والرهد وتعتمد السكان هناك اعتمادا كلياً على زراعة البطيخ والبامى والدخن والسمسم والبصل وتكثر بها الأشجار كالنبق واللالوب والدوم والدليب ، والحيوانات العديدة كالقردة والفيلة والذئاب والأسود والنمور والطيور كالببغاء ، وتكثر أشجار الصمغ وتكثر الطيور البرية وتقع على ممتد البصر وعلى بعد مسافات شاسعة أشجار لا حد لها ومن محصولاتهم الزراعية الفيتاريتا ودعكر ، وتقطن هذه الجهات أجناس من مختلف البشر وتجرى بها وديان شتى ، أما جنسية السكان فهى من البطاحين والكواهلة وبنى جرار وبنى هلبة والمسيرية وعرب جهينة والعقليين وعرب رفاعه ، وتهطل بها الأمطار فى موسم الخريف بغزارة وتنبت الحشائش ، وتحيط بها سلسلة من الجبال كالقرين ، وفى شمالها ريرة والصفية وهنالك

يقطن فى ود الحورى ومدنى والقضارف كثير من القبائل العربيه وبها أراضى شاسعة فى غاية الجودة والصلاحية ويمر بها خط السكة الحديدى الذى يصل إلى مدينة كسلا ولها عدة كبارى وكثيرا مايجتاح السيل خطوط السكة الحديدية التى تعرقل سير المواصلات ، ويعتمد السكان على المواشى التى ترعى فى تلك السهول والوديان أما الأعراب ، فيقطنون فى خارج القرية ، وهم رحل يتتبعون الحشائش والأمطار التى تروى أراضيهم وقد اشتهروا بزراعة الفول والأشجار على مختلف أنواعها وأصنافها وبها بعض الأسواق المحلية كسوق بان وقرين وهـــذه القرية بالذات مركز للحكومة الذى تحول منها إلى القضارف لأهميتها واشتهر الناس هناك بالبطولة والفروسية وبها رجل شهم هو الذى يديرها بحكمة ودهاء يدعى الناظر موسى يعقوب وهو رجل معروف بالذكاء الخارق وبقوة العزيمة ، وهو طيب القلب سمح الخصال فريد فى إدارته رصين متزن مستقيم لا عوج له مطلقا وهو من أهالى الغرب من حيث الموطن أما السكان فهم اللحويون والبطاحين والأشراف آل عبد الحى الحسينيه والشريف عبد الله تنجه وكان من رجال المهدية الذين استبسلوا فى الجهاد وأدوا الواجب الوطنى على أتم الوجوه وبمجرد تطور السياسة الإنجليزية فى البلاد حكموا موسى يعقوب فيها ليعمل مع المستعمر وقد وقعت جميع البلاد تحت سطوتهم حتى ضاع نفوذ أولى الألباب فيها كالشيخ محمد أحمد الركين وكانت هذه البلاد ملكا للعقليين تحت إمارة ودجالس ، وأما ناظر رفاعه فهو فضل المرجى وقد قسموا هذه البلاد تقسيما كما أرادوه ناهيك بالاستبداد والذل والعبودية وتشتيت شمل السكان والاضطهاد والضغط والتنكيل والامارة حتى أضحى القوم لا عائل لهم ولا نصير ولا إرادة ولا رأى ورغم هذا كله فهنالك رجال أقوياء يديرون دفة الحكم فيها فى جميع أنحاء البلاد ، وهذه البلاد أهمها مدينة مدنى وهى عاصمة الجزيرة وإحدى مدن السودان التى تجمع مختلف الأجناس البشرية وهى السوق الكبيرة للمحصولات السودانية وتكثر بها المدارس وهى معقل

الوطنية ومنها اشتعلت الحركة الوطنية الأخيره وهنالك أصحاب الرأى وقادة الفكر والسياسة وأهل العلم وشباب الأمة المتحضر الوثاب وقد تضارع مدينة الخرطوم من حيث النظام الهندسى البارع ، وبها حدائق غناء وميادين فسيحة الأرجاء ورصفت شوارعها بالأسفلت وعلى جوانبها أعمدة الكهرباء ، وبها أكبر حقل للتجارب الزراعية وتقرب منها مارنجان وهى المزرعة الأساسية للقطن ،أما التجارب فهى الحقل الذى تقام فيه التجارب الزراعية والحشرات .

وبمدنى أحدث ورش السكة الحديدية الكبرى لعمرة القطارات وبها مخازن البنزين والحبوب .

وعمدتها ود السنى . وتقرب منها قرية حنتوب التى توجد بها أكبر مدرسة ثانوية بالسودان ، وقد شيدت على نظام حديث يشابه المبانى الأوربية .

وبها تكثر الأندية والمقاهى العظيمة والقصور الشامخه ، والتجارة والشركات ودواوين الحكومة والمحاكم الأهلية والشرعيه والمصالح العديدة وتنتشر فيها المدارس الأهلية والأميرية والليليه والمساجد العظيمة كما أن السكان يرتبطون بعقائد دينية ، وهم شديدو الإيمان والعقيدة ، وتعتمد المدينه على الزراعه النيليه والمطريه معا وبهـــا الحواشات التى تنتج القطن .

كل هذا جعل من بلدة مدنى مدينه متحضره تشابه الخرطوم والخرطوم بحرى وام درمان وعطبره وبورتسودان والأبيض ، تلك البلاد الكبيرة فى السودان التى لم تذكر هذه النواحى والأوصاف عليها لأن المفهوم عنها أنها بلاد متحضرة والكثيرون مروا عليها وفهموا معالمها .

أما البر الشرقى فيسكن فيه العركيون وكثير من أهل السودان ، أعراب وزعماء دينيين ، ولهم عقائد كبيره فى جميع أنحاء البلاد ، وهناك يقيم الرجل العظيم الشريف يوسف أبو شرى وهو الجد الأكبر للعركيين .

أما بلدة الحصاحيصا فهى المركز الأساسى الذى يمر عليه خط السكة الحديديه

القادم من واد مدنى . وتقع هذه المنطقه شرق واد مدنى ، وهى تحت إدارة الناظر يوسف ودجيل الذى يملك أطيان لاحصر لها وقطعان من الإبل والمواشى.

أما ناظر رفاعه كما سبق فهو ودعبدله ويليه فى الأمارة فضل المرجى أما الناظر بالغرب فهو محل ابراهيم ناظر الحاج عبدالله ، والبلاد التى تقع تحت إدارته كلها فى غاية الجودة والخصوبه وهو من تبعية السيد على الميرغنى اشتهر بميوله السياسيه لوحدة وادى النيل ، وهو من مناصرى حزب الأشقاء ، ويخالف فى ذلك بقية النظار الذين اشتهروا بميولهم الانجليزية البحتة وتعضيدهم للمستعمر والعمل معه جنباً لجنب وتأييده والأخذ برأيه حتى استطاعوا أن يجعلوا البلاد كما يريدها المستعمر ، يلعب بهم دوراته السياسيه الخطيرة معتمداً فى ذلك على أكتافهم وعلى طريقتهم .

أما الناظر الطاهر ود حسين ، ناظر ودالحداد ، فقد اشتهر بالعظمة والجبروت والمناعة والقوة والدهاء والذكاء الفطرى والكرم الحاتم والسعى المتواصل فى الطريق السليم والمقصد النبيل وهو وحدة وادى النيل .

والشيخ محمد توم ناظر بلدة ودسبيل التى تقع فى أواسط بلاد اليعقوباب والناظر عبدالباقى بمركز المناقل والناظر قمر الدوله وهو من أكابر السمانيه ومن أعظم الناس ، أما المسيدى ودعيسى فناظرها كريم الدين والشامى ببلدة أم عفينه والعمده ود الناير بجبل مويه ، أما جبل مويه فتزرع أراضيه بطريقتين للرى وبالغرب له سقدى التى يكثر فيها الذهب وهذه القرية بالذات تكثر فيها الآثار التى قام بالبحث عنها عن طريق الحكومة بمجرد معرفتهم بصلاحيتها بقصد استثمارها ، وكان السبب الرئيسى لكشف تلك المغاره رجل مصرى هو الذى دفعهم إلى تلك القرية ، وساعتئذ وضعت حكومة السودان يداً من حديد وإحاطتها بالسرية التامة ، وشرعت تنقب فى بطن الأرض حتى عثرت على الذهب الخام وبعض المعادن الأخرى القيمة ، وقد كانت المنطقة التي تقع بين سقدي

وجبل مويه موطنا للشيخ العجوز الرجل الصالح الذائع الصيت .

وتكثر فيها مزارع مترامية الأطراف ، وبعض الأشجار الكثيفة العامره بالسنط والطلح والنبق وفى الصحراء الواقعه فى الشمال الغربى يمر خط السكه الحديدى الذى يربطها بأنحاء القطر السودانى وتقع بالقرب منها بلدة العزاز وهى موطن لكبار السمانيه ولهم شأن كبير ، وبالقرب منه تقع بلده الشيخ النور رجل ريبه وتكثر هناك زراعة الفيتاريتا والقصابى وودعكر ونوع من الدخن والسمسم وتروى جميعها بماء المطر ، وبها المراعى الخصبة لجميع المواشى ، ويسكنها الكنوز ، وهى تشابه مدينة الاقصر حيث أنها تمت للتاريخ بصلة كبيرة .

أما بلدة ود الحداد فهى السوق الأكبر لجميع تلك المناطق ويسكنها الشايقية والدناقلة وتكثر فيها الحبوب والمحصولات ، وعلى أطراف القريه توجد غابة اسمها أم بقطر بالقرب للحاج عبدالله إلى قندان وهى تحيط ببحر أزرق وتكثر فيها زراعة البطيخ والترمس واللوبيا والعدس بما فيها القرض واللالوب والعرديب والقش ، وهذه البلدة أثريه من عهد قديم يسكنها بعض القدماء الأكابر كالملك فارس والشريف أحمد ابو سحنون وحين توفى الملك فارس كان قدانجب أولادا لاعدد لهم أطلق عليهم اسم عبدالمولى ، أما الشريف خلف فهو من ذرية صالحه من ذرية السيد أحمد الباقر ، وبعد وفاته خلفه الشريف أحمد مكاوى الذى شيدت له قبة يقرب تاريخها من المائتين عاما . وأما الشريف المكاوى فله نسب وصلة قرابة من السيد محمد عبدالهادى .

وتبتدىء هذه الأطيان من مكوار حتى الخرطوم ، وهى غاية فى الصلاحيه والجوده ، وفيها جزائر غايه فى الاهمية ، وأما بلدة قندال وغابة بقطر فهى ملك للشريف شرف الدين بن الشيخ محمد عبدالصادق وتنتهى حتى ديم المشايخه وسنار القديمة ، وبعد مجيء الرى المصرى وإقامة الخزان بسنار ضاع النفوذ الوطنى واستولى الإنجليز على جميع المشاريع .

ولو رجعنا فى التاريخ بعض الشيء لوجدنا كل الأراضى ملكا للسيد شرف الدين والد السيد يوسف شرف الدين وقد كانوا فى بادىء الأمر يملكون تلك الأراضى وأعطوها كهبة للرى المصرى حتى يستطيع أن ينفذ جميع المشروعات . وبهذا تعم الفائدة جميع سكان تلك البقاع من السودانيين الوطنيين، ولكن مما يؤسف له ، أن الأنجليز استولوا على كل هذه الأراضى مما جعلهم يذوبون أسى ولوعة ، ولا شك تلك خديعة بارعة ، كان السبب فى ترتيبها الإنجليز الذين امتصوا دماء الشعب — السودانى وجمعوا ثروات دون قيد ولا شرط، بل انتزعت تلك الأراضى انتزاعا قهريا وجعلتها تحت إدارة شئون السيد عبدالرحمن المهدى ومن ثم قسمت جميع المناطق على بعض كبار المزارعين .

وها نحن نشرح ذلك الأمر شرحا دقيقاً واضحا فهل يعلم ذلك أى شقيق لنا من المصريين الأعزاء؟

رغم ذلك كله لم يكتف الأنجليز بل بدأوا يفرضون إرادتهم على السكان مما جعل أغلبية ساحقة من أنحاء بعيدة يلقون عصا تسيارهم بالبلدة ويفرضون شئونهم فرضا ، وهكذا حرم على المواطن الكريم أن يقتات ، وجعل للدخيل الاثيم أن يكتنز الثروة والذهب ويستولى على الأملاك ، أما الأراضى التى تقع بين الدندر والرهد بقرب الحوش ، فلا تزال جرداء لا تروى بماء رى أو غير ذلك .

وقد تعجب ان سردت لك لماذا كانت أسعار الأشياء التى تباع فى الأسواق كالشطة والقرع والفاصوليا والذرة واللوبيا والعدس والكبكابيه والخص والترمس واللوبيا الخضراء والبيضاء والشمار والبامبى (البطاطه) وكل هذه المحاصيل تنتج عن الزراعة النيلية وأما الجروف فتتوقف زراعتها لحين فيضان النيل الذى يعمها جميعا والسواقى متوفرة رغم أن الحكومة السودانيه تعارض فى طريقة زراعة الجروف قصد الاستغلال .

ولكن شاء الله ان يخاف ظن الحكومة ، فالماء أصبح متوفراً يكفى حاجة

الجروف دون عناء .

وتمتد الجروف إلى أن تصل قرية سنجا عبدالله ، ولم يدر بخلد السكان مطلقا أنهم سيكونون عرضة للفاقة والجوع والفقر والحاجة أو يمر بهم ظرف سيء يعرقل مصالحهم مطلقاً ، ولكنها اليد الاستعمارية تلك التى جعلت من صاحب الرزق الموفور فقيراً معدما ، وعم الكساد أما السكان فهم على قدر وافر من العلم كما أنهم لايمتون إلى السياسة بصلة ، اللهم إلا إلا شئونهم الخاصة مما جعلهم لقمة سائغة يبتلعها المستعمر المنكر دون كيد أو عناء .

وهكذا طردوا من أراضيهم ، وشردوا دون أن يرتكبوا أى إثم أو جرما أو ذنبا ، نتيجة للأنانيه التى استحوذت على الطغاة المتكبرين .

وقد اشتهر السكان بصناعة الأسلحهالبيضاء كالرماح والخناجر الحادةوالسيوف وكان البعض يحتفظ بالأسلحة النارية التى جمعها الإنجليز بطريقة ابتكروها فاستولوا على جميع مالديهم وقد ضللوا الناس تضليلا كبيراً وشغلوا الناس عن تأدية فروضهم الدينية والعبادة ، فاتجهت وجهتهم إلى الأعمال الدنيوية حتى تلاشت الأخلاق واندثرت وضعفت الروح المعنوية وأصبحت أثراً بعد عين ولا شك هذه الأعمال التعسفية أصبحت أكبر سبب هدام فى كيان الأمه التى تعيش آمنة مطمئنة فى ساحة أرض يجتازها المسافر فى ستة ساعات بالسير بالعربات .

فهل لأحد علم بذلك ؟

تلك هى بعض أعمال المستعمر فى المنطقة الغربية من السودان ، وأرباح الانجليز التى تنالها من اتعاب سكانها الذين يشقون لاستثمارها لمنفعة بلادهم .

فمتى يتخلص السودان من قيد الاستعمار وأعمال الاستعمار حطم الله قيوده ونصر أبناء الوادى على عدوهم اللدود .

٤ — المنطقة الجنوبية

إن هدف الإنجليز الآ لابردو تمزيق وادى النيل لينفردوا بكل جزء على حدة

ويسهل عليهم استغلاله وأضعافه . فكما رسموا خطتهم لفصل السودان عن مصر وتفكيك العرى بينهما وقطعوا شوطا كبيرا فى تنفيذ هذه الخطة ، فقد فعلوا مثل هذا مع السودان الجنوبى .

ولكن كيف يتسنى لهم ذلك ؟

إن أقوى رابطة يمكن أن توجد بين شمال السودان وجنوبه هى رابطة الاسلام والعروبة . ولذلك فقد ركز الانجليز أكبر مجهودهم فى محاربة الاسلام والعروبة فى الجنوب والقضاء عليهما إن أمكن .

وقد استعانوا لذلك بجمعيات التبشير الانجليزية والأمريكية ، وأغدقوا عليها المبالغ الطائلة من خزانة حكومة السودان التى يملؤها دافع الضرائب المسلم العربى . فعملت هذه الجمعيات جاهزة فى نشر المسيحية بين سكان الجنوب وأقامت الكنائس الكثيرة وفتحت المدارس التى تدعو لمحاربة الاسلام ، وعلمت الناس اللغة الانجليزية وحاربت انتشار اللغة العربية .

وقد ساعدت حكومة السودان هذه الجمعيات وشدت أزرها وحفظتها من المنافسة ، فمنعت سكان شمال السودان من إرتياد الجنوب أو الإقامة فيه إلا بإذن خاص . أما الموظفون والتجار من أهل الشمال الذين لابد من وجودهم فى الجنوب فقد ضربت عليهم الحكومة حصارا شديدا ومنعتهم من الاختلاط بالجنوبيين والتبسط معهم فى الحديث ، ومنعتهم أيضا من إقامة الشعائر الدينية خارج بيوتهم لئلا يراهم الجنوبيون فيقلدونهم ، ولا يوجد بالجنوب مسجد واحد ، وعلى من يريد إقامة الصلاة من المسلمين أن يصليها فى عقر بيته بعد أن يغلق عليه الأبواب .

أما العدد القليل من أبناء الجنوب الذين يتلقون العلم فى مدارس التبشير إنما يتعلمون علما يؤهلهم لملء الوظائف الحكومية .

واللغة الرسمية هى بالطبع اللغة الانجليزية ، وإذا أظهر أحد الجنوبيين نبوغا

وأرادوا له الاستزادة من العلم فانهم يرسلونه إلى مدارس كينيا وأوغندا ولا يرسلونه إلى الشمال ـ الخرطوم وأم درمان .

ولكن بعد الحملات العنيفة التي قامت ضد نظام التعليم فى الجنوب واشترك فيها الجنوبيون أنفسهم رضخت حكومة السودان للواقع وقررت توحيد برامج التعليم فى الشمال والجنوب وقررت جعل اللغة العربية اللغة الأساسية للتعليم بدل الانجليزية .

فقامت على أثر ذلك قيامة المبشرين وحملوا على الحكومة حملة شعواء لتصرفها هذا ، وملأوا الدنيا ضجيجاً واحتجاجا ، إذ كيف تتحطم آمالهم بعد كل هذا التعب الذى تقبوه وهذا المجهود الشاق الذى بذلوه ولا عجب فقد أبطرتهم المعاملة الطيبة التى يلقونها من الحكومة والأموال الطائلة التى تتدفق عليهم من خزانة الدولة .

وقد تركتهم الحكومة يقولون مايقولون ويحتجون مايحتجون دون أن تؤاخذهم على ذلك أو حتى تؤنبهم . فلماذا تقف معهم هذا الموقف الهين اللين ولماذا لم تحاكمهم تحت المادة (١٠٥) من قانون عقوبات السودان هذه المادة التى ادخلت أخيرا والتى يحاكم بها كل سودانى يحتج على أى تصرف من تصرفات الحكومة ؟

والجواب على ذلك أن الحكومة توافقهم بكل قلبها على أفكارهم وتود لو استطاعت تنفيذ إرادتهم ولكن «العين بصيرة واليد قصيرة» .

فهذا التيار الوطنى الجارف لا يمكنها أن تصده ، وهذا الوعى القومى المتزايد لايمكنها أن تحطمه بل هذه إرادة الله التى لاتتغير ولا تتبدل . فان سكان جنوب السودان يشابهون العرب فى طباعهم وعواطفهم ولد استعداد فطرى لتعلم اللغة العربية ولإعتناق الدين الاسلامى الحنيف .

وليس بينهم وبين زنوج أواسط أفريقيا أى تشابه أو انسجام ولا غرو فهم

من أصل عربي لأنهم سلالة التجار العرب الذين كانوا من قديم الزمن يتزحون إلى تلك الجهات للتجارة والذين استوطن كثير منهم تلك البلاد .

وهنا نقف لنشيد ببعض مآثر الفاروق الحبيب نحو جنوب السودان نشيد ببعضها وليس بها كلها فإنها لاتستوعبها عجالتنا هذه بل لاتحصرها الكتب المطولة .

أدرك الفاروق العظيم مايحيكه المستعمر فى جنوب السودان ضد الاسلام والعروبة ، وما تركه ذلك من أحزان فى قلوب أبناء وادى النيل الذين لايستطيعون عمل شيء أزاء جبروت المستعمر الظالم الغاشم .

فمد يده الكريمة ومسح بها موطن الألم فشفاه وأبطل على الماكرين مكرهم ورد كيدهم فى نحرهم .

لقد أنشأ المليك المحبوب فى بلاد الجنوب الكبيرة مثل جوبا وملاكال المساجد العظيمة الجميلة التى يحمل منظرها الخشوع لعظمة الاسلام وامتدت مآذنها تشق عنان السماء معلنة أن يوم النصر قد جاء .

ودوى فى أرجاء البلاد صوت الآذان شفاء ورحمة لعباد الرحمن وعمى ووقرا لأهل الظلم والبهتان ومبشراً بأن أجل الاستعمار قد حان .

وأحضر الفاروق من أبناء الجنوب عدداً كبيرا على نفقته الخاصة إلى الأزهر الشريف لينهلوا من العلم ويتفقهوا فى الدين الحنيف فيرجعون إلى قومهم حاملين المشاعل فينيرون عقولهم ويضيئون قلوبهم ويكونون شوكة فى جنب الاستعمار ويحاربونه حتى يجلو عن الديار .

وقد أكرم الفاروق وفادتهم ، ورحب بهم وعززهم وشملهم بعطفه وحنانه وغمرهم ببره وإحسانه .

وامتدت يد الفاروق الحانية إلى من أبناء السودان القادمين من الجنوب الموجودين بمصر والذين حاربوا المستعمر فى بلادهم فحاربهم الظالم حتى هجروا ديارهم ويمموا شطر مصر محتمين بعرش الفاروق المكين وبظله الوارف مستظلين ومن نار

المستعمر مستجيرين .

فحقق الفاروق رجاءهم وأواهم وحماهم وقربهم إليـــه وناجاهم وأزال ما فى قلوبهم من حزن مكتوم وأذهب هم كل مهموم وغم كل مغموم ونصر كل مسكين مظلوم .

ألا حفظ الله الفاروق وحماه وأيده ورعاه ونصره وأبقاه ، وجعله حصنا للوادى من كل باغ وعاد .

وقاتل الله المستعمر الغصوب وأفسد عليه مؤامراته فى الجنوب ووفقنا لما فيه الخير العميم تحت تاج مولانا العظيم وفى ظل عرشه الكريم إنه هو البر الرحيم.

هكذا أراد المستعمر أن يستبدل دين الاســـلام الحنيف بدين التبشير لقد وصلت رسالته هذا الحد لولا رعاية الله. ونحن نواصل حديثنا عن أعماله الأخرى ونكتب لكم عن بعض الحقائق التى حاول المستعمر أن يضلل الرأى العام فى جنوب الوادى لأنهم كانوا فى هذا البلد ينفقون عليهم بسخاء مفرط .

وكان التاجر يستأجر الجنوبيين بأجور باهظة ، ولكن المستعمر منعها وجعلها لا تزيد عن ثلاثة قروش فى اليوم ، وكان الجنوبيون لا يفقهون شيئا عن المعاملة المادية بل معاملتهم هى المبادلة بالأشياء ولا يعلمون من أسرار الحياة متعة غير أن يفكر الجنوبى الزنجى أولا وقبل كل شىء فى مؤونة العيش وشرب الألبان ورعى الأبقار والصيد للوحوش الضارية .

ولقد كان العرب يتاجرون فى بلاد الجنوبيين وكان العرب ينفقون على الجنوبيين بسخاء حتى تطبعوا بطبائع العرب وفى ذاك الوقت تزوج الكثير منهم بالجنوبيات وانتشرت اللغة العربية وكاد يفهمها الكثير منهم حتى عرفوا كيف يرتدون الملابس ويأكلون أعظم المأكولات وبذلك تم للعرب الاقامة معهم إقامة مستديمة حتى تحببت نفوس الجنوبيين بعادات العرب السمحاء وولجوا فى دين الاسلام وأسلم الكثيرون على أيدى العرب .

فما أن شعر الانجليزى المنكسر الساعة بالخطر المدلهم حتى رسموا خططهم السياسية لمعاكسة العرب التجار وأمراء القبائل لاحتكاكهم بالجنوبيين .

وسرعان ما بدأ المبشرون والمبشرات من الامريكيين والامريكيات والانجليز والانجليزيات بنشر أديان شتى ، وفرق مختلفة النظير لدس أفرادهم فى المجموعة

ويقصدون من ذلك تحطيم الدين الاسلامى وتشتيت شمل العرب ، ولقد بنوا لهم مساكن سرية بطرق مشروعة وغير مشروعة .

ولكن الدين الذى رسخ فى سويداء القلوب هو ذلك الدين الاسلامى الحنيف .

وإذا رجعنا إلى بعض ساكنى الجنوب من الزنوج نجد لهم بعض أصل عربى كالشلك والدينكا مثلا وهذا فضل من الله .ولقد رجع الكثيرون منهم عن تلقى العلوم الكاثوليكية إلى الدين الاسلامى .

وهناك قسس ورهبان من أديان شتى ينفق عليهم الانجليز والأمريكان أموالا طائلة وهذه الأموال مأخوذة من العشور والقطعان التى يمتلكها العرب تؤخذ منهم كضريبة تجارية .

أما الحالة التجارية فى الجنوب فهى حالة خفية عن السياسة الاستعمارية تربح منها الحكومة المستعمرة آلاف الملايين .

والآن نوضح لكم بعض المعاملات التجارية بالجنوب التى فتحها العرب الأصليون وأقاموا فيها سنين عدة .

كانوا يتاجرون فى ذاك الوقت بالملح والسكسك والحديد الذى يلبسه الزنوج على أذرعهم وكذلك الصفر والنحاس يستعمل كاستعمال الأساور فى اليد ويعجبون جدا بهذا الملبس ويتفاخرون به حتى أنهم يستبدلونه بالذهب والفضة وجلود الأصلة وكذلك التماثيل الحجرية والفيروز العظيم .

ومن عاداتهم الصيد وهو الرياضة المحبة لهم وهم خير خبراء فى رمى السهام

المصوبة إلى أهدافها بطريقة فنية ولهم فيها ذكاء خاص وخبرة عظيمة مثل صيد البر كالفيله والزراف والطيور من جميع الاصناف ومن صيد البحر التماسيح والدنسيت أى السيد قشطه والسمك وجميع حيوانات البر والبحر وكل ذلك يصطادونه بالحراب ولا يخشون ضرر أى حيوان مفترس .

ومن حاصلاتهم الزراعيةالبحرية والمطرية السمسم والفول وجميع الخضراوات وجميع الفواكه كالباباى والموز إذ انه ليس له أى قيمة بل من كثرته يستعملونه فى شرابهم المسكر لأنه يوجد بكثرة دون أن يزرع لاسيما التين أبو شوك والمانجو وشجر الجميز .

وهناك غابات كثيفة أشجارها ، باسقة مظلة مختلفة الأنواع وكبيرة الحجم تستخرج منها أخشاب البناء والموبليات العظيمة ومنها الابنوس والبكس والشاف والكليت والعبك والزان واللبخ والقنديل وشجر المطاط وشجر المستكة والاندراب والطلح وأشجار عظيمة الرائحة وعديمة النظير .

ومن الأخشاب التى يستخرج المستعمر منها أدوات طبية مثل السيكران والحنضل والسناكة وشارى وعللى وام قطنه والملقات وحبة العين وقرفة الدود وما خفى كان أعظم وهذا قليل من كثير .

ويكثر فى هذه البلاد سن الفيل وريش النعام وقرن الخرتيت والجلود العظيمة وريش الطيور المختلفة التى تدر للمستعمر ملايين الجنيهات وفى بلادها لاقيمة لها ولا يعرف الجنوبى إلى أين تصدر هذه الأشياء ولا يستطيع أى تاجر سودانى ان يتاجر فى هذه الأشياء إلا أن يصدرها الأنجليزى المنكسر الساعة ولا تصدر إلا عن طرق خفيه هى مثلا كينيا وأوغندا ومنها إلى أوربا حيث لا يعلم عنها شيئا إلا الله .

ونتكلم هنا بعض الشىء عن مسألة الكجور وسياسة الأنجليز العميقة نحوه واسم الكجور دو لقب يطلق على الكاهن أو الساحر يسكن بعيداً عن أعين

الناس فى أعلا الجبال .

ويقتدى جميع الجنوبيين أمره فهو الفاعل المختار وقد تمكن من محبتهم وتواضعهم وانخداعهم له يطلبون منه الرحمة لكى يباركهم فى معاشهم وأرزاقهم .

فهو عقيدة الجنوبيين الوحيدة الراسخة فى سويداء قلوبهم وهو معبودهم دون الله وأن عقيدة الجنوبيين فى الكجور عظيمة ، وإذاقال أطاعته الرؤوس وطأطأت له وان عددهم لا يقل عن المائة كجور فى الجبال .

وكل كجور لا يقل عدد تابعيه عن آلاف الوطنيين .

وقد أخذ المستعمر بتعليم بعض من الجنوبيين ودس أفرادهم فى المجموعة حتى استولوا بهذه الوسيلة والدعاية الخلابة البراقة عليهم وأصبح الكجور يعملون جنباً لجنب مع الأنجليز فهم الدنمو المحرك للسياسة الأنجليزيه الغاشمه ، ومنحوهم سلطات لم يستطع أى سودانى فى أرض بلاده أن ينالها .

فهناك زعماء يقولون نحن سادة العرب ، ولكنهم يقولون مالا يفعلون لأنهم يخافون أن يزج بهم المستعمر فى خضم السجون ولن تجد منهم أحداً يستطيع إعلان محاربة الاستعمار ، فأين هؤلاء العرب الأسياد من المستعمر الذى استأجرهم وباعوا له وطنهم بثمن بخس ، ودراهم معدودات تعطى لهم فى أشهر محدودة ، وما قيمة المادة بجانب الوطن العزيز !

فهل علم المفاوض المصرى ذلك وتلك المحطات الموجودة اليوم على سفوح الجبال بالجنوب وهل علم بالمخازن والمخابىء المملوءة بالآلات الحربية هناك مثل جوبا وملاكال وجميلا وبعض من أراضى الحبشة .

وهناك مطارات حربية فى تلك البلاد وأسلحة مختفية وان السكان لا يعلمون كل ذاك لأن المستعمر يعلم جيداً تلك الصلة الوثيقة بين مصر والسودان وأنها لايمكن أن تنقطع ، لذلك وطدوا عزمهم وآمالهم مع الجنوبيين وأرسلوا كثيرا من الطلاب إلى انجلترا بدلا من الخرطوم وام درمان وبدلا عن مصر لرسم

خططهم السياسية ودس أفرادهم فى المجموعة بالدعاية وأصبحت لهم مستعمرة ومحط رحالهم وأصبحت لقمة سائغة لهم .

* * *

هذا هو السودان وتلك هى أقسامه . كلها كنوز ، وكلها دراهم ، طبيعة ساحرة ومناظر جميلة جل الخالق فى خلقها ، انه لو تخلص من قيد الطاغية المستبد لنافس أوربا فى الحضارة والرقى ، لأن الانجليز الآن يقبضون عليه بيد من حديد فان حياتهم تعتمد كل الاعتماد على خيرات السودان وثماره ، ومعادنه ومنتجاته ، وانهم يحاولون بشتى الطرق ويغلقون الأبواب فى وجه السودانيين كى لاينالوا العلم لأنه لو تعلموا لصار منهم العالم ومنهم الفيلسوف ومنهم القائد ومنهم المعلم ومنهم! ومنهم! لأن السودانى رجل عربى تسرى فى عروقه دماء العروبة الحرة والإيمان الصادق بالوطن العزيز ، ويكفى أننا تكلمنا فى المواضيع السـابقه عن بعض الشخصيات التى كانت تلقى بنفسها فى التهلك لتحطم صرح الاستعمار فى وقت كانت سياستهم ، سياسة اللعين المنكر ، وحين كان لهم الأمر والنهى يعدمون من يشاءون ويمزقون من ينادى فى أبناء وطنه بكلمة ضد الاستعمار .

ولكننا الآن نخطو إلى الأمام لنصد كيد الكافرين فبشرهم بعذاب أليم فى الدنيا من العرب المسلمين وفى الآخره يوم يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا والحمد لله رب العالمين .

٩ — محاربة الإنجليز للعروبة فى السودان

هذه مهزلة أخرى من مهازل الإنجليز وجريرة من جرائرهم الكثيرة التى لايحيط بها حصر نحو السودان ، ألا وهو تغيير العنصر العربى السودانى ذاته .

أى والله العنصر السودانى العربى يريدون تغييره إلى عنصر زنجى أفريقى من قبائل الزنوج والفلاته ، والسودان الفرنسى والأحباش وشعوب مجاهل أفريقيا ولكن كيف يتم لهم ذلك ؟

أدرك الإنجليز أن مصر للسودان بمثابة الخرطوم الذى يتنفس منه السودان الحضارة للنواحى المختلفة وانها المنفذ الوحيد، وأرادوا أن يضربوا السودان ضربة نكراء تبعده عن الشعوب المتمدينة وتلوث عنصره بشعوب أفريقيا البدائية، فاقامت بينه وبين الشمال سياجا من حديد، ومنعت هجرة المصريين والشعوب العربية اليه وأخرجت من كان فيه من قبل من المصريين، فاصبح المصرى ابن وادى النيل لايستطيع دخول السودان إلا بجواز سفر كأنه داخل إلى قطر أجنبى ولا يصرح له بالاقامة أكثر من شهر أو شهرين على الأكثر يراقب فى أثنائها مراقبة شديدة وتحصى عليه حركاته وسكناته ويمنع من الاختلاط بالسودانيين فأذا مابدرت منه أى بادرة اتصال «غير مشروع» مع السودانيين سرعان ماتنتهى مدة إقامته ويرجع إلى بلاده.

أغلق الأنجليز باب الهجره للمصريين والعناصر الطيبة المفيدة ولكنهم فتحوه على مصراعيه للشعوب الافريقية البدائيه، فتدفقت قبائل نيجريا والسودان الفرنسى والحبشه والفلاته والهوسه والبرقو والبرنو والليرى والمساليت وقبائل أخرى مختلفة.

تدفقت هذه الشعوب المتأخرة كالسيل إلى السودان بدون قيد أو شرط أو جوازات سفر دون اعتبار حتى لأبسط القيود الخاصة بالصحة.

فملأوا رحاب السودان الواسعة واستوطنوا ربوعه الفسيحه وتملكوا أراضيه الخصبة وأصبحت لهم قرى بأسرها تنتشر فى جميع أرجاء السودان خصوصا أرض الجزيرة والمديريات الغربية، وأصبح لهم نظار وعمد ومشايخ ومحاكم قروية خاصة بهم.

وقد برر الانجليز فتح أبواب الهجرة لهذه العناصر بأنهم أصبحوا اليد العاملة فى السودان وأن زراعة القطن فى أرض الجزيرة لاتقوم إلا بهم، وهذا هو العذر الذى هو أقبح من الذنب، فأهل السودان هم أولى بالعمل فى أراضيهم

بأجور تكفيهم .

فأن هؤلاء الدخلاء يشتغلون فى زراعة القطن وجنيه وإزالة الحشائش بأجر يومى لايتعدى الخمسة قروش للشخص الواحد ، وهم يرضون بهذا الأجر وبأقل منه وبذلك اغلقوا باب العمل فى وجه السودانيين الذين لاترضيهم هذه الأجور القليلة . فاستغل الانجليز هؤلاء الدخلاء ليضطهدوا بهم العمال السودانيين.

وحتى لو قبلنا جدلا ، هذا العذر بأن السودان محتاج لأيدى عاملة فلماذا لاتفتح الأبواب للعمال والفلاحين من المصريين ومن الشعوب العربية ؟

ولم هذه القيود والحواجز والجوازات والشهادات الطبية التى تفرض على كل قادم من الشمال ؟

إن السبب الحقيقى لذلك ليس هو الحاجة إلى الأيدى العاملة ولكنه الرغبة الأكيدة فى اضعاف هذا العنصر العربى فى السودان على مرور الزمن بل القضاء عليه قضاء تاما .

وقد صرح بعض غلاة الاستعماريين الأنجليز بأن هجرة المصريين إلى السودان تقوى العنصر العربى ، وهذا مالا يسرهم بالطبع .

إن الذى يجوب السودان يجد أن سكان نيجريا والسودان الفرنسى قد استولوا على ضفتى النيل الأزرق من سنار إلى الرصيرص وعلى الأرض الممتده من سنار إلى القضارف شرقا وعلى جزء كبير من مديريتى كردفان ودارفور وأصبحت لهم قرى كبيرة خاصة بهم مثل مايرنو وجلقنى والسوكى وأبو حجار وساوليل والحصيرة والمغازة والحواته وجبل قرين وود الحورى والقضارف ودوكا وغيرها .

ولقد منحوا الحواشات واستقطعوا الأراضى كأنهم من أهل السودان وزاحموا المزارع السودانى فى رزقه وقوته اليومى وقبلوا فى استكانة ومذلة كل شرط وقيد شأن الغريب الشريد الذى يريد أن يوطد أركانه فى بلد غيره حتى

يخرجوا السودانين .

وقد أصبحت الحكومة تنزع الأراضى من الوطنى لتعطيها لذلك النازح الدخيل ، كل هذا رغبة فى تشجيع هذه الهجرة البغيضه حتى تتكاثر هذه العناصر الطفيلية وتطغى على العنصر السودانى ويصبح السودانى غريباً فى بلده فقيراً معدما فيها .

هذا رغم ماانحدر مع هذه العناصر من الأوبئة الفتاكة التى أوجـــدت أزدحاما فى المستشفيـات لدرجة يتعـــذر معها دخول السودانى الأصيل فى المستشفى .

وقد أصبح السودانى الفقير لايستطيع أن يسافر فى السكك الحديديه بالدرجة الرابعة التى اعتاد السفر فيها لأن هؤلاء الدخلاء يتكدسون فيها بشكل يدعو إلى النفور والاشمئزاز لقذارتهم الشديدة والرائحة الكريهة التى تنبعث منهم .

ولم يقتصر خطر هؤلاء القوم على السودان بل تعداه إلى مصر .

فقد بدأوا فى السنين الأخيرة يزحون إلى مصر جماعات جماعات ويتسكعون فى الطرقات يستجدون المارة ، ويظنهم الشعب المصرى سودانيين وما هم بسودانيين وقد شوهوا بذلك سمعة السودان فى مصر .

ولم تفعل حكومة السودان شيئاأزاءهم ولم تهتم بإبعادهم وترحيلهم إلى السودان بل بالعكس سهلت لهم طريق النزوح الى مصر ، فلم تطالبهم بجوازات سفر ولا بشهادات طبية ، وغرضها من ذلك تشويه سمعة السودان فى مصر وتشويه سمعة مصر عند الأجانب علماً بأن المصريين يحسبونهم سودانين وأن الأجانب يحسبونهم رعايا مصريين .

لم تقف حكومة السودان عند حد اعطاء هؤلاء القوم الأراضى والتصريح لهم باقامة القرى بالسودان بل تعدى الأمر الى أنها أصبحت تعطيهم مناصب هامة فى الدولة فقد أستبدلت بهم جنود البوليس فى السنين الأخيرة واستعانت بهم

فى قمع المظاهرات الوطنية لعلمها بأنهم لايحسون باحساس السودانى ، وأنهم ينهالون على المتظاهرين بهراواتهم الغليظة فى قسوة ووحشية منقطعة النظير .

وقد جندتهم حكومة السودان بأجور قليلة حتى أصبحوا يكونون قوة الدفاع السودانية فسلبت بذلك الجيش السودانى من روحه الوطنية لأن هؤلاء الدخلاء كما أسلفنا لايشعرون بشعور السودانى وانما هم جنود مرتزقة .

بل الأغرب والأنكى من ذلك أنهم منحوا الجنسية السودانية وحق الاقامه فى السودان ، فأصبحوا بذلك مواطنين لهم كل حقوق السودانى ولهم حق ابداء الرأى فى السياسة السودانية وفى تقرير مصير السودان ، ولما كانوا يدينون للانجليز بصنيعهم ويرون أن الانجليز حماتهم وأنهم حصنهم الحصين فان رأيهم ولا شك هو استمرار الحكم الانجليزى فى السودان ورفض المصريين وابعادهم .

هذا دليل واضح على المؤامرة الواسعة التى يقوم بها المستعمر للقضاء على على العروبة فى جنوب الوادى قضاء مبرما ولتحطيم أقوى سلسلة تربط شقى الوادى وهى العروبة .

* * *

هـــذا القوم الظالم أفلا نقاتلهم بشتى الطرق ، هذا القوم الذى بدأ يحاربنا فى ديننا وفى مظهرنا وفى مميزاتنا ، ويدنس سمعتنا الطاهرة ، وسيرتنا المحمودة ، فكل شىء حميد هو منا وكل شىء معاب فهو منهم ، فلنبدأ نعاملهم بمثل ماعاملونا ودقة بدقة والبادى أظلم .

لولا جهاد السودانيين الأبرار فى الحرب العالمية الماضية ادمر الايطاليون قوة البريطانيين فى السودان ولحطوا آمالهم ولكسروا شوكتهم ولجعلوهم الآن فى أسفل السافلين . تلك الحرب التى كان السودانى الخيب يواجه نيران الأعداء ويقف فى مقدمة الصفوف غير متأخر عن صد كيدهم بينما يقف الانجليزى فى الوراء يتحفظ بالسودانى ويدعى أنه يقاوم ويكافح وفى الحقيقة أنه كان يتنزه

وينام ، والعبء كله على عاتق العربي الذى لا يخشى الموت ولا يفكر فى نفسه .

كم من سودانى مات وأفنى عمره وخلف وراءه أبناء وزوجة دون راع أو كفيل غير الخالق الجبار .

كم من سودانى فارق أهله وعشيرته والدمع على خديهم يصحبه بينما تظهر الابتسامة على شفتيه .

كم من سودانى ذاق العـــذاب وشرب مراره الكأس وهو مرتاح مطمئن .

كم من سودانى عاش فى الهجينة ولفحته الشمس المحرقة دون أن يتالم ويتوجع .

كم من سودانى سهر الليالى بين المدافع والنيران وقضى فترة من عمره وهو ينام على الثرى ويتغطى بالسماء .

كم من سودانى وقع فى الأسر ومات وهو ينادى بلادى فداك حياتى فأنت منى فى الحياة وفى الممات .

كل هذا واجهه السودانى الحبيب فى هذه الحرب التى ولت وكان نصر الانجليز انما هو على عاتق السودانيين .

ذلك كله كان يفعله ويلقاه السودانى نظير وعـــد المستعمر المستبد بإعطاء السودانين حريتهم واستقلالهم بعد انتصاراتهم فى الحرب ، وبعدها ، بعد أن نالوا النصر ظهرت دناسة خلقهم وأنانيتهم المعهودة فادعوا ماادعوه وخسر السودانيون أرواحا طاهرة بريئة ماتت وهى تنادى باسم أوطانها التى أرادت أن تحررها من أيدى الظالمين فللمنتقم الجبار الأمر وإلى أولئك الأبرياء الشهداء الرحمة والغفران .

* * *

الحرب الايطالية

نبتدىء شرح الحرب الايطالية التي نشبت فى أواخر عام ١٩٣٩ واليك نبذة قصيرة عنها بأسمرة ومصوع وغردة وتسنى وأرتريا وكرن .

وتقع هذه البلاد على مسافة تبعد عن حدود السودان بعض الكيلومترات وكلها كانت تحت اشراف حكم ايطالى يتولاها السنيور موسولينى ، وقد كانت تقطن السيدة علويه بأسمره العاصمة لأرتريا ، وجعلتها مقرها الرئيسى وكان يقطن السيد جعفر بغردة ، أما كرن فقد امتازت أبان الحرب المنصرمة بموقعها الحربى الاستراتيجى وكانت زاخرة بالمخازن المليئة بالعتاد الحربى وقد نظمت بعض البقاع بنظام هندسى مما جعل القوات المرابطة الكامنة فى سفوح الجبال تقف عقبة كداء فى سبيل الحلفاء حتى بدأ الأمل يتوارى فى النفوس وكادت تلحق بهم الهزيمة

ولقد استعان الايطاليون فى نقلهم الحربى الميكانيكى على عربات كبيرة الحجم يطلق عليها لقب « القندران » وقد دلت الأنباء دلالة واضحة بأن هنالك اتفاق عقدت أواصره بين الأمبراطور هيلاسلاسى والطليان مما جعلهم يطأون بأقدامهم الأراضى الحبشية . وهذا العمل بالذات حرب أعصاب للسياسة الأنجليزيه الغاشمه فى تلك الانحاء من بلاد المعمورة ، ولا شك منحتهم تلك البقاع لأهميتها الاقتصادية ، والحربية كعون ونصير ليشدد أزرهم أمام العدو الغاشم مما جعل الايطاليين يؤمنون إيمانا مطلقا بالأحباش كاعوان ونصراء لهم فى محنتهم ، وكم يحار العقل عندما يقف على التعداد للجيش الحبشى الذى يفوق الملايين من البشر . والأمة الحبشيه تتكون من فريق اسلامى وآخر يتدين بمذاهب شتى ، والدين الكاثوليكى أكثر الأديان اعتناقا وهو الطبقه المرجحة فى تعادل الطبقات الفكرية المشتعلة بالفوز المتطرف وأصحاب الرأى ، وكان الطليان رجالا أشداء أقوياء ،

لهم ذكاء خارق يجيدون الأعمال الهندسية كما حازوا قصب السبق فى الطيران والأعمال الحربية البرية العسكرية ، ناهيك بارتباطهم ذوى العرى الوثيقة بينهم وبين المعسكر الألمانى وكانت الفكرة الأساسية إصلاح القطر السودانى ورفع المستوى العربى فى الفكر الأدبى والاقتصادى والسياسى وبمجرد شعور الانجليز بالخطر الداهم وقفوا عقبه كداء فى سبيل الفرد السودانى الذى ينزح إلى تلك البقاع فى سبيل الرزق والقوت ، ورغم هذاكله لن يقف السودانيون من الهجرة، فكثيراً مادخلوا الأراضى بطرق غير مشروعه حتى استطاعوا أن ينزحوا بأغلبيه ساحقة مما جعل الايطاليين يكرمون وفادتهم أيما كرم وأن يغدقوا عليهم بغير حساب حتى كثر النقد الاقتصادى بين أياديهم لذا فقد انتشرت تجارة الاوراق المالية فى السوق السوداء مع التبادل الصريح للكسب فى الربح الحلال وحينما تضخم النقد المالى ورسخت العقيدة للنزوح والتعاون الايجابى مع القوات الايطالية شعر الانجليز بعدم توافر الايدى العاملة وبالخطر المدلهم وسرعان ماشرع المؤلفون والأدباء بنشر الكتب للدعاية مع دس الأفراد فى المجموعة ولقد نشط الادب الفكرى نشاطاً بارعا ، وقد ذهب الكتاب مذاهب شتى وشوهوا الحقائق ونسبوا أكاذيب روجوها فى سوق العلم الفكرى كقتل الاطفال وانتهاك حرمات الاحرار والتنكيل بالأبرياء والأخذ عنوة وقسوة ولكن رغم هذا كله لن تجد هنالك أدلة مادية صريحة تثبت هذه الحقائق لذلك تجد كل من عاش فى البيئة الايطالية ينفى هذا الخبر المكذوب ولا شك أن الخبر ليس ملموسا ولقد اصطدم الناس بالحقيقة بيضاء تخرج من غير تشويه حتى ظل جميع الناس فى حيرة من أمرهم مابين مصدق للانباء ومابين مكذب لها ،وعليه فلم نجد من يؤيد القول أو يستتب فى عقول البشريه .

هنا انتشرت همسات خفية تبطل الدعايه الانجليزية وتحطم ترويجها ولا ريب أنها دعاية مستعمر ظالم غاشم لاصحة لها .

وكان الانجليز أبان ذلك العهد يحسبون ألف حساب إلى الحرب الأيطالية الحبشية وقد تواردت فى الرءوس خواطر شتى ومخاوف عديدة أسفرت عن استعداد تام للهرب من القطر السودانى لمجرد نزوح الايطاليين اليه سادهم موقف رهيب تملؤه الوحشة ويسيطر عليه الوجوم المميت ، وأضحوا صرعى كأنهم أعجاز نخـــل خاوية وذهبوا بدورهم فى احتضان الزعماء ومراوغتهم وبدأوا يستلطفون شباب الأمة بوعود خلابة براقة مع تكاتف شامل وتدليل مطلق مطابق ، كرفع المستوى المادى ومنح الدرجات ومساعدة التجار وتجنيد الشباب السودانى بأجور باهظة تسوق به عصا الجزار إلى المجزرة ضحايا زرافات ووحدانا دون أن يدرك المرء المصير المحتوم ، وازداد الخوف وتسيطر الهلع فى النفوس وارتجفت الأبدان كأنها فى يوم حشر ونشور ، وذهب الوسطاء بالعهود والوثائق مذاهب شتى ، والخطر الايطالى قاب قوسين أو أدنى من القطر السودانى ، والكتائب تجمع تعدادها يوما بعد يوم ومنحوا التجار مالا لا عد له لشراء الجمال عن طريق بلدة تسمى أم عدلة وشرعوا فى تنظيم الخطط المرسومة للطريق البيضاء ، ويدفعون بالجيش السودانى الباسل أمام أفواه المدافع وتحت أزيز الطائرات وفى أرض أنبتت ألغامها واشتعل اتونها والانجليز يقفون فى أواخر الركب عن كثب والجيش السودانى يؤدى خدمات المأجور المأمور ، يبذل الروح رخيصة فى سبيل اللاشيئية ، وبدأت المواصلات تعمل لحساب الجيش الخاص .

وانتشرت فرق القوات فى كل البقاع وفى بلدان شتى كالسوكى والرصيرص وقلابات والحواتة وخشم القربة ودوكه والبويضة وبابرص وكرمك وجبل قرين وجبل بان ، هذا ، كجيش مرابط لحركة التفاف ، وظل جانب آخر ليواجه الخطر بكسلا ، وهو قليل فى العدد والعدة ..

وكان الجيش السودانى يتكون من أجناس متعددة ، كالشايقية والدناقلة

والحس من أبناء الشمال ، والبقارة والنوير والدينكا من أبناء الغرب ، والشلك والزنوج من أبناء الجنوب مع اختلاف طبقات أخرى كالهنود والأفريقيين .

وكان الواقع للحرب الايطالية ، هو أن الايطاليين كانوا يعتمدون على الأيدى السودانية العاملة مع التبادل الاقتصادى فى المحصولات الزراعية وتبادل المنفعة المشتركة بين القطرين ، وادخال النقد الايطالى فى البلاد ليجارى النقد المصرى والانجليزى فى السوق المالية مع ترويج البضائع الايطالية ، كالأقمشة الحريرية .

وكان الايطاليون يهدفون إلى القطن السودانى مهما كلفهم ذلك من ثمن ، مع رفع مستوى الأمة المعنوى .

ولقد دارت مفاوضات بين الطرف الايطالى والأنجليزى أسفر عن استبداد الانجليز فى الرأى مع إعلانهم أن السودانى تحت ادارة انجليزية صرفة لا يستطيع أن يكون فيه صاحب حق . ولم يقتنع المفاوض الايطالى مطلقا بهذا الرأى ، وقد أدلى بحديثه أن السودان بلاد عربية يجب أن تكون للعرب ، وقد حق لنا الاشتراك فى الأرباح فقط ، فأجاب المعسكر الانجليزى بأن السودان هو بين الانجليز ومصر وتحت حكمها ، وقد طلب المفاوض الايطالى البراهين القاطعة عن أن الحكم مصرى انجليزى فى السودان واستطاع أن يثبت بالأمراء والكبراء أن حكومة السودان إنما هى حكومه استعمارية استبدادية مطلقة ، وبرهن عن ظلمهم وأنانيتهم ووصفهم بالدخيل الجشع الذى يهدف للاستعباد ، ويقضى على المستوى الفكرى وأشاد بتجريدهم للاموال ووقوفهم سدا فى الرقى والحضارة والمدنية ، وليكفى أن السودانيين حتى اليوم يرزحون تحت وطأة استعمار بغيض أوقع عليهم الذل والاستكانة وهم حيارى لا اتجاه ولا منفعة . تعقدت أمورهم وتشعبت وضلوا الطريق .

وقد أجاب المفاوض الإنجليزى بأن القانون لايبيح دخول الأجانب فى البلاد . وعليه أردف الإيطالى يقول : « بماذا تستطيع أن تبرهن بأن

الأجنبي يقبع فى دياره ؟ وإن صح ذلك فما هـــذا الخليط الأوربى الغربى مع العربى الشرقى ؟» .

فأجاب الانجليزى المنكر : « إننا بذلنا أموالنا وأرواحنا فى سبيل الفتح » .

فاجاب الإيطالى قائلا : « إنه ليس من العدل أن تدخلوا ديار قوم لايمتون إليكم بصلة ، وتحاربوهم وتستعبدوهم فى أرضهم ولا شك تلك حقائق أجبرت ان أسردها مخافة أن تسرى العدوى الانجليزية كالسل فى الشعوب ، ولا شك أن تلك العادة الخرقاء التى اتصفتم بها منذ قرون مضت . ويكفى مانالته مصر والحجاز والشرق من بلاء مستطير » .

وبعد انتهاء المفاوضات بين الطرفين ، أنشد المفاوض الايطالى يقول : « لو علم مواطنو هذا القطر بهذا الاستبداد والاستعباد كفعلتهم بالشرق والهندلماعاش انجليزى واحد على ظهر المعمورة . »

وانى والحق يقال لم أجد حتى اليوم تطفلا سياسيا يحوز النقيض ، ويحوى مركب النقص كالنظم الانجليزيه الخداعه ، دون حرب أو شجاعة ، اللهم إلا حيلة ونصبا . سياسة فرق تسد كلاعب الشطرنج حتى يستولوا على زمام الأمور » .

وبذلك وقف المفاوض الايطالى وأعلنها حرباً شـــعواء لاغبار عليها ، إما الدمار أو النصر .

وكان هذا تصريح خطير فى البلاد ، وكان الانجليز فى ذاك الوقت قد استولوا بدهائهم ومكرهم على المرافق الحيوية فى البلاد بيد من حديد ، والايطاليون لاعلم لهم مطلقا بهذا .

بعد ذلك نزح الجيش الايطالى ووقعت كسلا فى أيديهم ، وفر الانجليز فرار الخائف المدعى على أعقابهم على متن الجو . ولولا وجود الذرية المرغنيةالصالحة التى خلقت الروح المعنوية القوية فى النفوس والعزيمه الصادقه التى جعلت الفرد السودانى يعتبرها حرب شرف أولا وحرب دين وكرامة ثانيا .

لهذا استبسل الشباب للموت مطمئنا فى سبيل الواجب والشرف والكرامة إلى أن أبادوا الجيش الأيطالى وردوه على أعقابه .

وبعد هذا عسكر الجيش كالطود الراسخ بكسلا رغم الاستعداد والعتاد الحربى الايطالى .

وقد بنوا الألغام فى القلابات وكل الأراضى التى يقيم بها الجيش ولا شك أن الأنجليز هم السبب فى ضياع الرجال الكرام ، حيث أنه لاناقة لنا فيها ولا جمل، هذه الحرب الطاحنة التى لايستطيع أن يتحمل صفقاتها إلا من كان بطلا مغوارا ولكن السودانيين أولئك الأبطال المجاهدين اشتركوا فيها بالروح العربية لتخليصها من العار والدمار .

واصل الجيش السودانى زحفه نحو ارتريا ، وسرعان مااتصل الأنجليز بالامبراطور هيلاسلاسى ليكون على استعداد تام لاخذه على متن الطائرات إلى البلاد الأنجليزيه قبل أن تصل أيادى الفاشستيين اليه وقد أفهمه الانجليز بأن هذا العمل خدمة يجعلها الامبراطور قلادة فى عنقه ليوفى كل ذى حق حقه ، ولكنها فى الواقع اغتنام فرصة سانحة ليضعوا أيديهم على مجوهرات الامبراطور العظيمة.

ولا شك أن هذا النبأ وقع موقع الرضى والقبول ، فقد كان الامبراطور يعتقد أنها مجرد خدمة شريفة ، لهذا فقد رحب بها دون تردد ، راض تحت رحمة الأنجليز سلس القيادة . حينذاك أسرع السرب البريطانى وهو يتكون من حاملات القنابل وطرادات ، إلى أرض العاصمة الحبشية أديس أبابا ليحمل الأسرة المالكة صاحبة الزمرد والذهب ، وقد جمع الامبراطور كل ماملكت يداه من ثروه وطار من سماء بلاده يودعها وداعا لالقاء بعده ليعيش فى بلاد الأنجليز .

وبعد أن فر الأيطاليون على أعقابهم وحاقت بهم الهزيمة صاغرين استغل الأنجليز جميع الجنود الأسرى فى القتال ضد الأيطاليين مرة أخرى واستمر الزحف إلى أن وقعت فى يدهم غردة وأسمره ، العاصمة لأرتيريا التى يعتمد

الايطاليون عليها اعتماداً كليا وجزئياً .

أما أسمره فدينة حافلة بالزخرفة بارعة فى الفن الهندسى الايطالى ، قصور شاهخات ، وشوارع غاية فى الروعه والرصافة تضاء بأنوار كهربائية، وبها حدائق غناء ، وتكثر بها المصانع المختلفة وبها كل دواوين الحكومة ومحط رحالها، ناهيك بالملاهى والمسارح العالمية ودور الخيالة .

وكان أول من وطأ أرض تلك الجنة الحبشية هى الفرق السودانية الباسلة ، مع بعض الفرق الهندسية المسلحة بدباباتها ومدافعها .

أما السودانيون فقد كانوا يعتمدون على شجاعتهم الخارقة وصبرهم المثالى ، ولقد وضع الجيش السودانى فى تلك البقاع شارات المجـــد والفخار ،وانتشرت الأغانى الشعبية بالقطر السودانى والمعركة تدور رحاها مما زاد فى التعداد وخلق الروح المعنوية . وقد رأى الأنجليز أن يمنحوا الجنود السودانية بعض الغنائم ليستحثوهم على الاقدام المتواصل ويجعلوهم يبذلون الروح رخيصة فى ميدان القتال.

وبعد احتلالهم لتلك البلاد ، أى بعد أن كاد يستتب الأمن أخذت الأنجليز العهد ولم يوفوا به ، وبدأوا ينظمون حملات تفتيشية على السلع والحقائب التى يمتلكها الجنود ، ولا شك أنه حينما تساءل الجنود عن سبب هذا التفتيش الطارىء الذى لا مبرر له مطلقا قيل لهم أنه وفاق للقانون الحربى الذى ينص فى بعض مواده بحفظ كل من تواجدت فى معيته غنائم وتسليمها له مستقبلا بعد انتهاء الحرب .

وانها لعمرى فكرة جعلت روح البغض والكراهية والندامة تسرى فى النفوس بل أبدت الأغلبية الساحقة من المحاربين السخط ، وأعلن البعض عداءه سافراً للانجليز .

وكادت تقوم حركة عصيان لولا أن تدارك الموقف بعض الضباط الوطنيين فأخذوا يهدءون نفوس الجنود الثائرة ، كما اشتدت الرقابة التامة وأحاطوا مخازن

الأسلحة بغاية من السرية ، وأخذ الأنجليز بعد ذلك بارضاء الافراد وقمع روح الكراهية فى النفوس المتحضرة وسرعان ماانهالوا على العساكر وصف ضباط وضباط بالرتب العسكرية السريعة الأخاذة البراقه ، وقد كانت فى الوقع كل الرتب العسكرية مجرد درجات ومنحة للشرف فقط .

ومن ثم قام الحاكم العام للسودان خطيبا يحث المحاربين على القتال ويضرب بقوله على وتر حساس بحديث فياض مقرون بوعود خلابة اقشعرت لها الابدان وطأطأت لها النفوس وخارت العقول ، واختلط الحابل بالنابل فى الفكر واضمحلت روح العصيان بالتدريج حتى هدأت الكارثة ومرت المحنة بسلام .

ولا شك أن الحاكم العام كان ينوى من حديثه أن الحرب لاتزال أتونها مشتعلة لن تهدأ أوارها ، وان هنالك معركة تحتاج إلى بسالة وشجاعة ورجال وهى فى بلدة تدعى كرن التى تحتوى على الذخيرة والعتاد الحربى الايطالى ، وتقع هذه البلدة على سفوح جبال مرتفعة ارتفاعا عظيما عن سطح الارض ، وهى فى غاية المناعة والحصانة من حيث موقعها الاستراتيجى الحربى .

وقد حشد الايطاليون فيها إبان ذلك العهد مايقرب من الثلاثين الف فرقه التى يحوى مجموعها الثمانين الف نسمة ، ولقد كان من المستعصى بل كادت تكون معجزة القرن العشرين فتح تلك المدينة ، فاجتمع أكابر ضباط الجيش الهندى والسودانى والانجليزى ليقرروا مصير هذه المدينة ، وقد أدلى القائد السودانى بحديث صريح إلى القائد الأنجليزى قائلا : « لاشك أن كرن تقوم بحراسة شديدة كما أن موقعها فى غاية الحصانة ومن الصعوبة أن يستبسل الجيش السودانى بمفرده بل أرجو أن يتم التعاون الأيجابى مع جميع الفرق المحاربة من انجليزية وهندية ويوغندية حتى يكون من المستطاع أن تحرز نصراً وتكسب المعركة بسهولة »

فحين سمع القائد الانجليزى هذا القول أبدى امتعاضه وبادر التو يقول : « ماالذى جعلك تبدى رأيا كهذا لتقرير مصير تلك القرية » ؟ فقال القائد السودانى

بسالة ورجولة : « لقد علمتني الضحايا السودانية في الحروب درساً مستوفياً لن أنساه ماحييت ، واني لن أقدم بعد اليوم أبناء وطني الأعزاء خرافا للفـــداء . وليكن التضامن في سبيل ديمقراطيتكم كما تسمونها ، باشتراك الجميع حتى يمكنني أن أتحمل وقع النبأ بنفس مكبوتة ، ولنشارك بعضنا البعض العزاء »

هنا أعقب على قوله القائد الهندي يقول :

« إنها الحقيقة التي لاغبار عليها ، حقيقة واضحة جلية كوضوع الشمس في سماء الصيف وهي في كبده ، فأنا أول من يؤيد هذا القول العجاب ، كما وأني أشـــيد ببطولة أخي السوداني ، وليكني مالحقنا من خسائر في الأرواح ، لهذا دعونا نقتسم البلاء جميعا ، فنحن في ميدان حرب وجهاد نطأ الأرض منها كاساد الشرى ولسنا في صالات رقص نلاعب الخناصر ، فإما الموت في سبيل كرامتنا ، أو الهزيمة ستحون بنا جميعا ، ولا شك أن الوقت قد أزف والمستقبل غامض مجهول »

هنا تواردت خواطر شتى بالرءوس الانجليزية وارتعشت كقصبة في مهب ريح عاصفة ، كادوا يكتشفوا القناع ولكنهم كعهدك بهم جبناء خبثاء أنذال في كل أمة وفي كل مكان وفي كل زمان فسرعان مابعثوا رسائل وأوفدوا مندوبين لكل أمة للتوسل الصريح مع العطف والاسترحام .

حينذاك وصلت رسائل عدة إلى القائدين الهندي والسوداني يحثوهما ألا يخالفا للانجليز رأيا وأن يواصلا الحرب حتى النهاية فالأماني والمطالب القومية مرتبطة بعهود والتزامات أقرها الانجليزي المنكسر الساعة ليحققها في المستقبل الآتي وليكفي أن يظهر كل قائد مـــدى بطولته لتبقى شهادته حقا أمام الضمير العالمي وغداً كل أمـــة ستنال حقها المنشود وتبلغ غايتها القصوى طالما أدى واجبه المقدس .

وقد كانت لعمري خدعة انجليزية بارعة أحكمتها الرؤوس تحت القبة البيضاء في البرلمان السحري ، واشترك في تدبيرها أكابر اللصوص الاختصاصيين في

سرق الأمم بأسرها ، البارعين فى سرد الدعاية الجوفاء ، المغالين الأفاكين الذين جعلوا كل أمة تحيا دون أمل يجدى أو حق ينال كمن يخدع ناظريه سراب فى أرض صحراء جرداء فى سفر طويل لايدرى إلى أى مصير يسير ، والحقيقة كانت تلك الرسائل ملسما للجروح الدامية فى نفوس الأبطال السودانيين ، فقد وقعت موقع الرضى ، لهذا تحمل كل من القائدين التبعة على عاتقه وشرع الجيش السودانى والهندى فى القتال المستميت . ولقد حوصرت كرن محاصرة كبدتهم خسائر جسيمة فى الأرواح والتعداد ، واستمر الحصار مدة طويلة مما جعل اليأس يدب فى القلوب والروح المعنوية أو شكت أن يطفأ أوارها ، بل ازدادت الحالة حرجا وبات الجنود ليال طوالا لافرق بين ليلهم ونهارهم ، تسمع أصوات المدافع وأزيز الطائرات ، تلق القنابل وتذيق الجنود أصناف الهون والبلى والعـــذاب واستفحلت المصيبة وقل القوت ، وانعدم الماء وتهامس الجنود بعضهم البعض « أين نذهب وكيف المصير » .

لقد تغلغل اليأس فى الصـدور وبدأ بعض الجنود يلقون بأنفسهم فى خضم النيران حبا فى الموت ، وفرارا من الفاقة والجذع .

وهكذا ظل شبح الموت يرفرف طيلة تلك المدة إلى أن لاحت بشائر النصر والفرج ، وكان كل جندى ، كأنه ولد من جديد .

لقد وقعت كرن فى أيديهم بعد قتال دام خمسة عشر يوما ليلا ونهاراً دون استرخاء أو توانى وذهبت أرواح لاعـــد لها ولا حصر من سودانى بطل وهندى مغوار .

وقد كان الانجليز طيلة تلك المدة يقيمون فى بعض القرى البعيدة عن ميادين القتال ، يعسكرون بجنودهم ويأكلون مالذ وطاب ، يملأون البطون دون واعز لضميرهم ، شأنهم شأن كل مستعمر جبان عنيد .

وبعد أن وقعت كرن فى أيدى الأبطال المحاربين من الجنود البواسل

واصلوا زحفهم إلى الأمام ، وكانوا يحرزون نصراً عظيما يوما بعد يوم إلى أن توغلوا فى الأراضى الحبشية يقاتلون الأعداء ويطاردونهم فى الأوكار والمغاور ماستطاعوا إلى ذلك سبيلا ، حتى تمكنوا من إخضاع العدو المحارب ونزوله صاغرا تحت ارادتهم ، وتم لهم الاستيلاء المطلق على أرض الحبش ، فأعادوا اليها ملكها الذى تخلى عن عرشه فى سبيل البقاء على حياته ، ونشروا فى آفاقها راية السلام وأضاءوا مشاعل الحرية وشملت الشعب الحبشى موجة من الفرح كانت تعـــبر عنه تلك البسمات الضاحكة التى تعلو فى الشفاه ، والأغانى الشعبية وقرع الطبول والدفوف ورقص الحسناوات على قارعة الطريق يستقبلون الجيش الفاتح أفراح هنا وهناك ، وأعياد ورقص وجلبة فى كل مكان وأينما يممت شطر وجهك .

وليكنى أن الأمن استتب ونشرت الطمأنينة أجنحتها فى كل الآفاق .

ولـكن سرعان ماعلا أتون المعركة فى الشرق الأوسط وازداد الموقف حرجا وتعقدت الأمور ، واضحت ككف الحابل وبدأ الجنود الألمان يستولون على زمام الموقف ويحرزون النصر .

هنا اشتد الكرب على الانجليز وانصب البلاء عليهم ، وحاقت بهم اللعنة واضحوا صرعى كأنهم أعجاز نخل هاوية واختل إدراكهم الفكرى ، وعلا الجزع والهلع فى نفوسهم كغليان المرجل وتفاقم وإزداد توسلهم وعطفهم ، وتخاذلوا وباءوا بغضب من ربهم وإذا رأيتهم فى ذلك اليوم لحسبتهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، واضحوا كان الطير على رءوسهم .

ولـكنها فى الواقع كانت أنكى وأكبر نكبة على الجيوش السودانية والهندية المحاربة ، الذين سرعان مازجوا بهم فى ذلك الأتون الملتهب وشرعوا يعدون العدة ويحملون أمتعتهم للرحيل ، فسافرت كل الفرق السودانية فى الآو واللحظة .

وكان يوم الرحيل يوما مشهودا ، فكنت ترى الاب يودع ابنه والدمع

يملأ مقلته والشيخ يودع حفيده ويبكى بكاء مرا .

هنالك ابن ينشد أباه أن يتخلى عن الرحيل ، وهنالك أم تندب حظها العاثر فقد هالها ما رأت وكفاها حرقة الأسى ومرارة الهون .

أم تثكل وأخت تصرخ وشيخ يبكى ، قلوب دامية وعيون دامعة ونفوس ملتاعة ، ولكن الجندى السودانى هو الجندى السودانى كما عهدته دائما أبدا لايحفل بالمخاطر قوى العزيمة شديد المراس وفى أمين صادق يحمل الامانة بكل وفاء لايخشى الموت ، دائبه النصر ، وشاده الكرامة .

حينذاك اختلطت الفرق السودانية والهندية على السواء وجمعت حشدها ويممت شطر وجهها إلى العلمين لتواصل القتال ولتزد من الفضائح وتكثر من الضحايا فى الشباب الفتى البرىء الطاهر الذى أراده المستعمر أن يفنى ويتلاشى وينعدم ويقضى عليه وأراد فى الوقت نفسه القضاء المبرم على أمته التى تنشد المجد على يديه وتطلب الأمانى من سعيه وكده وتريد الحرية وحياة الهـــدوء والاستقرار به وضعت عليه آمالا كبارا وحملته رسالتها وهى آمنة ترقب حلول عهد جديد .

ولقد أراد الله للشباب السودانى أن يتعذب فى حتفه وأن يلاقى التنكيل وهو يحمل السلاح فى الشرق الأوسط يذود عن حوض المستعمر ويحمى حماه ، فكان الفناء والتشريد والمذلة جزاء وفاقا له حيث أن لاناقة له فيها ولا جمل .

ونفوا به فى ساحات الوغى عنوة ليلقى حتفه وأخرج من دياره قهرا ليموت ويبلى ووضعت الحرب أوزارها فلم يمنح مثقال ذرة خيرا يرى ولم ينل فتيلا ، وكم نسخر من الزعماء النظارة لتلك المسرحية الانسانية الدامية وهم يملأون البطون ويتربعون آمنين مطمئنين فى بيوتهم يتشدقون بمعسول القول وينعمون بحياة الرغد والرفاهية كأن البلاء لم يكن أو الكارثة لم تقع .

إنها مهزلة وسخرية تجد فيها عقول أولى الألباب ، أما ضمائر العالم فقد كفاها

أن سخرت ولم تدل باصلاح يرضى،أوتبدى برأى يفيد ووقفت موقف الناخر المخزى كأنها لاتبدى أو تعيد وتركت الحبل فى الغارب المستعمر الجبار العنيد وأباحت له سفك الدماء آمنا ، وارتكاب الجريمة سافرة على مرأى ومشهد من أعيننا وأحلت له أن يعبث بالآمنين الوادعين وأن يلعب بالحديدوالنار وأن ينفذ الخطة بالقوة عنفا وإثما وعدوانا .

جزى الله الأبطال السودانيين كل خير ورحم الله الضحايا وعفا عن الزعماء المخالفين الأفاكين أداة المستعمر ومحط رحاله .

وليكفى أن تلك الحرب أسطورة خالدة باقية يرددها جيل بعد جيل ، ودع المستعمر يخوض ويلعب حتى يلاقى يومه الذى يوعد به .

وبعد أن ذهب ريح الغزاة والفاشستيين على السواء وحاقت بهم الهزيمة ، حينذاك آنت الساعة وسمح للسودانى أن يذهب إلى وطنه وللهندى أن يرحل إلى دياره .

وقد اكتفى الجنود بكلمات شكر قلائل لكل محارب ومجاهد وعاد كل جندى إلى أهله يتمطى ، لا ليحيا قرير العين مرتاح البال . لا لينعم بالرفاهية والرضا كما كان يعتقد بل اكتنفتهم حياة البطالة والتشريد والعذاب والجوع والضنك ، فلم يجدوا الكساء ولم يجدوا الغذاء ولم يجدوا مايخفف بلواهم ونكباتهم التى لحقتهم فى هذه الحرب ، فقد تشعبت أمورهم وتعقـــدت بهم الحيلة . وضلوا الطريق وفشلت جميع المشاريع التى أرادتها حكومة السودان .

ومن دواعى الأسف الشديد حينما تلق أولئك الأبطال الذين وهبوا حياتهم للتضحية والفداء وبذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الديمقراطية وخاضوا المعارك واحتملوا الصعاب وشربوا المر العلقم من أجل بقاء العرش البريطانى ، ووقفوا سداً منيعاً يحولون بينه وبين الهزيمة والانهيار ووهبوا أرواحهم فى سبيل هذا المطلب وإذ بهم اليوم يتخبطون فى حياتهم لايلوون على شىء ، حيارى تخفق

قلوبهم كأنها مذعورة ، نبذهم المجتمع فى العراء وفض الأنجليز أيديهم منهم وحاقت بهم المذلة والاستكانة وباءوا بالفقر ، وهاهم يتخبطون فى ظلام الدجى.

* * *

هذا ماجناه المستعمر علينا وجرته الينا طباعنا المرنة فى سبيل الوفاء بالذمم مع أمة لاترعى حرمة ولا قداسة ولا تؤمن بعدالة ولا تحقق مطلبا ولا تفى بوعد ، ولقد أكسبتنا الحياة درسا كله عبر وفيه حسرة وألم وفيه ندم على ماولى من العمر واندثر حياة كلها أخطاء ومشاكل ماالستقرت لحظة وافلت منا زمام التعقل والاتزان.

فعلى أمتنا السودانية السلام التى قبلت هذا الوضع من أجل حريتها ومن أجل كرامتها القومية .

ولكننا الآن لانقر هذا العهد المشئوم فعلى شبابنا الفتى السلام ان قبل هذا الجمود وانصف بالجبن والهلع ومستقبله يتأرجح على كفة الشيطان.

إذن فلتذهب قضية الوطن العزيز لتحريره إلى كنف الشيطان ورحابه وليعلموا أن أحداً لن يظلمهم أو يتحدى حقوقهم ، ولكنهم يظلمون أنفسهم فمن المستطاع أن ننال حقنا وأن نريق دماءنا فى سبيل مطلبنا وليكفى أن للحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق .

وليؤمن الشباب بأن الأمة التى تتغنى بماضيها وتفخر به دون أن تعمل من أجل تحقيق أهدافها فستخسر كلا الناحيتين الماضى والحاضر .

وان السودان اليوم يملأ رحابه شباب كله أحلام وأمان وآمال ، شبـــاب عنيف جبار كله كفاح وتضحية وجهاد ولا شك أن الساعة قد أزفت والوقت آن لنا أن نسير فى ركب الأمم ووجب علينا أن نصرخ فى وجه المستعمر ان خرج عن وعوده لنا .

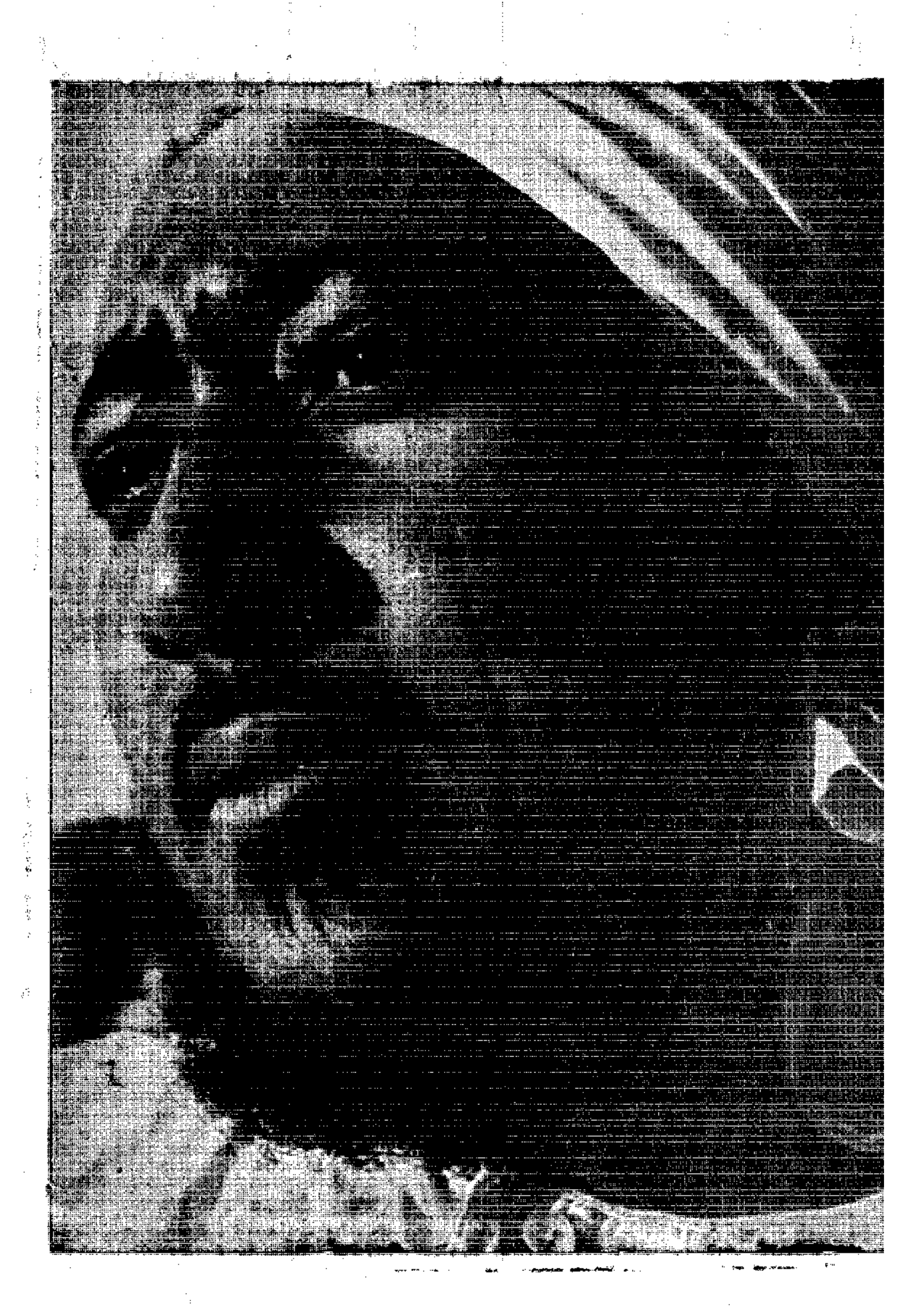
وموعدنا للكفاح قريب وإن طال الزمن عليه ، وتحقيق أمنيتنا قاب قوسين أو أدنى من نفوسنا الملتاعة الملتهبة . والله ولينا وعوننا وليس ذلك على الله ببعيد .

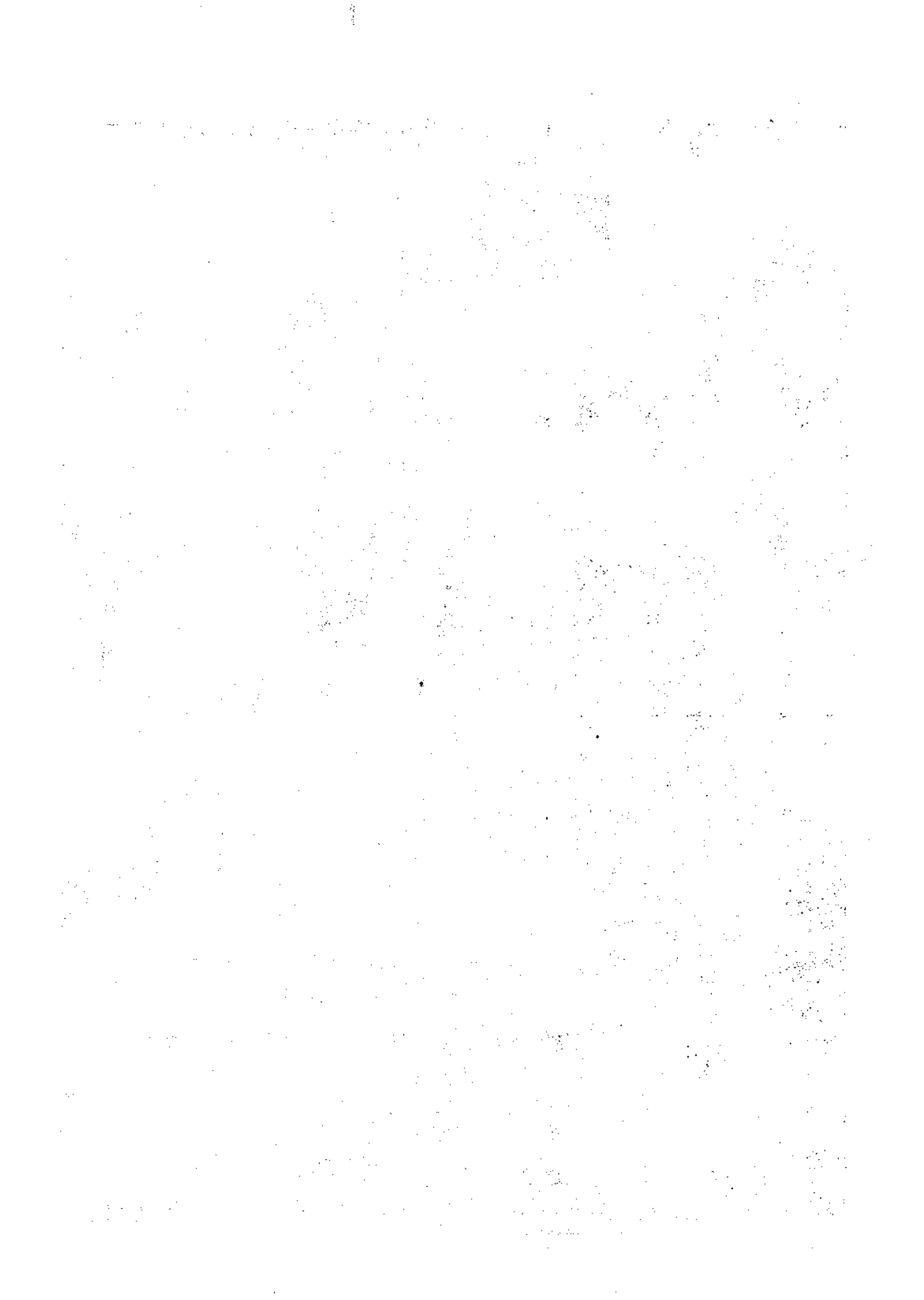
هذه صورة الشريف يوسف السيد شرف الدين عند ما كان في إيطاليا إبان الحرب الايطالية الحبشية في السودان ، ولقد استطلع على مهازل هؤلاء الخونة وتراجمهم وخذيانهم ، وكشف عن آلاعيبهم ودسائسهم ، وشاهد بطولة السوداني العربي الشهم ، وعرف روح الهندى الطيب ، بطولة وروح ممزوجة بالوطنية الصادقة التي لاتشوبها شائبة ـ تجرى في دمائهم .

انها حقيقة ولا سواها . حقيقة أغرب من الخيال كتبها القدر وسطرتها الأيام لتكون دليلا واضحا ، ووصمة عار على حكومة الديمقراطية الزائفة ، تلك الحقيقة التي أفضحتهم ، ولكزتهم بوصمة في الصميم في سويداء قلوبهم .

لعل القارىء الكريم يعتقد أنها قصة من تسبح الخيال ، وكم للانجليز من حقائق يعجز الخيال عن سردها .

ياللقدر ، ياللقدر ، يقدر ونقدر والحكمة للخالق الجبار .





١١ ـ قصة رجوع الامبراطور هيلاسلاسى الى وطنه

لقد عاد الامبراطور هيلاسلاسى إلى موطنه يتمطى ويتثاءب بعد هذا النوم الطويل وبعد أن فقد المجوهرات النادرة والحلى والذهب فى سبيل المأكل والمسكن وشراء حاجياته.

عاد الامبراطور إلى الحبشه ليحيا فيها من جديد، عاد ليجمع المال بعد أن فقد المال وأنفقه فى سخاء مفرط فى حانات لندن وملاهى ليفربول ومسارح اسكتلاندا .

عاد الامبراطور اليوم ولكنه لم يكن بمفرده كما طار بالامس ــ بل عاد إلى وطنه مطأطأ الرأس يحمل فوق كاهله عبئا ثقيلا .

عاد والمستعمر فى معيته ليطأ بأقدامه أرضه ويوطد فيها حكمه وينشر الفوضى والعبودية .

إن الامبراطور عاد وهو يحمل خنجرا بين يديه ليغمده فى صدور أبناء جلده ويقضى على شعبه الكريم قضاء مبرما بطريق غير مشروع وهاهى تجنى على نفسها .

أما الأنجليز اليوم يقيمون هنالك كاولياء الأمور يتعهدون الأمة الحبشية ويشاركون سياستها باصبع خفى ويستولون على زمام الموقف والأمة الحبشية تسير الهوينا نحو المجد والرقى والمدنية فى وضع سياسة موضوعة، أرادها الأنجليز لها ويقوم بتحقيقها زعماء العشائر ورجال الحكم يؤدون الرسالة عن طريق الوصى الأنجليزى وبمجرد أن ألقى الامبراطور عصا تسياره تساءل الشعب عن ماله وعن مجوهراته ولآلئه ، ولكن الامبراطور لم يستطع أن ينبث بكلمة من شفتيه فقد لازم الصمت دون الإنضاء وظل قابعا مكتوف الأيدى والشعب يرحب به

ترحيبا فاتراً ، ويحمل له الامتعاض والكراهية فلا أهلا ولا سهلا ولا مرحباً بقدمه ، ومنذ ذلك الحين تضاءلت عظمة الامبراطور فى قومه وتلاشى سلطانه وبلى جبروته وإذ به أداة صماء يتربع على عرشه بعد أن جعل الحبل فى القارب للمستعمر ليعمل ليلا ونهارا ، يعقد الصفقات وينصب الشراك ويندس فى الشعب، ويبعث سمومه الفتاكة القاتلة تسرى فى الأمة وتفعل به كما يفعل السل فى الشعوب يرهق الأجسام وينهك القوى .

ولقد ظلت الأمة الحبشية قارباً يدير دفته خساس الانجليز كيفما أرادوا وحيثما شاءوا ، وإذ به يقف فى منتصف الطريق حائراً لايدرى أين يذهب أو إلى أين يريد .

أما أرتريا فقد وضع الانجليز فيها قوة حربية تدير البلاد إدارة عسكرية بحته، ووضعوا عليها يداً من حديد ، واستولوا على البضائع والشركات وجميع المرافق الحيوية بالبلاد تحت إشرافهم المطلق دون معين أو رقيب ، وأوصدوا كل الأبواب ، ومنعوا الهجرة ، وأصبحوا هم الحكام، لهم الأمر ولهم النهى .

وإنك لتعجب مما تحتويه تلك الأراضى فى بطونها من المعادن المختلفة ، ويكثر فيها الذهب ، ولقد انتهز هذه الفرصة السانحة أولئك الجياع ليجمعوا الذهب بغير حساب ويحصلوا على ماتكنه تلك الأقاليم من خيرات منقطعة النظير ، والحق يقال لقدأضحت أرتريا لقمة سائغة تؤكل فى شهية ونهم ، حلوة الطعم لذيذة المذاق

وقد اتصفت تلك البلاد بصلاحية أراضيها التى امتلأت بمطارات عديدة هامة وضع الانجليز أيديهم عليها واستحوذوها ، كما أنهم أرسلوا جميع الفرق العسكرية التابعة لقوة الدفاع السودانى وجعلوها تقيم فى تلك البقاع لتحرس الأمن وتحفظ النظام الداخلى بالبلاد وبذلك صارت البلاد تحكم بالقوانين العسكرية المجردة .

ولقد استفاد البريطانيون من بقايا العتاد الحربى الذى تركه الفاشيون وراء

ظهرانيهم حيث أقاموا حركة نشاط حيوية لجمع تلك القطع من الأسطول الايطالى بمصوع ، ذلك الأسطول الذى يتكون من عشرات البواخر المليئة بالذخيرة والمئونة والسلاح والذى تناثرت اشلاؤه على شواطىء مدينة مصوع وابتلع اليم معظم السفن والبوارج ، وترك البعض ، مداخنها راسية على سطح الماء تدل فى كآبة وحزن على تلك النهاية المؤلمة لتلك الأمة التى كان يكتنف عظماؤها الزهو والعظمة وحب الغرور والغطرسة والكبرياء وهى فى الوقت عينه أكبر موعظة للبريطانيين ، وعبرة ، لعلهم يتعظون ، حيث أنه لا بد من الساحقة والصاعقة والخور والفناء لكل أمة طغت وتكبرت فالعاقبة لها الحسرة وسوء المصير .

إن البريطانيين يتصفون بالدهاء فى أساليبهم وبالمكر والخداع فى سياستهم المرنة وبالنفاق والرياء فى أفعالهم الممقوتة وبملاطفتهم البلهاء وطيبتهم المصطنعة فى تحقيق أمانيهم وأهدافهم النفعية التى يرمون اليها ، وبالصبر المبتذل والبرود المعهود فى سبيل قضاء حاجتهم وتنفيذ خططهم الهدامة لبرتوكول ، سياستهم المرسومة فى تلك البقاع التى انفردوا بالحكم فيها وإن دلت تلك الأفعال على شىء ما ، فانها تدل على الاستيلاء والاستجداء النفعى المطلق وامتصاص مجهود ثمرات الأمـــة التى يستعبدونها ليعيدوا الحياة إلى الجزيرة الشمطاء العجوز التى عصرتها أيادى البلاء فقابت من الفناء قوسين أو أدنى — وأن شبح الاستعمار القابع هنالك كريه على النفوس بغيض الاحتمال لايحلو الصبر عليه فهو النذير للشقاء والكارثة والأذان لوقع البلاء الفادح والشر المستطير والطريق المؤدى إلى قاع الحضيض وغياهب الجب فالكفاح المستميت هو العلاج لرد البلاء والضمان للحياة الهادئة المستقرة الحافلة بالأمانى والمجد والمطالب القصوى للحرية الحمراء التى تطرق بابها الأيادى المخضبة بالدماء والتى لاتقبل الضيم وتأبى الذل والاستعباد — والتى تريد لأمتها البقاء السرمدى والاستقرار فى هذا العالم المضطرب الحافل بالحوادث والمفاجآت ، فمستقبل البلاد اليوم يتأرجح على كف الشيطان .

ولقد استطاع البريطانيون أن يفرضوا ارادتهم فرضا لامبرر له بالحديد والنار تارة ،وبالتعذيب والتشريد أخرى وبالمرونة والمماطلة أحيانا حتى استطاعوا أن يستولوا على زمام الموقف فطاب لهم العيش والمسكن وراقت لهم الحياة فتبوءوا المناصب واستولوا على جميع المرافق الحيوية وقضوا على الوعى القومى وتركوا البلاد تحتضر ، لاهى حية فترجى ، ولا ميتة فتبكى ، ولقد شملت الأمة السودانية سحابة الحزن والأسى تمطر كل يوم قطرات من أصناف البلى والعون ، فالشباب اليوم أمامه واجب مقدس وأى واجب أكثر تقديسا وأشرف مطلبا من الجهاد السافر للحصول على حريته وانتزاع حقه بالقوة — فالطريق إلى الحريات شائك حافل بالتضحيات — ولقد دلت التجارب أن الحرية لاتمنح بل تؤخذ ، وان التقاضى لايجدى فى سبيل الحصول عليها ، والمفاوضة حديث طويل تافه كثيرا ماينتهى إلى اللاشيئية أما الكفاح فهو السلاح الحق لتحقيق الأمنيات التى تصبو اليها الأمة التى تريد أن تحيا حياة حرة خالدة سرمدية ، وأن الأمة التى تنغنى بماضيها وتفخر به لن تقوى أى أمة على ظهر الأرض أن تقضى عليها ، فالعذاب المرهق والتنكيل المضنى وتشديد النكير عذابا مستساغا فى نيل المطالب وتحقيق الأمانى المنشودة ، وعليه قد اكتمل الوعى القومى ونضج بالسودان ، فالنتائج المرجوة تبشر بخير للبلاد وسيستطيع الشباب الدائب الحركة ، الكثير التضحية أن يصل فى عهد قريب إلى حظيرة الحرية وأن يتخلص من نير الاستعمار والعبودية وأن يلحق البلاد بركب الأمم المتمدينة المتحضرة وسيعلم ساعتئذ أولئك الذين عاشوا بأرضه فسادا وضنوا عليه بحقه أى منقلب سينقلبون .

إن السياسه الانجليزية فى البلاد موضوعة تهدف إلى أضعاف القوى المتحضرة والقضاء على الفكر المنقد وأحباط الروح المعنوية ونشر الحاجة والفاقة والعوز والبراهين المادية المؤيدة للقول .

تلك المجاعة التى اكتسحت شرق السودان فاذا بالأهليين يموتون جوعا

فى العراء بعد أن انعـــدم القوت ، وأقاموا السدود حائلا بينهم وبين الطلب فى الرزق ، انها جريمة يرتكبها البريطانيون فى بلاد انفردت فى السودان مملوءة بالخيرات العميمة المتدفقة التى تملأ الوديان والتلال والمشاريع الكبيرة التى تدر الذهب على قانيها ، ولكن أراد المستعمر أن يشفى غليله وأن ينتزع الحياة من ذلك الشعب وأن يجعله كالبيد فى الصحراء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول ولم يكتف الانجليز بهذا فحسب بل جعلوا الحبل على القارب للأجانب ، لهم ماشاءوا فقد استطاع الدخيل مابين عشية وضحاها أن يجمع المال ويقتنى الأراضى ويبنى القصور وفى الوقت عينه يستمتع بحياة كلها رفاهية ونعيم أبدى .

أما المواطن فقد شرد فى موطنه ونبذته الحياة فى بلده بعد أن سدت فى وجهه كل السبل ، وهكذا حرام على بلابله الدوح وحلال على الطير من كل جنس .

إن الاستعمار أداة فتاكة لمصير الشعوب ، فاذا غضب الله على أمة أراد لها أن تستعمر ، وإذا اشتد غضبه عليها بارك للمستعمر فى أرضها فانه إذا تولى أمرها أفسدها وجعل عزة أهلها أذلة وأبى عليها الكرامة والحياة .

١٢ ـ قصة آمنة الملكة

كانت إمرأة من أهالى غرب السودان جعلية ،وزوجة للملك خوجلى ، اتصفت بالأخلاق السامية كثيرة العطف على الفقراء والمساكين قوية الارادة شديدة المراس بين قومها وكانت تتمتع بسطوة قصوى ونفوذ مطلق وكان الشعب يلتف حولها ويحبها حبا جما وبمجرد أن توفى زوجها الملك أراد الشعب أن تعتلى عرش الحبشة إلى أن يكتمل ابنها إدريس مدة الوصاية القانونية فحققت للشعب إرادته ومنذ ذلك الحين وهى تعمل دائبة كالنحلة ترعى آلامه وتصون حقوقه .

وكان لها ابنة تسمى نايله اشتهرت بجمال منقطع النظير، واتصفت بذكاء خارق وأدب جم، وعقل ثاقب، أحبها الشعب حبا لامزيد بعده وتمادت الأمة فى أجلالها واحترامها حتى أضحى أسمها حديثا فى المجتمعات ومضغة فى الأفواه، يحدثك عنها الصغير والكبير يثنون عليها ألف ثناء ويوقرونها ويجلونها ويكنون لها كل ود واحترام حتى أضحت شاغلهم الأكبر وموضع عنايتهم، والفخر، يتطلعون اليها فى كل مناسبة ويرتجون لها مستقبلا حافلا بخيره وافراً بالمسرات .

أما عامر، من سلالة الأسرة المالكة فقد تزوج من الجيش وأنجب ولدين أحدهما الملك أبو شوك والآخر إدريس .

وكان يتصف بالطيبة والسماحة والخلق الدينى، تخصص فى علم الفقه والشريعة وحمل الرسالة المحمدية ينشر الاسلام بين الناس،وقدأسلم على يديه أناس كثيرون وقد ساس الرعية بالحكمة والعدل والأمانة، وأنه لايخشى فى الحق لومة لائم، دأبه العمل الشريف والرأى السديد والقول الحق .

وكان الجيش أبان ذلك العهد مصدرا للرزق والثروة كما أنه امتاز بتداول العملة الذهبية والفضية على السواء فى السوق الاقتصادية فى التجارة، ولقدتواجد الذهب فى بطون الجبال بكثرة، وكانت الملكة تحب السودانيين حبا جما، تكرم وفادتهم وترعاهم وتعطف عليهم وتتعهدهم بالرفق واللين وتحقق مطالبهم وأمانيهم، وأنها فى الوقت نفسه كانت تملك ثروة مالية ذائعة الصيت والشهرة بجانب ثروتها الحيوانية من قطعان الابل ورءوس الماشية والأبقار والخيول التى ملأت رحاب ذلك الوادى النضير الذى تتدفق الأنهار فى وديانه وتنساب السيول فى المروج الخضراء العامرة بأشجار البن وتكثر فيه الغابات الكثيفة المليئة بأشجار القنا والزان والجميز والدليب، والثروة الحيوانية متوفرة كالفيله والوحوش الضارية وتكثر زراعة الزهور والرياحين فى الحدائق الغناء والرياض الفاخرة التى امتلأت بالنحل

يأكل الثمر ويجنى العسل وهنالك على مدى البصر امتدت أراضى شاسعة كبيرة تزرع فيها جميع الخضراوات وتنمو فيها الحشائش التى ترعاها الحيوانات على اختلاف طبقاتها وتقطن فى هذه البقاع الأنقسنا والوطاويط والفونج والزنوج وجميع الطبقات من مختلف القبائل . وتقع كرمك وبابرص فى حدود الرصيرص . وتلك البلاد تحيطها الجبال الشامخة العظيمة .

ولقد توافد إلى هذه الأقطار عدد كثير من مختلف الطبقات والأجناس مما جعل الثروة الذهبية تتداول فى أياديهم ، ولقد شعر الانجليز بوجود تلك الثروة مهملة ، لذلك أرادوا أن يستغلوها استغلالا فاحشا ، فأرسلوا الجواسيس واندسوا فى الشعب واستطاعوا أن يقفوا على جميع الأسرار وتم لهم الاحتكار وحصلوا على الفضة والذهب ووضعوا أيديهم على جميع المرافق الحيوية،وساعتئذ استطاع الانجليز أن يستولوا على البلاد بالحديد والنار فشردوا أهلها ونشروا الظلم والعدوان ، ولم يكتفوا بهذه الجرائم التى ارتكبوها بل امعنوا فى التنكيل وأسرفوا فى الضلال واختاروا فى الوقت عينه الملك أبو شوك عاهلا يتولى الملك ويرعى الشعب ويدير شئون الأمة ، تحركه الأيادى الانجليزية وتدفع به لتحقيق الأمانى الاستعمارية فلم تمض مدة من الزمن حتى استطاعوا أن يوطدوا أقدامهم وأضحوا ساسة الأمر فاذ بهم يجعلون من تلك المنطقة حرمة لا يستطيع أن يتوغل فيها أى فرد كائن مالم يمنح التأشيرة والجوازات بالطريقة الرسمية ، ومن ذلك الحين والبلاد تئن وتصرخ تحت وطأة الاستعمار ، وهاهو المستعمر يفرق الرأى العام لبعض الأفكار الناضجة ، عن الآلام والأسى اللذين يكتنفان ذلك الشعب الذى يصارع الحياة .

وهناك بلدة تسمى ساوليل يقطنها الأشراف وبالقرب منها بلدة أخرى تسمى الدندر فى بحر أزرق صالحة لزراعة القامشه والسمسم والدخن والصفراء ودعكر والليمون وتحاط بأشجار الابنوس وأشجار النبق والهجليد، وتحد بالسوكى

وسنجا عبد الله .

وفى الحقيقة أن الحبشة متصلة بالسودان اتصالا وثيقا حتى أنهما ليكادا أن يكونا قطرا واحدا من جميع النواحى .

وهذه هى قصص بعض الشخصيات فى الحرب الايطالية وغيرها وممن لهم علاقة بالسودان .

١٣ ـ الدعاية الامريكانية فى السودان
أبان الحرب المنصرمة

كان لأمريكان موضع حفاوة وكرم بين أهل السـودان ، ولقد امتلأت على مكاتب الاستخدام الامريكى بالشباب السودانى العامل ليؤدوا خدماتهم فى أمانة ووفاء وصدق .

والحقيقة كان ذلك المجهود الذى قام بتأديته الشباب السودانى موضع اكبار وإجلال ، فاذا بهم يجابهون أولئك المتطوعين الذين قبلوا أن يؤدوا الرسالة كاملة فى تلك الظروف الحرجة بكل ترحيب وامتنان وقد آلوا على أنفسهم أن يوفوا كل ذى حق حقه فشيدوا مكاتب الأعمال فى جميع أنحاء القطر وبدأوا يحتضنون الشباب ويغدقون عليه بسخاء مفرط حتى استطاعوا فى أيام وجيزة أن يجمعوا أغلبية ساحقة من موظفى الحكومة والشركات والعمال والخبراء وتدفق المال من خزائنهم إلى الشعب بغير حساب تحقيقا لرغبتهم الصادقة فى نشر دعايتهم ، وتدفق الناس عليهم وتفتحت آذان الموظفين الحكوميين ، فامطروا دور الرياسة بوابل من استقالاتهم وتركوا أعمالهم إلى غير رجعة .

كل هذا والأمريكان يضاعفون المرتبات ويرتفعون بالأجور ارتفاعا مغريا حتى كادت دور الحكومة السودانية تظل قارعة خاوية على عرشها تنعى من بناها .

ولم يكتف الأمريكان بذلك فحسب بل وضعوا أيديهم على منطقة شاسعة متـامية الأطراف تبلغ مئات الافدنة وتسمى « وادى سيدنا » تبعد على مسافة بعض الكيلو مترات من مدينة الخرطوم ، فشيدوا المطارات الحربية ، واعتنوا فى تخطيطها ورسمها الفنى الهندسى حتى كادت تضارع أعظم المطارات العالمية ، وقد طار صيت ذلك المطار فى انحاء المعمورة من حيث المتانة والحراسة والمأمن .

ولقد شيدوا مطارا بمدينة دارفور يقع فى الجهة الغربية من المدينة، مزودا بالأنظمة الحديثة كما شيدت بعض المخازن المليئه بالعتاد والذخيرة . كما شيدوا مطارا بالجنينة .

والحقيقة التى لاغبار عليها لقـد كان الامريكان فى السودان مصدراً للثروة ومورداً للرزق ، وكان عهدهم كله بشائر ورحمة ويسر وكثر النقد المالى فى أيادى الأمة وفتحت أبواب الاستخدام على مصراعيها بعد أن كانت مغلقة وموصدة فى وجـوه الطلاب وأصحاب الحاجة ، ونشرت الطمأنينة أجنحتها وشملت الناس موجة السعادة والغبطة وكان البعض ينذرون بأن عهد الرشيد يعيد نفسه اليوم من جديد . لقد تضامن الناس وتحابوا وألقوا بعضهم البعض ، وإذا بالانجليز يشعرون بالخطر المحدق الذى كاد أن يودى بهم وأوشك أن يقضى عليهم وأن يطوح بمستقبلهم إن واصل الأمريكان هذا السعى ، فان هذا يدل دلالة قاطعة بجلب روح العداء والكراهية وتوغل الحقد والانتقام فى الصدور فاذا بالدوائر الحكومية المسئولة تستعيد نشاطها من جديد وتجعل تصرف الأمريكانية تحت لواء القانون ومواده وتربط أعمالهم فى نطاق ضيق محـدود لايستطيعون أن يحيدوا عنه وأحلوا عليهم أن هذا الشعب رخيص تافه تغنيه مجرد دراهم معدودات ، وأوحوا اليهم أن الاسراف المفرط والحسنات الطائلة لن تجديه ولن تصلح من شأنه ، فالتعسف والظلم والعدوان أجدى وأصلح وهذا هو السلاح لكل لئيم .

وأضاف البريطانيون بقولهم : إننا نستطيع أن نسد حاجتكم من عمـال

وموظفين وأصحاب المهن المختلفة بأجور رخيصة تشترى بها النفوس الطامحة وأصحاب المؤهلات فى هذا البلد .

ومنذ ذلك الحين بدأ البريطانيون يشرفون على جميع الأعمال وأصبح الرزق محدودا ممقوتا .

ولقد استطاع البريطانيون أن يحققوا لأبناء عمومتهم المطالب رخيصة دون عناء يلعبون بالأمة لعب الصوالج بالأكر .

* * *

إن المستعمر الماكر يركض كالذئب الجائع النهم ويضع السودان أبين فكيه يصرخ يستغيث ، يلتهمه التهاما والامم الباقية تتربص عن بعد كالثعلب وابن آوى ، لاتستطيع الاقدام ، ترتجى فضلات مايجود به السلطان .

إن البريطانيين يحرصون كل الحرص كى لاينضج الوعى ولا يرتقى الفكر — ليستعبدوا أمة كساها الجهل وأضناها الفقر وقعدت بها الحاجة ويريدون أن تذهب حريتهم إلى كنف الشيطان ورحابه .

فالجهود فى سبيل إسعادهم تذهب أدراج الرياح بعد أن تبوءوا الارض وساسوا الوطن يأكلون من ثمراته ويعيشون كما أرادوا معززين مكرمين .

بينما صاحب الحق يرى النعمة عليه نقمة يناضل ويكافح فى ميدان الحياة كى يسد رمقه والمستعمر ينال السعادة فى راحة وبساطة .

رحم الله السودان وأبناء السودان ، حتى ينهضوا صارخين فى وجه المستعمر الطاغية .

أسماء القبائل الموجودة في السودان

رقم	القبيلة
١	الجعليون
٢	العمراب
٣	الكتياب
٤	الجبارراب
٥	الشايقية
٦	الجباراب
٧	البطاحين
٨	الفادنيه
٩	النغيديه
١٠	الرباطاب
١١	الدناقله
١٢	المحس
١٣	الأشراف
١٤	المجاذيب
١٥	الغبش
١٦	الحسينية
١٧	الحسنات
١٨	العركيين
١٩	البادراب
٢٠	العويضية
٢١	السناهير
٢٢	أخوعية

نبذة عنها

هذه القبائل كلها تقطن السودان ومعظمها متعلم ومتمدن

وهى المسئولة عن السودان وكل الحركات الوطنية مؤسسة على سواعدها

وأغلبها يرمى ويناشد وحدة وادى النيل تحت تاج الفاروق العظيم. لذلك فهى مضطهدة من حكومة الاستعمار .

وتشتهر هذه القبائل بالتقوى والصلاح . وهى فرسان شجعان متكاتفة ومتعاونه مع بعضها فى السراء والضراء ، وهذه القبائل تعد من خيرة أبناء السودان .

أما طبائعها فعربية صرفه ولها ذكاء خارق وميزات حميده . هذا بعض الشىء عن هذه القبائل ، وتشتهر ايضا بالنشاط والحركة وحب العمل .

كل هذه القبائل تتكلم لغة عربية خالصه ولا تعرف غيرها من الرطانة .

رقم	القبيلة	نبذة عنها
٢٣	الكمالاب	وتسكن هذه القبائل الحلال
٢٤	الهبانيه	والبوادى ومنهم عرب رحل وعرب
٢٥	اللحويين	الحنيه وعرب البوادى .
٢٦	العقليين	ومن هذه القبائل من يرعى البهائم
٢٧	المغاربه	ويعتمد فى معيشته على ماتنتجه من البان
٢٨	الميرفاب	وجلود ولحوم .
٢٩	القواسمه	ومنهم من يزرع ويحصد، إما أن تكون
٣٠	الطوارفه	زراعة مطرية أو زراعة نيليه .
٣١	الصوارده	وبعض هذه القبائل تنزح إلى أرض
٣٢	الحضريين	الجزيره حيث تحصدون القطن وهذه
٣٣	الحضور	تسمى الباجور .
٣٤	الحمدية	وبعض هذه القبائل ينقل الفحم
٣٥	الهدندوه	إلى المدن ، والبعض الآخر منها يتاجر
٣٦	البشاريين	فى الجمال .
٣٧	الزيديه	ومنها من يقوم بجمع الصمغ
٣٨	الكنانة	والبعض يقوم بزراعة السمسم وبعض
٣٩	الدقيساب	المحصولات .
٤٠	النواهيه	وجزء من هذه القبائل يمتلك
٤١	الشنابله	أطيانا يعتمد على ماتنتجه من خيرات
٤٢	الصواحية	وثمرات .
٤٣	الجعافره	وهذه القبائل تتكلم اللغة العربية خالصة
٤٤	البرتياب	ولاتعرف عن الرطانة شيئاً .

رقم	القبيلة	نبذة عنها
٤٥	الجمعاب	كما أن معظمها يشتهر بالتقوى
٤٦	الحلويين	والصلاح ، ولها عقائد دينية قوية وتبجية
٤٧	الكواهله	كبيرة لدرجة أن بعضها يتعبد فى الجبال
٤٨	الفراحنه	بعيداً عن أعين الناس ، ليتمكن
٤٩	القريناب	من العبادة التامة فى عزلة
٥٠	البزعه	وهدوء تام .
٥١	المسلميه	والكثير منها متعلم يجيد القراءة
٥٢	المسلماب	والكتابة ومعظم تعليمها دينى وحفظ
٥٣	سليم	القرآن الكريم لذلك فهى تؤلف
٥٤	اليعقوباب	الكتب الدينية وكتب الأناشيد والذكر
٥٥	البساطاب	وغير ذلك مما هو دينى .
٥٦	العبداللاب	ولقد كانت هذه القبائل من
٥٧	المواليد	أعظم القبائل الموجودة فى السودان
٥٨	بنو عقيل	وهى كذلك حتى الآن لاتشوبها
٥٩	المقالده	أية شائبة أو اختلط فيها
٦٠	البديريه	مايغير منها أو من عقائدها فهى
٦١	المناصير	كما هى إلا أن يد الاستعمار
٦٢	الحوازمه	الغاشمة كما بينا فى المواضيع
٦٣	العونيه	السابقة ، المعهود فيها ، أنها طغت
٦٤	النوراب	عليها وقيدت حريتها .
٦٥	عرب رفاعه	يتكلمون اللغة العربية الخالصة ولا
٦٦	جهينه	يعرفون عن الرطانة شيئاً .

رقم	القبيلة	نبذة عنها
٦٧	الحريزات	وهذه القبائل ، جزء منها يوجد فى
٦٨	حمر	غرب السودان وجزء فى الكبابيش
٦٩	حمر	وجزء فى الجزيرة وجزء فى الدندر
٧٠	الفونج	والرهد .
٧١	البيجا	
٧٢	السواكنيه	وهى منتشرة فى جميع بلاد السودان
٧٣	بنو سويف	فنها من يسكن المدن الكبيرة
٧٤	المطارقه	ومنها من يسكن الحلال والقرى ومنها
٧٥	المهاجرون	من يسكن على سفوح الجبال ومنها من
٧٦	الكبابيش	يسكن الوديان والغابات .
٧٧	الريقاب	وهى غنية بالجمال والأبقار والخيول
٧٨	الجوامعة	وتتاجر فيها بكثرة وتنزح من بلادها
٧٩	البصيليه	إلى البلاد الأخرى وإلى القطر المصرى
٨٠	العبابده	عن طريق خط الأربعين
٨١	العطاياب	
٨٢	بنو عمران	وكلها تدين بالدين الإسلامى الحنيف .
٨٣	بنو عامر	
٨٤	المكاراب	وليس لديها ماتفكر فيه سوى
٨٥	القضيات	بهائمها وحياتها وطرق معيشتها

رقم	القبيلة	نبذة عنها
٨٦	الشويحات	هذه القبائل كلها تتكلم اللغة العربية الخالصة ولا تعرف عن الرطانة شيئاً . والجزء القليل منها يحفظ القرآن الكريم . ومعظم هذه القبائل غير متعلم لأن المستعمر استغل هذه البلاد وحطم آمال أهلها وجعلها تفقد نصيبها فى مضمار الحياة مثلها كمثل سفينة أقلعت فى وسط المحيط حيث لايرى ركابها خلا الماء والسماء ثم تهب عليها عاصفة قوية تكسر قلاعها ، ثم ترتطم السفينة بصخرة كبيرة تتحطم عليها أجزاؤها ويذهب ركابها إلى القاع وتصير لقيمات سائغة تبتلعها الأسماك المفترسة والحيوانات المائية الكبيرة كذلك المستعمر يملك هذه البلاد كما هو متملك على غيرها فى الشمال والجنوب والشرق والغرب كما سبق
٨٧	بنو هلبه	
٨٨	البقاره	
٨٩	التقلاويين	
٩٠	المعوكاب	
٩١	الزغاوه	
٩٢	السخاوه	
٩٣	الميدوب	
٩٤	المطارفة	
٩٥	بنو حامد	
٩٦	بنو نعمان	
٩٧	بنو جرار	
٩٨	الطرشى	
٩٩	الكنوز	
١٠٠	الكرسان	
١٠١	المسيريه	
١٠٢	العونيه	
١٠٣	النوراب	
١٠٤	أولاد عقبه	
١٠٥	برياب	
١٠٦	أولاد عجب	
١٠٧	الدويحيه	

رقم	القبيلة
١٠٨	البشاقره
١٠٩	المجانين
١١٠	البراقنه
١١١	النوارب
١١٢	الوراريق
١١٣	النفيعاب
١١٤	الحنابلة
١١٥	القرعان
١١٦	السرحان
١١٧	الغطارفه
١١٨	المطاهره
١١٩	البغاضة
١٢٠	العونيه
١٢١	الواليه
١٢٢	الرواجاب
١٢٣	الطالباب
١٢٤	بنوغازى
١٢٥	الشناقيط
١٢٦	الزيقات
١٢٧	الرفاعه
١٢٨	الدواليب
١٢٩	الجده

نبذة عنهـــا

ويينا ، فقطع على هذه السكان حبل العلم والثقافة حتى تظل جاهلة وتتخبط فى ظلام الجهل لاتعرف لبلادها حقا أو مصيراً وهو يحاول أن يحول أيضاً دون اتصالها بغيرها من الأهالى المتمدينين وخاصة اتصالها بمصر عن طريق خط الأربعين .

كل هذا وغرضه الوحيد الذى يرمى اليه من كل هذه المحاولات والمساعى ليس إلا ليفصل مصر عن السودان ، يفصل الروح عن الجسد .

انه يحاول ويحاول ، يسعى ويسعى ولكن رغم هذا كله فعظمها يناشد الوحدة ويبغض الاستعمار وارجاس الاستعمار .

فمها يحاول الاستعمار من طرق شتى فهو فاشل لامحالة فى ذلك .

بل انه يحاول أن يجعل من الصخر لسانا يتكلم ومن الجبال أقداما تتحرك

رقم	القبيله
١٣٠	الحجمين
١٣١	الهشيه
١٣٢	الانقرياب
١٣٣	الهلاليه
١٣٤	الزياديه
١٣٥	القرعان
١٣٦	الرواعنه
١٣٧	الضبأينه
١٣٨	المعاويه
١٣٩	بنو سلامه
١٤٠	المعاليه
١٤١	القيسان
١٤٢	الفيسان
١٤٣	بنو طالب
١٤٤	الهاشميه
١٤٥	العبيده
١٤٦	العوايده
١٤٧	بنو زحيف
١٤٨	الركيناب
١٤٩	الرواجاب
١٥٠	الجميليه
١٥١	الخناجره

نبذة عنها

ومن الأرواح اشباحا لاتتكلم لأنها لو تكلمت فستنطق قائلة تحيا الوحدة

ولاشك أن هذه القبائل كلها من أجناس عربية ومعظمها يسكن المنطقة الغربية من السودان.

والمنطقه الغربيه كما بينا هى مكان دارت فيه عدة مواقع ضد الاستعمار الغاشم وضد استبداده ، لذلك فانه يخشى قوة هذه السكان لما عهده فيها من الشجاعه والحماس والوطنية

وجميع من قادوا السودانيين أو معظمهم من هـــذه القبائل ، مثل ذلك محمد احمد المهدى ، والزبير باشـــا وود حبـــوب والسحيـــلى والسلطــان على دينــار وغـــيرهم ممن كانوا يلقون بأنفسهم فدية لحرية بلادهم تدفعهم وطنيتهم الصادقة إلى ذلك بعزم ورجوله بثبات وروح قويه .

رقم	القبيلة
١٥٢	الضوياب
١٥٣	الشكريه
١٥٤	الكليكلاب
١٥٥	الكوارته
١٥٦	المكاشفيه
١٥٧	السواراب
١٥٨	الزبالعه
١٥٩	التراكوه
١٦٠	القريناب
١٦١	البساتين
١٦٢	الغلاماب
١٦٣	الطريفيه
١٦٤	الشراقوه
١٦٥	الحضريين
١٦٦	المطارقة
١٦٧	القضيات
١٦٧	الحوامصه
١٦٩	المنصورين
١٧٠	الفنج
١٧١	الصليح
١٧٢	بنوشعيب
١٧٣	بنودياب

نبذة عنها

ومعظم هذه القبائل يشتغل بالرعى من غنم وجمال وأبقار ومواشى ويتاجر فيها سواء داخليا أو خارجيا .

وتعتمد هذه القبائل وبهائمها وجمالها وكل هذه الثروة العظيمة فى شرب مياهها على الآبار والفول وأحيانا الدليب والبطيخ كما سبق .

أما من ناحية التعليم فهى كباقى اخواتها لم تحظ منه إلا بالقليل الذى لايرشدها إلى الحقائق والمعارف .

ولكنها تتمسك بدينها الدين الاسلامى الحنيف تمسكا قويا .

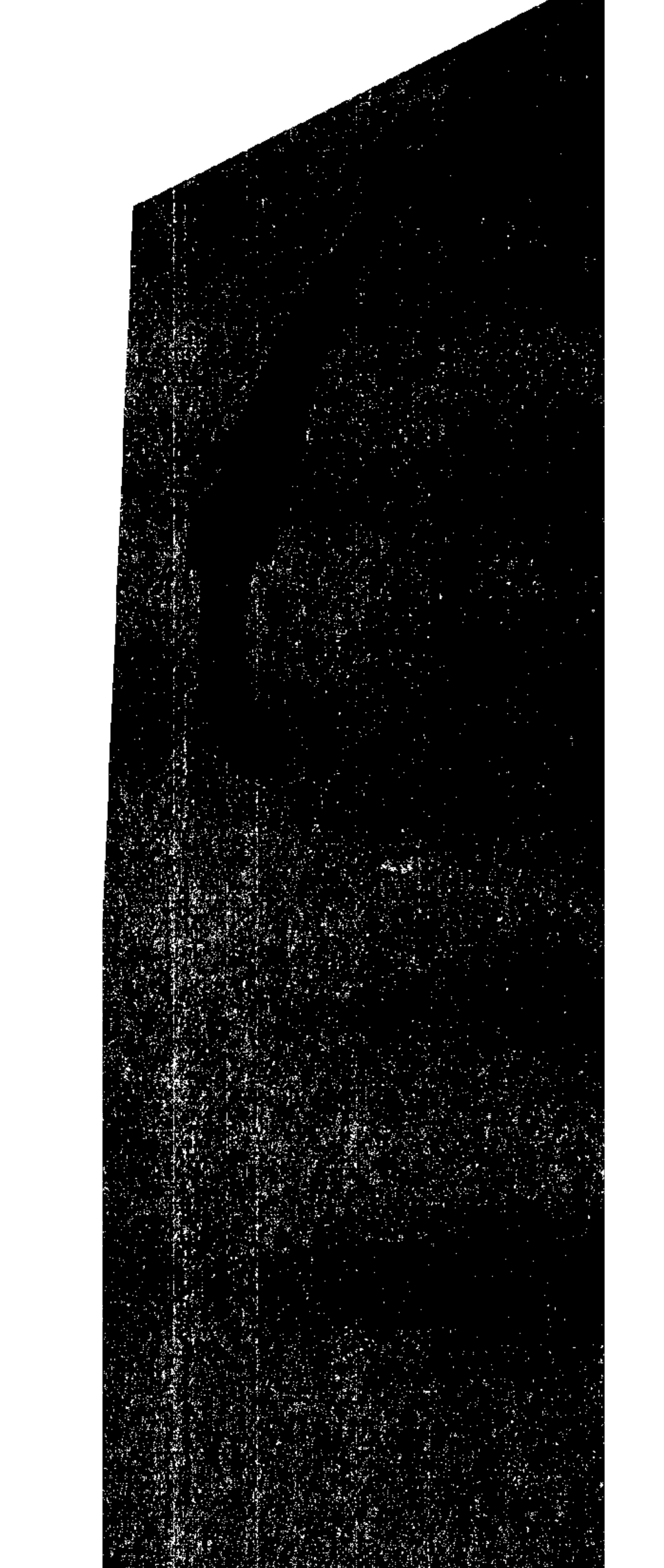
فهذه الروح موجودة بالطبيعة فى أغلب السكان السودانيين .

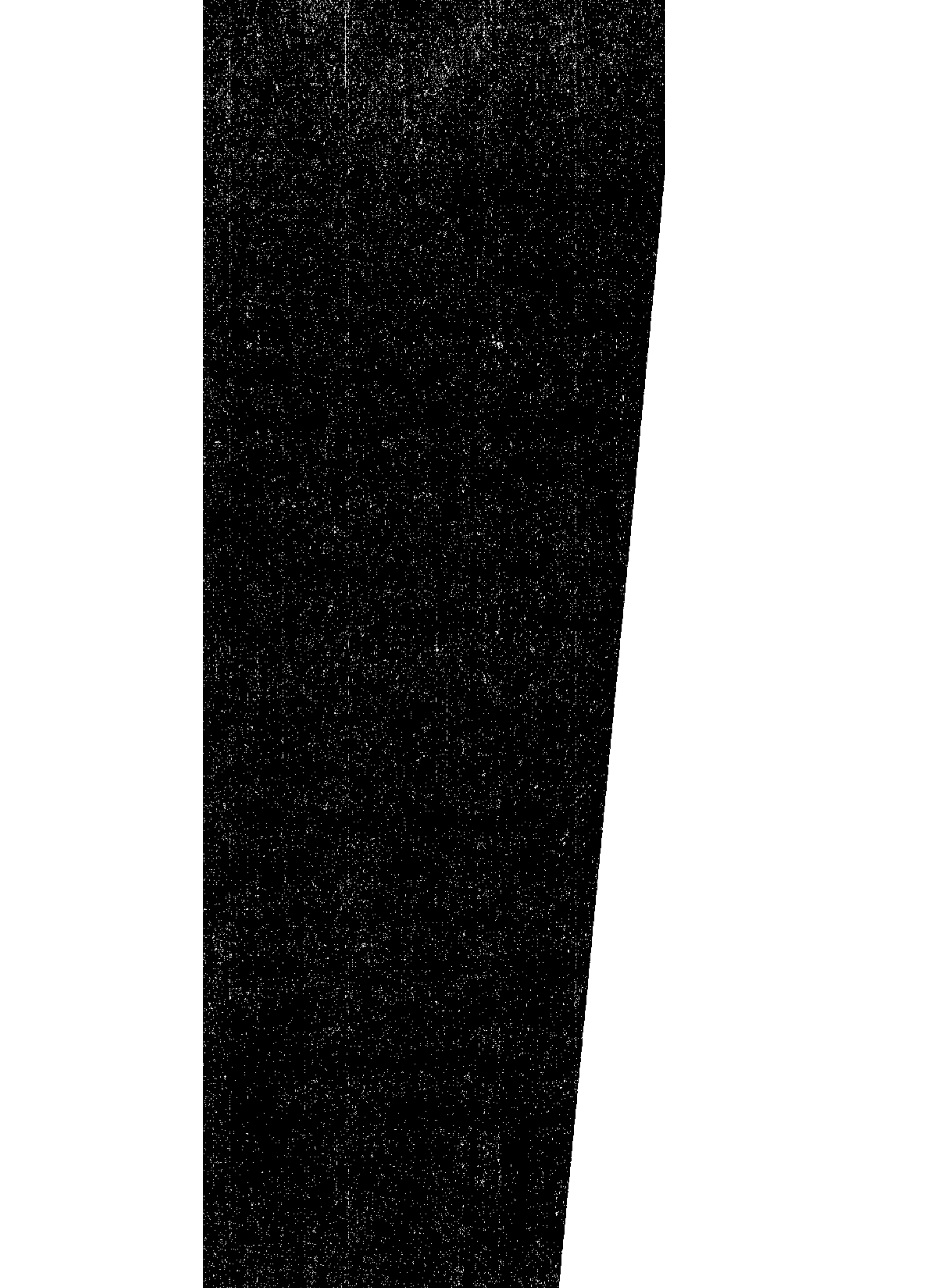
وعلى ذلك فالأغلبية منهم تحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

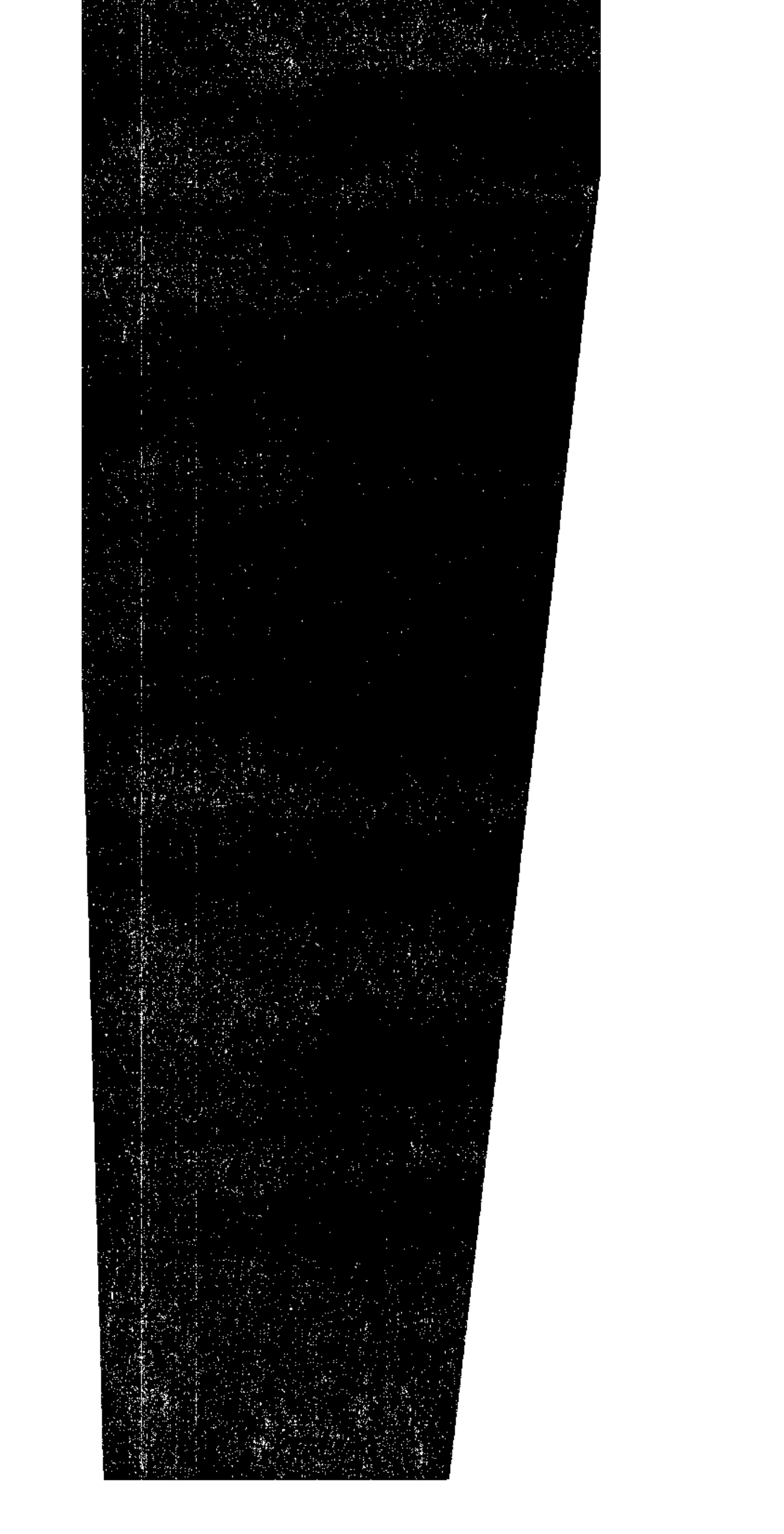
وهذه القبائل تعيش فى العراء خارج المدن وتشيد بيوتها على شكل خيام من الصوف ووبر الجمال لذلك كانت

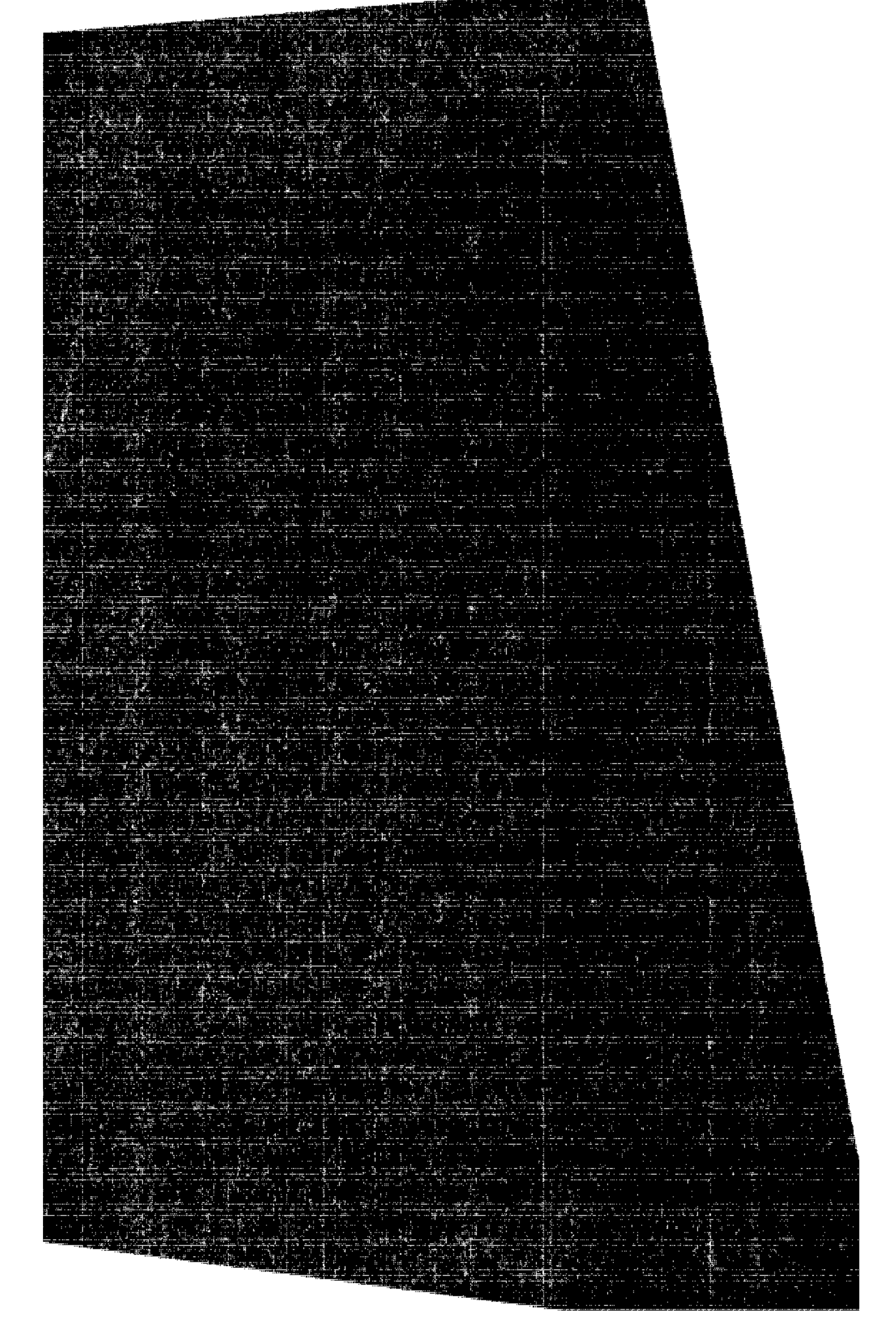
رقم	القبيلة	نبذة عنها
١٧٤	بنو حوزيف	البهائم والجمال لها الأثر العظيم فى حياتها
١٧٥	الزبير	ومعيشتها كذلك معظم الشبان فى السودان
١٧٦	بنو عابد	وهذه هى القبائل العربية الحقيقية التى
١٧٧	الباقرمه	تسكن السودان وتتكلم العربية الخالصة .
١٠٨	القريش	* * *
١٧٩	الفلاته	أما هذه القبائل كلها ليست من قبائل
١٨٠	البرنو	السودان الأصلية ولكنها أعراب تدين
١٨١	الفور	بالدين الأسلامى الحنيف ، وكانت قبل
١٨٢	الهوسه	ذلك تقطن حدود فرنسا وشعوب
١٨٣	النوبه	مجاهل أفريقيا .
١٠٤	البرقو	وقد صرحت لها حكومة السودان
١٨٥	المساليد	بالنزوح إلى أراضى السودان دون قيد
١٨٦	نيام نيام	أو جواز سفر أو شهادات
١٨٧	كوفه	طبية ، لذلك هاجرت اليها بكثرة
١٨٨	المليط	واستوطنتها .
١٨٩	البطارخه	واستخدمتها حكومة السودان كايدى
١٩٠	البطريخان	عاملة للمصالح الحكومية بأجر زهيد
١٩١	تختواشغ	وأكثرها يستجدى المارة فى
١٩٢	الفنايره	الطرقات وأغلب المشاكل والمشادات
١٩٣	السكتو	التى تحدث فى السودان إنما تأتى من
١٩٤	الديجان	جرائها .
١٩٥	الفاسيه	وتملكت حكومة السودان الأراضى

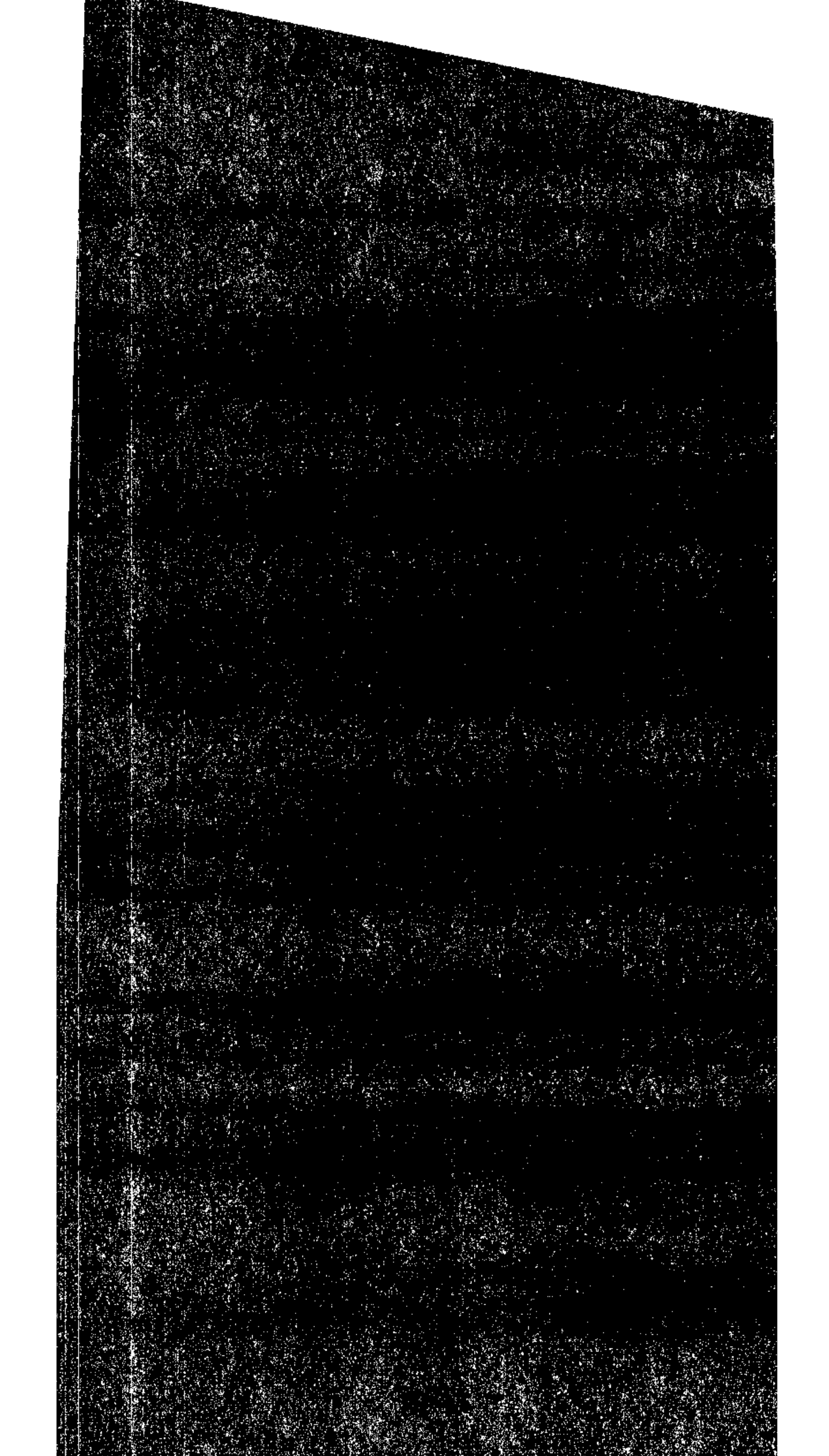
رقم	القبيلة	نبذة عنها
١٩٦	المنازيل	وأعطتها إياها كى تستخدمها فى أغراضهم
١٩٧	بنو خاطر	وهى تعتمد عليها اعتماداً كليا وجزئيا
١٩٨	بنو طماع	حتى انها عينتها رجالا للشرطه والحرس
١٩٩	الزيار	لتقف فى وجة الوطنيين السودانيين
٢٠٠	الأرانيت	فى المظاهرات والانقلابات
٢٠١	الزعاتره	وهى تتكلم برطانات ولهجات
٢٠٢	بنو عنتر	مختلفة لايفهمها السودانيون.
٢٠٣	الدينكا	هـذه هى القبـائل التى تعيش
٢٠٤	الشلك	فى جنوب الوادى ، والتى تلقى الذل
٢٠٥	العرانيط	والعذاب على أيدى الظالمين الطغاة.
٢٠٦	الكبجل	انها تعيش دون دين لها أو مبدأ
٢٠٧	الكجسور	وحكومة السودان تحرم الدخول إلى
٢٠٨	الليرى	بلادها إلا لأسباب هامة ضرورية ،
٢٠٩	الوطاويط	ولكنها تحشد قوات التبشير كى
٢١٠	القمز	تنشؤها على دينهم حتى يتم لهم ماينشدون
٢١١	السامه	من الولاء على السودان والقضاء على الدين
٢١٢	التامه	الإسلامى الحنيف كما بينا .
٢١٣	الحداد	ولـكن الله يتولى الصالحين .
٢١٤	النوير	وإذا رجعنا إلى الوراء فى التاريخ نجد
٢١٥	الياريه	أن هذه القبائل فيها أصل عربى كالشلك
٢١٦	الزوج	والدينكا والتامه .
٢١٧	الزاندى	وهؤلاء السكان يعيشون بالسليقة

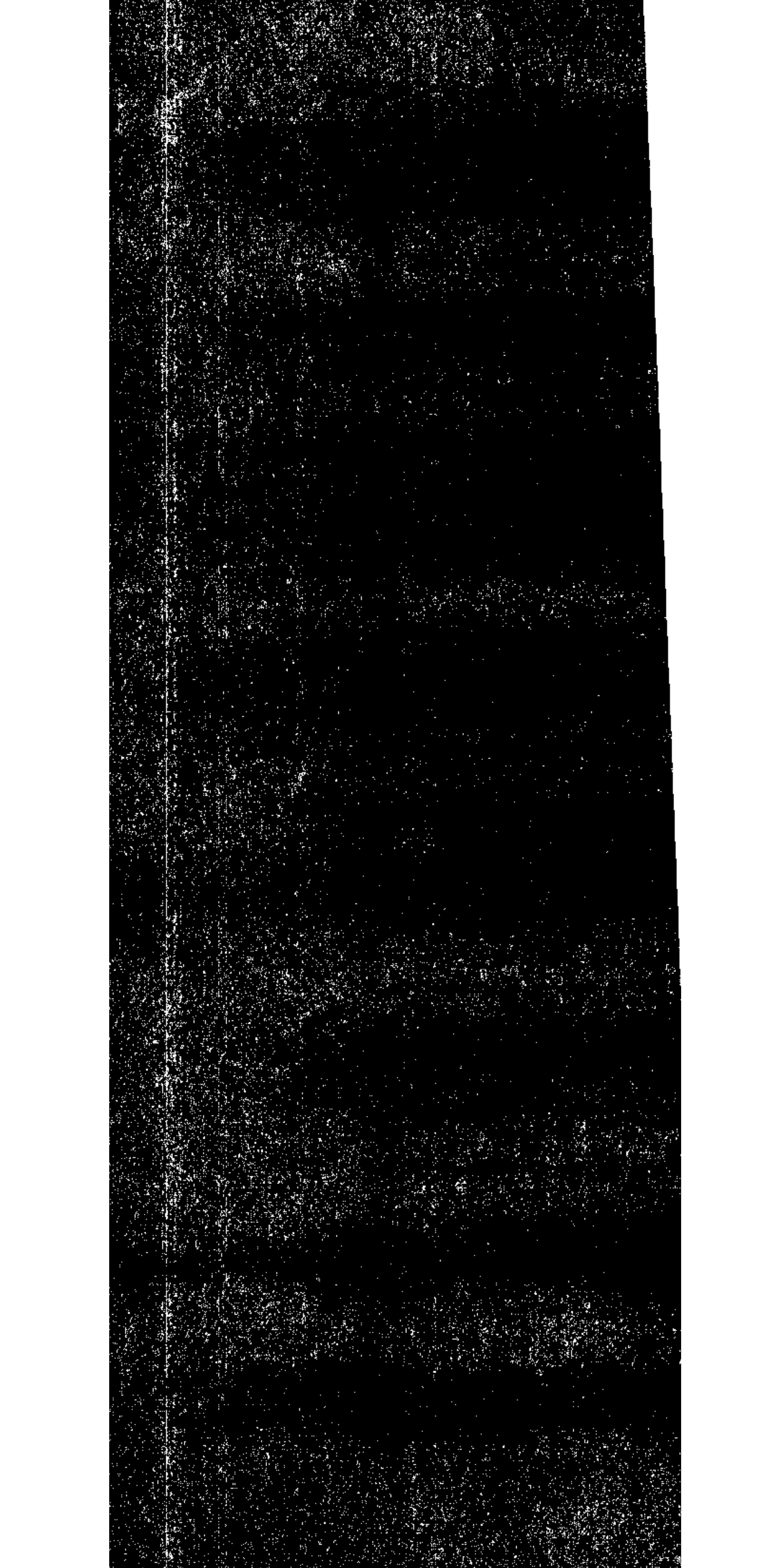












رقم	الأوليـــاء	طرقهم
٥	الشيخ حسن ود حسونه	وهو الجد الأكبر للشيخ الطيب وطريقته خلوتيه وله نفحات عظيمة باقية حتى الآن
٦	الشيخ ادريس ود الأرباب أبو فركه	وهو من الأشراف الذين قاموا بأعمال صالحة عديده
٧	الشيخ الأجهورى	وهو من الأشراف ومن أكبر العلماء وطريقته القادريه
٨	الشيخ أبو عشه التور	طريقته القادريه
٩	الشيخ القرشى ود الزين	طريقته السمانيه
١٠	الشيخ البصير	طريقته السمانيه
١١	الشيخ التوم ود بنقا	طريقته السمانيه
١٢	الشيخ أحمد ود العجوز	طريقته القادريه
١٣	الشيخ محمد الركين	طريقته السمانيه
١٤	الشيخ عبد القادر ود أبو الحسنى	طريقته السمانيه
١٥	الشيخ محمد أحمد المهدى	طريقته السمانيه
١٦	الشيخ الكرخى	طريقته السمانيه
١٧	الشيخ المجذوب	طريقته أحمديه
١٨	الشيخ البصرى	طريقته السمانيه
١٩	الشيخ محمد الصابونابى	طريقته السمانيه
٢٠	الشيخ الأمير ود أبيض	طريقته السمانيه
٢١	الشيخ حسب الرسول ودبدر	طريقته جيلانيه
٢٢	الشيخ عوض الجيد	طريقته قادريه

رقم	الأوليـــاء	طرقهم
٢٣	الشيخ المكاشفى	طريقته قادريه
٢٤	« محمد ود بلال	« السمانيه
٢٥	« محمد ود قيدولى	« «
٢٦	« محمد مالك أبو شنب	« «
٢٧	« ضيف الله	« شاذليـه
٢٨	« محمد العركى	« قادريه
٢٩	« البنورى	« السمانيه
٣٠	« غريب الله	« السمانيه
٣١	« اسماعيل الولى	« الشاذليه
٣٢	الشريف أحمد يعقوب	« السمانيه
٣٣	الشيخ النور	« السمانيه
٣٤	« أحمد تاج الدين	« السمانيه
٣٥	« برير ود الحسين	« السمانيه
٣٦	الشريف يوسف الهندى	« الشاذلية
٣٧	الشيخ خوجلى	« الأدريسية
٣٨	« ود أم مريوم	« البهاريه
١٩	« ود وقيع الله	« السمانيه
٤٠	الشريف الزبال	« أحمديه
٤١	« عبد المنعم	« القادريه
٤٢	الشيخ حامد أبو عصا	« الشاذليه
٤٣	« شرف الدين	« البهاريه
٤٤	« الجعـــلى	« القادريه

رقم	الأولياء	طرقهم
٤٥	« حمد جد العيش	طريقته الأحمديه
٤٦	الشيخ أحمد خربانه خليفة أبي دليق	« القادريه
٤٨	الشيخ سعد	« القادريه
٤٨	« أحمد طبل البرزن .	« القادريه
٤٩	« أحمد ود عيسى	« الشاذليه
٥٠	« محمد أبو قرون	« القادريه
٥١	« أحمد الكنتي	« التجانيه
٥٢	« أحمد الكوفى	« التجانيه
٥٣	« ود بساطى	« السمانيه
٥٤	« عبد الماجد	« السمانيه
٥٥	الشريف عايس	« السمانيه
٥٦	« الخاتم	« السمانيه
٤٧	« النوار	« السمانيه
٥٨	الشيخ عبود الله	« السمانيه
٥٩	« طه	« السمانيه
٦٠	« أحمد أبو كساوى	« القادريه
٦١	« طاى الله العربى	« القادريه
٦٢	الشريف عبد الرحيم	« السمانيه
٦٣	الشيخ هجو الأحمر	« السمانيه
٦٤	« هجو أبو قرن	« السمانيه
٦٥	« هجو ود المالصح	« السمانيه
٦٦	« نعيم الفادنى	« السمانيه

رقم	الأوليـــاء	طريقتهم
٦٧	الشيخ محمد على	طريقته السمانيه
٦٨	« ابراهيم	« السمانيه
٦٩	« الرزيقابى	« برهاميه
٧٠	« الكباشى	« القادريه
٧١	« مالك	« القادريه
٧٢	« النيل راجل أم قرقور	« القادريه
٧٣	« أحمد الخالدى	« القادريه
٧٤	« الجنيـــد	« القادريه
٧٥	« محمد عبودى النصيح	« القادريه
٧٦	« أحمد الهـدى	« تجانيه
٧٧	« الكوجلى	« السمانيه
٧٨	« أحمد ود رحمه	« القادريه
٧٩	« السنهورى	« السمانيه
٨٠	« أحمد الباغر	« السمانيه
٨١	« محمد ود خمجان	« القادريه
٨٢	« أحمد حسونه	« السمانيه
٨٣	« أحمد الرحمانو	« السمانيه
٨٤	« محمد ود الزاكى	« السمانيه
٨٥	« البشـــير	« السمانيه
٨٦	« أحمد البازى	« القادريه
٨٧	« عبد القادر المكاشفى	« القادريه
٨٨	« أحمد طلق النار	« القادريه

رقم	الأوليـــاء	طرقهم
٨٩	الشيخ بليلو	طريقته السمانيه
٩٠	الشريف أحمد عبد الحى	« السمانيه
٩١	الشريف ساوليل	« السمانيه
٩٢	الشيخ محمد ود بدر	« القادريه
٩٣	« عليش	« القادريه
٩٤	« أحمد طويل الباع	« السمانيه
٩٥	« أحمد السراج	« القادريه
٩٦	« عبد الله أبو فزع جرى	« القادريه
٩٧	« فرح ود تكتوك	« البهاريه
٩٨	« عامر القتل سنار	« القادريه
٩٩	« ود مدنى السنى	« برهاميه
١٠٠	« سلمان ود العوضيه	« القادريه
١٠١	الشريف أحمد أبو كرت	« السمانيه
١٠٢	الحاج بخيت	« السمانيه
١٠٣	الشيخ ود أبو شريعه	« القادريه
١٠٤	« محمد ود الترابى	« «
١٠٥	« محمد الطالبابى	« «
١٠٦	« محمد أبو سقره	« «
١٠٧	« على ود عبد الصادق	« «
١٠٨	« حياتى	« «
١٠٩	« البدوى	« «
١١٠	« محمد عباس	« السمانيه

رقم	الأوليـــاء	طرقهم
١١١	الشيخ محمد ودكنان	طريقته التجانيه
١١٢	الشريف هدى	« القادريه
١١٣	الشيخ طلحه	« السمانيه
١١٤	الشيخ محمد أبو كومه	« السمانيه
١١٥	الشيخ محمد تاج الدين	« السمانيه
١١٦	الشيخ محمد الدباغ	« السمانيه
١١٧	الشيخ أحمد ود قدوره	« القادريه
١١٨	الشيخ يوسف الأحمدى	« الأحمديه
١١٩	الشيخ مصطفى بالعليقه	« التجانيه

كل هؤلاء السالف ذكرهم من أولياء الله فى السودان لهم من الأتباع الآلاف من الذين قاتلوا فى حقهم لدين الله ، وكانوا يقطنون فى القرى والحلال ، وحتى الآن لم تصل ذكراهم إلى مصر رغم أنهـــا منتشرة فى السودان أجمعه ، ولهم مساجد عديدة .

ونختم أولياء الله الصالحين فى السودان بالسيد الحسن الميرغنى صاحب الطريقه الختميه المرغنيه المنتشرة الآن فى أنحاء السودان والأغلبية الساحقة التى تمثل الحكومة ورجال الدين هى من أتباع الطريقة المرغنيه .

والسيد الحسن الميرغنى هو الجد الأكبر للميرغنيه منهم السيد أحمد والسيد على الميرغنى باشا والسيد جعفر والسيد المحجوب والشريفه مريم والســـيده علويه وغيرهم .

وينتمى للمرغنيه الساده الأدريسيه بصلة القرابة والطريقة ومنهم السيد

الأدريسى والسيد أحمد والسيد الحسن وأولاد السيد محمد عثمان .

ولقد دفن السيد الحسن بكسلا وضريحه يؤمه كثير من المسلمين من جميع أنحاء السودان .

وجميع هؤلاء الأولياء الصالحين كانوا يضعون دائماً نصب أعينهم وحدة وادى النيل وحتى الآن مازال أبناؤهم يطالبون بالوحدة ويناشدونها بالدماء .

٧ ـ الاعياد القومية وطبائع السودانيين

يحتفل المسلمون من السودانيين بالأعياد المختلفة التى تمر عليهم فى كل عام احتفالا مباركا .

فاذا ماحل عليهم المولد النبوى الكريم أقاموا السرادق والخيام والمهرجانات الدينية فى جميع أنحاء بلاد السودان وتحتل منها أماكن كبيرة واسعة يؤمها الناس فى المساء ، ويتبارى الخطباء فى ذكر نبينا الكريم وخلفائه الراشدين ليهدوا الناس إلى التقوى والسراط المستقيم .

ويستمر الذكر القومى حتى ساعات متأخرة من الليل على قرع الطبول والدفوف مع إلقاء بعض الأناشيد الدينية لشعائرهم .

وكل شيخ من المشايخ الصوفية أو من أهل الطرق ينصب خيمة تحمل أعلام الدين يجتمع فيها أتباعه .

ولكل طريقة ذكر ونشيد خاص يردده الأتباع .

ويزور المسلمون وغيرهم جميع الخيام الموجودة ، فيستقبلهم الشيخ وأتباعه استقبالا محموداً ، وتوزع عليهم الحلوى والشاى .

وتنقسم ساحة المولد إلى أقسام ، قسم تشيد فيــه الخيام ، وقسم تقام فيه دكاكين الحلوى والمأكولات المختلفــة وقسم تعزف فيه الموسيقى الوطنيــة

الأغانى السودانية .

كما أنه يوجد مكان مخصص للنساء كى لايختلطن بالرجال . ويسر المسلمون بهذا الأيام المباركة التى تعيد إليهم ذكرى نبينا الكريم الذى نشر دين الحق فى بقاع العالم .

حتى إذا ما انتهى ودعه الكثيرون بدموع فيها فرحة وفيها ألم .

أما إذا جاء شهر رمضان المبارك فيستقبله المسلمون من السودانيين بالفرح والسرور والحبور ، منشرحين مستبشرين بقدوم هذا الشهر الميمون .

وقبل الصيام بعشرة أيام أو أكثر تستعد النساء وتحضرن الأشياء اللازمة التى يستعملها السودانيون فى هذا الشهر مثل الآبريه الأبيض والآبريه الأحمر والحلومر والبلح والبليله من الكابكيه وفريك الذره والشمشم ولوبيا عدس ولوبيا بيضاء وقمر الدين والتين والزبيب والقضيم والعرديب .

ويقدس السودانيون شهر رمضان تقديسا عظيما حتى أنه لايكاد يوجد شخص يفطره إلا إذا كان مريضا أو على سفر أو لعذر قوى .

وأكثر السودانيين يصوم ثلاثة أشهر كل عام هى « رجب وشعبان ورمضان »

أما فى شهر رمضان فيأكلون العصيدة الجيريه أو عصيدة القصابى أو الكسره بعد أن يضعوا عليها « الملاح » أى « الطبيخ » ولا بد من شمول طعام الافطار على السلطات واللحوم والحلوى ، وبعد تناول الأطعمة يشربون الشاى والقهوة .

ويجتمع عادة سكان المنازل المتجاورة لبعضها فى منزل واحد ليتناولوا الافطار سويا ، ويحضر كل شخص ما تيسر من الأطعمة والشاى والقهوة .

وفى المساء تصلى الجماعة صلاة التراويح بعدها يخرجون إلى المواعظ الدينيه أو النوادى المختلفة .

وقبل انتهاء شهر رمضان المبارك تقوم النساء بعمل الكعك وغيره ، ويشترى الرجال الحلوى المختلفه .

وفى يوم العيد يجتمع المسلمون فى ساحات واسعه أو فى المساجد ويصلى بهم رجل دينى ويخطب فيهم خطبة العيد ويتعانقون بعد الصلاة ، ثم يتبادلون الزيارات بعضهم البعض فى منازلهم للتهنئة بقدوم العيد السعيد على المسلمين .

وفى العيد الأضحى يجتمع أيضاً المسلمون فى أولى أيامه فى الصباح الباكر ليصلوا صلاة العيد بعدها تنحر الأسر الخراف ، ويجتمع الأصدقاء والاخوان فى منازل بعضهم ليأكلوا اللحوم والحلوى وغيرها .

وتوزع على الفقراء اللحوم والأموال فى هذه الأيام المباركة .

وبعض الأسر تنزح من مسافات بعيدة قبل العيد إلى عشائرهم ومشائخهم للتبرك والارشاد والاجتماع ، ويقيمون ليالى العيد المباركة بالذكر والطبول والدفوف والنوبات والبوارق المختلفة .

وفى كلا العيدين يرتدى المسلمون الملابس الجديدة ، ويجتمع الصبية والصغار فى الساحات جماعات جماعات يلعبون ويلهون ويمرحون .

وتخرج بعض الأسر فى رحلات إلى أطراف البلدة ليقضوا أوقاتهم سعيدة مباركة .

وتعد الأعياد أياما للصلح بين المتخاصمين من الشخصيات والقبائل ، ففيها يتم الإخاء والتكاتف والتعاون ، وإبعاد الضغائن من النفوس .

وهكذا تمضى الأعياد تاركة فى قلوب المسلمين آيات من الذكرى المجيدة والسرور العظيم .

- أعاده الله على الاسلام في يمن وأمان وحقق أهدافهم فى سلام ونصر الحق على الباطل وكسر الله قيد الظالمين فلنبشرهم بعذاب أليم وهو على كل شيء قدير .

٨ - الأفراح والمآتم

يتعاون السودانيون بعضهم بعضا فى الشدائد والمسرات كأسرة واحدة، ان اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

إن السودانيين متحدون كسلسلة مرتبطة الحلقات لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى .

والزواج فى السودان يتم على الخطوات الآتية :

يتم الاتفاق أولا بين والد العريس ووالد العروس ، وليس للعروس الحق فى اختيار زوجها ، إنما عليها أن ترضى بما يرضى والدها وأسرتها ،فيدفع العريس المهر المتفق عليه بينهم ، ويعقد بعد ذلك القران على كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، وتقام بعد ذلك «الحنة» التى يحنى فيها العريس وتحنى العروس كل طرف بين أسرته .

ويحرم على العريس رؤية عروسه إلا فى يوم الزفاف حيث تقام «السيرة» ، وهى عبارة عن موكب يزف فيه العريس حتى يبلغ منزل عروسه .

ولا يندمج العريس بعروسه إلا فى يوم الزفاف لمدة سبعة أيام حتى تتم «الدخلة» بعد ذلك ، وتصبح العروس ملكا لعريسها .

ويستمر الفرح مدة تتجاوز الأربعين يوما فى خلالها يأتى الناس إليه من كل مكان ليشاهدوا العروس التى ترقص رقصة العرس على مشهد منهم وعلى يدى عريسها، ويتقدمون لهم بالهدايا الثمينة .

وتستمر الموسيقى والأغانى طوال هذه المدة .

ومن العادات المتبعة بعد الزواج أن الزوجة لا تتناول الطعام أمام زوجها لمدة تتراوح بين العام والعامين ، كما أن والدة العروس لا تشارك زوج ابنتها فى طعام أو مجلس بل تستتر عنه كلية .

وهذه العادات هى العادات السودانية العربية القديمة وتكاد الآن تمحى من السودان الشمالى وفى العواصم والمدن الكبيرة .

أما فى الضواحى والقرى فهم يتقلدون بها ويحافظون على دوامها .

أما عن المآتم فى السودان ، فانه لو شعر حى من الأحياء بمرض شخص من جيرانهم أو سكان حيهم ، فإنهم يترددون عليه فى كل لحظة ودقيقة حتى إذا ما ساءت حالته واحتضر احتشد الناس حوله واستعد كل منهم بما يلزم الميت ويلزم أسرته ، ثم يقوم أحد الدينيين الموجودين بتلقينه الشهادتين .

وبعد الوفاة يقوم رجلان بالغان بغسل جثته غسلا شرعيا ثم يكفنانه بمعرفتهما حسب أصول الدين والشريعة .

كما يقوم بعض الرجال بحفر المقبرة وتجهيزها .

بعد ذلك يتكاتف الجميع فى حمل الجنازة على « عنقاريب » فوق أكتافهم .

ويصحب الجنازة جمع كبير من الرجال والنساء من مختلف الطبقات ليشيعوها إلى مقرها الأخير .

وفى المقابر توضع الجنازة على الأرض ويصلى الرجال عليها صلاة الموتى بينما يمنعون النساء من دخول المقابر ، ويوضع أخيراً فى القبر ومسكنه الأخير مودعا الدنيا الزائلة ثم يودعونه بتلاوة الفاتحة طالبين له المغفرة والرحمة من الخالق الجبار ، يعودون بعد ذلك إلى منزل الميت ليشاطروا أهله فى مصيبتهم وفقيدهم الراحل .

ويستمر هذا لمدة تتراوح الأربعين يوما حيث يترك الكثير منزله مرافقا

أهل الفقيد خـلال هذه المدة وهو يحمل الطعام والأشياء المختلفة لمنزل الميت .

٩ ـ الحيوانات البرية والبحرية وصيدها

أكثر السودانيين يجيدون الصيد ويغرمون به لذلك فهو منتشر بكثرة فى بلاد السودان ، فى الغابات والجبال ، وأهمها فى ناحيـة الغرب والدنادر والوديان .

والصيد إما أن يكون بريا أو نيليا ، وفى البر أكثر ، ويصطادون الحيوانات بأنواعها منها الغزال والزبادى وقطط الخلاء والكبجل وابو ضلاف والبعشوم والزراف والخنازير والكيكرانج والجلاد والعنسيت والقنفذ والتيتل والاريل والأرانب وابو قرن والحباره ودجاج الوادى والنعام والديبه وام جبه والفيله والفهود والنمور وبقر الوحش والجاموس وحمير الخلاء والثعالب والأصلات والطيور المختلفة .

والصيد فى البر إما أن يكون على ظهر الخيل والجمال أو على الأقدام مع مرافقة الكلاب فى جميع الأحوال .

أما الحيوانات النيلية التى يصطادونها فهى الأسماك والتماسيح والسيد قشطه .

ويكون الصيد عادة بزوارق نيلية أو شراعية .

والأدوات التى تستعمل فى الصيد بنوعيه هى النبال والحراب والبنادق والشباك وغيرها .

وللصيد فى السودان أهميـة عظمى فى حياة السكان فمثلا فى الجنوب يعتمدون اعتماداً كلياً فى مأكلهم على الأسماك النيليـة المختلفة والنعام والجاموس .

أما فى الغرب فيعتمدون أحيانا على صيد الغزال والأرانب والأريل والتيتل والزراف والنعام والحباره والطيور المختلفة .

وفى جهة الدندر والرهد يعتمدون اعتماداً جزئياً على صيد الأسماك والأرانب ودجاج الوادى والطيور .

أما الحيوانات الأخرى فلها أهمية اقتصادية عظيمة يستغلها المستعمر كما سبق مثل الفيلة التى يستخدم الأهالى جلودها فى الدرق للسيوف ، أما السن والأسنان فيصدرها المستعمر إلى بلاده وجــزءاً منها يستعمل فى صنع بعض أدوات الزينـــة .

والفهود والنمور تستعمل جلودها فى صنع الأحذية وغيرها . والنعـــام يستخدم دهنه فى الطب وريشــه فى الزينة وصناعة الوسادات ويستخدم جلد العنسيت فى السيطان والقاشات الفخمة .

ويستخرج من التماسيح المسك الذى يستعمل فى الخامات الطبية ، وجلدها يستخدم فى ربط مخايف الجمـــال والحويات ويستخـــدم أيضا فى حلية السيوف .

والخرتيت تستعمل قرونه فى إفساد السموم المختلفة وبطلان مفعولها .

والقنفذ يستخدم مخه فى معالجة السرطان .

والخنازير يأكل لحومها الانجليز والأجانب فى السودان ويصدرونها بكثرة إلى الخارج بكميات كبيرة كما أنه لها مراعى مخصصة لتربيتها ويشرف عليهـــا اخصائيون

هذه كلمة موجزة عن حيوانات السودان وطرق صيـــدها وفوائدها العـــامة .

١٠ - الصادرات والواردات

كل قطر له منتجات خاصة تزداد عن حاجته بينما يحتاج إلى منتجات أخرى تنعدم فيه ، لذلك فانه يصدر ما يزيد عن حاجته ويستورد ما يحتاج إليه .

كذلك السودان به اشياء ومنتجات يصدرها ويحتاج الى اشياء يستوردها .

فهو يصدر الى الخارج مثلا القطن‌اوالسمسم والصمغ والفول السودانى واللب والحمص والزيوت والدهون والمسلى والقطران والعطرون والدوم والدليب والأمباز والفلفل والقرض والترمس واللوبيا والفاصوليا والأخشاب بأنواعها مثل الأبنوس والعبك والسنمكة والقنديل والحنضل والسيكران والزان‌والموسكى والمطاط والتمباك وغيرها من الأخشاب الاخرى ويصدر القامشة والكردكدية والتمر هندى ، والبهائم واللحوم المجففة والجبنة والبطارخ والجلود بأنواعها ووبر الجمل وشعر الغنم وسن الفيل كذلك يصدر الذهب والفضة والنحاس .

أما ما يستورده فهو الأحذية والملابس القطنية والصوفية والآلات الزراعية والصناعية والسيارات والقطارات والطائرات والبواخر النيلة والاسلحة‌والذخائر والورق .

أما الطرق التى تصدر بهاهذه الاشياءوتستوردفهى‌السكك‌الحديدية والبواخر ، واهم موانى لتصديرها واستيرادها هى ميناء حلفا وميناء بور تسودان

وهذا قليل من كثير

كلمة التعليق

خرج هذا الكتاب فى وقت عصيب ، وقت شهد العالم بأسره على استبداد الطغاة المستعمرين أولئك الدخلاء على أرض وادى النيل ، فالانظار كلها تتطلع لأهداف ساميه ترمى لتحرير وادى النيل من قيود العبودية والاستعباد — وأن كانوا يؤمنون بأن وجودهم بين شطرى الوادى يفيد من حريته التى أحلها الله لكل كائن على وجه البسيطة — وإن كنا نؤمن بأن وجودهم حرام محرم فى أرض طاهرة إلا أنهم يتطفلون على هذا ونحن نستمسك بذلك — يتطفلون بوجودهم فيه ونستمسك بخروجهم عنه .

ونحن الشيوخ والشباب — علينا رسالة إن لم نوفيها حقها من التقدير والتضحية سنسأل أمام التاريخ ، ومسئولية الشيوخ النصح والارشاد ومسئولية الشباب العمل والكفاح .

بنو الوطن — لبوا نداء الحرية — لبوا نداء الوطن وأعلنوا أن واديكم هو ملك لكم وأن حريتكم هى حق من حقوقكم — فخلدوا كفاحا بدماء حرة — فالوطن يناديكم .

هذا عدوكم يقف متربصا أمامكم — وذلك وطنكم من خلفكم يعتمد عليكم سيروا إلى الأمام لتحققوا الغاية وتسجلوا مجدا بدماء الأحرار الأبرار .

صور من الأزياء المستعملة في السودان



السيد الشريف وأسرته الذين هاجروا من السودان لمصر سعياوراء الوحدة
فهو رئيس السجادة القادريه والبهاريه بالسودان ورئيس المؤسسة السودانية
الخيرية لأبناء مصر والسودان وصاحب كتاب قلب وادى النيل الذى صرف
عليه ما يمتلكه كما اشتركت زوجته بحليها فى تاليف هذا الكتاب .



هذه صورة صاحب كتاب قلب وادى النيل السيد الشريف وزوجته التى أنفقت
حليا وضحت معه في وحدة القطرين .



صورة السيد الشريف وبعض أبناء السلاطين الموجودة في جنوب السودان والذين يتلقون علوم الدين بالأزهر الشريف



قبيلة باريه تسكن منطقة جوبا



قبيلة مورو بسكان جنوب السودان



الصيد فى الجنوب

غابات الجنوب



الفلاته بغرب السودان

هذه صورة قبائل من الشلك تسكن فاشودة بركز كدك



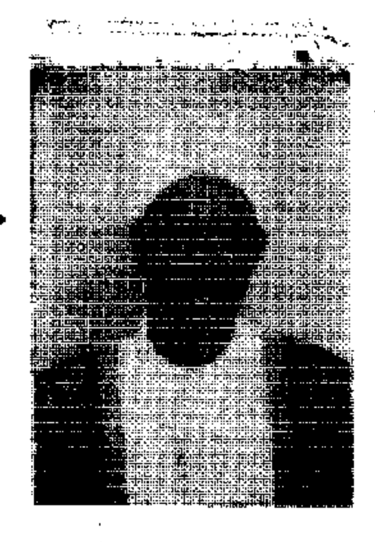
عرب رحـــل بالسودان



قبائل البشارين بشرق السودان



صورة الهدندوه الذين يقطنون شرق السودان



الشيخ محمد أحمد عبـــد الكريم من أهالى دنقلا بشمال السودان والذى اشترك فى عدة حروب — وقد انضم إلى المؤسسة السودانية الخيرية لأبنـــاء مصر والسودان .

وهو من أنصار الوحدة والعاملين بها ، ومن رجال الدين الأتقياء .



أهالى شرق السودان على ظهور الجمال



فارس سوداني في زمن المهدية



مخاليف الجمـــل

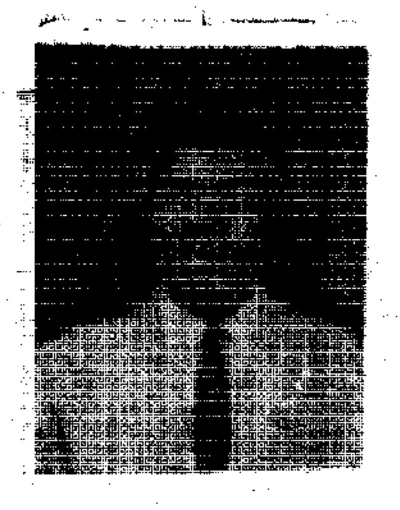
لفتـــة عامة

أراد حـــكام المقاطعات بجنوب السودان أن يحددوا لمبعوث الأزهر الشريف نطاق اشرافه الروحي ــ وقام هـذا المبعوث بدوره يحتج على هـذا الكبت والمسألة معلقة ولا تزال .

هاهى نوايا الانجليز ــ نوايا الاستعمار ومسعاهم ــ ولكن قد انبرى قاض فاضل شرعى من أبناء الشمال ومن اتباع السجادة القادريه والبهاريه ينادى بجمع المـال وتوحيد الجهود لقيام المساجد ودخول البعوث الدينية تلو البعوث حتى يلحق الجنوب بالشمال فى روحه وتقاليده .

والآن أخذ الكثيرون من أبناء الجنوب يتعدون المسائل والمشاكل ــ ويتغا ون على محاولات الاستعمار وينزحون بلا عد ولا تعداد إلى أرض مصر الحبيبة ليتلقوا العلوم الدينية ــ ولقد وجدوا التشجيع والترحيب من مصر وأبناء مصر الكرام ورعاهم الفاروق العظيم وحياهم بعطفه السامى .

ومن الذين نزحو إلى مصر أبنـاء الملوك والأمراء فى الجنوب ــ نذكر منهم الأمير محمد بن الملك فاقيور ورمضـــان يوسف بن الأمير يوسف بن الملك عبد الفضيل .



هذه صورة رمضان يوسف عبدالفضيل حفيد الملك عبد الفضيل وابن الأمير يوسف أحد أمراء فاشوده التي تقع في جنوب السودان بمديرية أعالي النيل بمركز كدك التابع للملكال .

ويتبع الأمير يوسف من قبائل الجنوب السكك والدينكا واليدر والتواك والتويه والباريه والفونج والمورو والأشول — والبور .

والملك عبد الفضيل — هو حاكم الجنوب في زمن المهدية — ويمتد نفوذه حتى بلدة دنقلا في شمال السودان .

وكان حاكما عادلا يسوس الناس بقيادة حاسمة . ويدين بالدين الاسلامي الحنيف .

وقد توفى الملك عبد الفضيل في حلفا ودفن بها .

والكثير أسلم في زمنه على يديه .

ولا يزال نجله الأمير يوسف يحارب الاستعمار حتى الآن — وهو يحب مصر والمصريين ولقد بعث بابنه رمضان إلى الأزهر الشريف ليتلقى علومه الدينيةفيه.

وعند عودة ابنه للسودان في المرة الأولى أحضر معه من مصر الكثير من أبناء الجنوب الذين انضموا للمؤسسة الذين سيكونون نقمة على أعمال المستعمر المستبد .



هذه صورة الأمير محمد بن الملك فافيتيور بن يور آكوج بن أكوات ابن تكواجيق — وهو من أعضاء المؤسسة السودانية لأبناء مصر والسودان .

ويتولى حكم بلدة فاشودة شقيقه الملك كور فافيتيور — وهو من الذين يدينون بالدين الاسلامى ويحاربون الاستعمار ويكافحون من أجل حرية الوادى مع الوحدة .

ولقد أرسل الملك كور شقيقه الأمير محمد وكثيرا من أبناء الجنوب إلى الأزهر بمصر لتلقى العلوم الدينية .

والأمير محمد وزملاؤه الآن هم أحسن دعاية فى جنوب الوادى ضد الاستعمار وأذنابه — ويد قوية لنشر الدين الاسلامى فى الجنوب .

اليوزباشي راغب شاكر بورشي
الرجل العسكرى

وهو عربى مسلم من أهالى البانيا ، له أسرة عريقة تاريخها مجيد ــ تخرج فى المدرسة الحربية ثم اشترك فى الحرب العالمية الثانية وفى حروب التحرير المقدسة فابلى بلاءاً حسنا فى فلسطين ونال جزاء شجاعته وسام الجدارة .

وهو الآن يكافح ويناضل الاستعمار أينما كان وقد اتصل بالشريف يوسف شرف الدين فاحتضنه الشريف وأسرته ووضعه فى الصفوف الأولى اللائقة به وهو يشرف على تدريب مؤسسة مصر والسودان ويعمل على تنظيمها تنظيما عسكريا .

صورة التلغراف الذى أرسله لمجلس الأمن الشريف يوسف السيد شرف الدين بليك سكسس بالولايات المتحدة وآخرى لحاكم عام السودان بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٤٧

نحتج ونستنكر هذه الأساليب التعسفيه الإجراميه لاراقتكم دماء الأبرياء الأطهار ، وتشتيت شمل وادى النيـل وفك أوصاله شماله عن جنوبه ومصره عن سودانه .

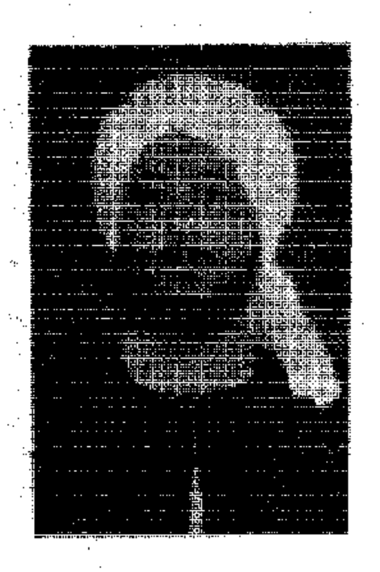
ألا قاتل الله الأنانية الاستعماريه الغاشمه وحفظ الله وادى النيل تحت تاج الفاروق المفدى ملك مصر والسودان .

الشريف يوسف السيد شرف الدين
رئيس السجاده القادريه والبهاريه
بالسودان

وقد بعث بهذه البرقية ليؤيد حكومة مصر فى مجلس الأمن ونشرت فى المصرى والأهرام وجرائد أخرى بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنه ١٩٤٨ . ودوى هذا التلغراف فى قلوب الانجليز وآذنابهم دوياً مخيفاً .

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
القائل : « تعلموا أنسابكم لتعلموا أرحامكم »

نسب الشريف



نشأت قبيلة الأشراف فى السودان من الشريف حمد أبو دنانه الذى هاجر من المدينة المنورة منذ مائتى سنة تقريبا إلى السودان ، وقد أنجب سبـــع بنات وهن :

« أمونه » وقد أنجبت الشيخ عيسى بن سوار الذهب رئيس قبيلة السواراب بمديرية الأبيض .

« حليمه » وقد أنجبت الشيخ محمد الأغبش والد حمد جد الغبش بمديرية بربر .

« رابعه » وقد أنجبت الشيخ شرف الدين من جزيرة الحاويه بمركز الدامر بمديرية بربر وهو مؤسس قبيلة شرف الديناب أهالى الجعليين .

«زينب» وقد أنجبت الشيخ عمر والد الشيخ حامد أبو عصاه مؤسس قبيلة العمراب بجبل أم على التابع لمديرية بربر وقد تزوج من آمنه بنت حماد السنددابنه من قبيلة الشكرية ووالدته فاطمه السندقاوية من قبيلة الكمالاب بمديرية الخرطوم وقد أنجبت منه خمسة أولاد وهم : محمد وأولاده أربعة وحمد وأولاده ستة عشر ، وسليمان وأولاده أحد عشر ، وابراهيم وأولاده خمسة ، وعبد الله مؤسس قبيلة الرباطاب بجزيرة الأشراف بدنقله ، ومن أولاده عثمان رئيس الأشراف بمديرية دنقله وعبد الله ببلدة أبى حمد ، أما بناته فثلاثة وهن : فاطمه ومدينه وآمنه وعائشة وقد أنجبت الشيخ عجيب المانجولك بالعقبة قرى مؤسس قبيلة الخنجر بمديرية النيل الأبيض مركز الدويم .

فاطمه : وقد أنجبت الشيخ أدريس بن الأرباب بالعيلفون مؤسس قبيلة المحس بمديرية النيل الأزرق .

مكة : وقد أنجبت الشخ محمد عبد الصادق خصيم الفيل بالمندرة شيخ طرق القادريه والبهاريه ورئيس قبيلة الأشراف والد السيد شرف الدين رئيس السجادة القادريه والبهاريه بعد رفاته (أى الشيخ محمد عبد الصادق خصيم الفيل) .

وفيما يلى نسب السيد يوسف السيد شرف الدين رئيس السجادة القادريه والبهاريه بعد وفاة والده السيد شرف الدين وقد كتب هذا النسب منذ عام ١٨٤٤ م .

فهو يوسف بن السيد شرف الدين بن السيد محمد عبد الصادق خصيم الفيل ابن السيد الباسم بن السيد الخاتم بن السيد النيل بن السيد الريح بن السيد الدرديرى ابن السيد كمال الدين بن السيد عيسى الطالب بن السيد البرزانى بن السيد البغدادى ابن السيد العدوى بن السيد كاظم بن السيد الكوخى بن السيد العجمى بن السيد الجنيد بن السيد البكرى بن السيد محمد الخواص بن السيد السايح بن السيد عبد الله المراكشى بن السيد المبتسم بن السيد كمال الدين بن السيد عظيم الهايم بن السيد محمد الناسى بن السيد محمد الجنيدى بن السيد محمد الهكارى بن السيد طه الصوان

ابن السيد البخارى بن السيد المكى بن السيد البازى بن السيد سحنون بن السيد الحلاج بن السيد مكى الخواص بن السيد تاج الدين البهارى بن السيد الشبلى بن السيد دميرة بن السيد عبد الاله بن السيد الطالب بن السيد الحسين بن زين العابدين بن السيد الحسن بن الامام على كرم الله وجهه زوج السيده فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد كتب هذا النسب بحضور الشيخ محمد شريف بن الشيخ نور الدايم بن الشيخ الطيب من مديرية النيل الأزرق والشيخ حمجان من مديرية النيل الأبيض والشيخ محمد ودقيدولى من مديرية النيل الأزرق والشريف محمد الأمين الهندى من مديرية النيل الأزرق والشريف محمد الخاتم من الدندر والشيخ محمد بن العجوز من البويضه والسيد الحسن بن السيد محمد عثمان المرغنى خليفة المراغنه ساكن كسلا والشيخ النيل من أم قرقور والشريف عون من المدينة المنورة ودوالشيخ هاجو بن الماصع من اليعقوباب خليفة شيخ التوم بن بانقا والشيخ حمدان أبو الحسنا من الحجاج والسيد محمد عثمان المرغنى من الدندر وهو الجد الأكبر للدراغنة والشيخ عبد المجيد ابن الشيخ نور الدايم بن الشخ الطيب من كبار السمانيه بجبل الأولياء والشيخ المكاشفى الكبير من أم قرقور والشيخ ضيف الله من العالياب والشيخ السنوسى الكبير من مراكش والشيخ دفع الله العركى من أم درمان والشيخ محمد الطاليابى من مديرية النيل الأبيض والشيخ محمد بن أدريس من مديرية النيل الأبيض والشيخ محمد بن أدريس من مديرية النيل الأزرق والشيخ القرشى الزين من الطيبة والشيخ البصير من مديرية النيل الأبيض والشيخ أحمد النيل العركى من مديرية النيل الأبيض والشيخ محمد الكباشى من مديرية النيل الأبيض والشيخ المنوفلى من مديرية النيل الأبيض والشيخ خوجلى أبو الجار من مديرية النيل الأزرق والشيخ حمد الأغبش من مديرية النيل الأزرق والشيخ الجعلى كبير من مديرية النيل

الأزرق والشيخ خليفه الشيخ حسن من مديرية النيل الأزرق والشيخ ود بدر من مديرية النيل الأزرق والشيخ عوض الجنيد من مديرية النيل الأزرق والشيخ محمد أحمد الركين من مديرية النيل الأزرق والشيخ النور راحل رية من مديرية النيل الأزرق والشيخ ولد الشيخ المجذوب من مركز الدامر بمديرية بربر والشيخ شرف الدين من مديرية النيل الأزرق والشيخ عايس من مديرية النيل لأزرق والشيخ الشريف الأمير من مديرية النيـــل الأزرق والشيخ محمد الصابوناني من مديـرية النيل الأزرق .

وقد وقع على هذا النسب كل من المذكورين أعلاه لحفظ حقوقه فى النسب الشريف وحفظ طريقته القادرية والبهارية التى رمزها لا إله إلا الله محمد رسول الله مائة مرة واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه مائة مرة ويالطيف مائة مرة أما تهليل الذكر الله الله الله .

ويوجد بالسودان ثلاثمائة شيخ لمشيخة الطرق خاضعين للشريف يوسف السيد شرف الدين .

وردت بالكتاب أخطاء مطبعية نأسف لها فنرجو من حضرات القراء عدم المؤخذة ، وأهمها :

بن سواد	وتصحيحها	بن سوار
الرضى	«	الهـــدى
لم يدر تجلو	«	لم يدر تجلد
القور	«	القوز

الخاتمة

هاهى حالة الانجليز فى السودان بيناها لكم فى كتاب « قلب وادى النيل » الذى كرسنا جهدنا فيه لنبرزه فى صورة تكشف الألاعيب والتلاعب والحقائق التى هى أغرب من الخيال .

انهم ليسوا بأقوياء كما يتصورهم الكثيرون وإنما هم ماكرون وسياستهم بغيضه يمتلكون بها ويبرودهم المعهود العالم .

انهم دائما يقيمون الفتن والأقاويل بين الشقيقتين وغرضهم من ذلك التفرقه وتشتيت شمل العروبه والاسلام والقضاء عليهم ولكن هذا محال فلقد عرفناهم وخبرناهم فقل للقوم الظالمين كفى ظلما وكفى مكراً ودهاء فان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين

والآن هم يتبعون سياسة التفرقة ممثلة فى دعاياتهم التى ينشرونها بين السودانيين وهى أن المصريين لايرمون للوحدة إلا لمصالحهم الخاصة وانهم يريدون استغلال السودان وخيراته .

بذلك تسممت بعض أفكار السودانيين أداة المستعمر ولكن الأغلبية تستنكرها وتكذبها .

وإن كانت حقيقيه فنحن نرضى بها مادمنا من دين واحد وروح واحـــده وتمتلىء أجسامنا بماء النيل الطاهر وقلوبنا بحب المليك المفدى ، وفقنا الله أجمعين لخدمة العروبة الخره .

انهضى يامصر فالوقت حان | يا بلدة الكنانة والعروبه
فأنت أم المجد والمجد منك | يا أرض الطهارة والنجوبة
وفى مصر رجال كأهل بدر | حرروا الوادى ولن تلقوا صعوبه
والفاروق للمؤمنـــين أمير | فلن نخشى من الدهر كروبه

رجونا له المولى حيــاة فى نعيم وجـــلال فرجانا لن يخيب



هذه صورة شاب من الشباب السوداني العامل الناهض الذي ضحى في سبيل نهضه الوطن المقدس يعمل بروح وثابة وطموح مثالي . ولقد أعجبت به وبما لمسته من المثابرة في الكفاح لصد الطغاة - يعمل باخلاص - اخلاص ودأب لايردعه عن عزيمته الحقه كيد الظالمين ولا سياط الخاسرين - لذلك فأنا أفتخر به وأفتخر بأمثاله عظيم رغم صغر سنه إلا أنه مثـل وقدوة لاخوانه وأبناء وطنه . إنه الشـــاب المثالي العامل والطالب الأديب العلمي كمال محمود ابراهيم . طالب كلية الطب المصرية .

الشريف يوسف السيد شرف الدين

الفهـــرس